تاريخ العلامة

ابن خلدون

كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر
في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم
من ذوي السلطان الأكبر
وهو تاريخ وحيد عصره

العلامة عبد الرحمن
ابن خلدون المغربي

المجلد الرابع

دار الكتاب المصري
القاهرة

دار الكتاب اللبناني
بيروت

I.S.B.N. 977 - 238 - 033 - 1

دار الكتاب المصري
٣٣ شارع قصر النيل - القاهرة ج. م. ع.
تلفون: ٣٩٢٢١٦٨/٣٩٢٤٣٠١ - فاكسميلي ٣٩٢٤٦٥٧ (٢٠٢)
ص.ب.: ١٥٦ - الرمز البريدي ١١٥١١ - برقياً: كتامصر
FAX: (202) 3924657
ATT.: MR. HASSAN EL - ZEIN

دار الكتاب اللبناني
شارع مدام كوري - مقابل فندق بريستول
تلفون: ٧٣٥٧٣١ - ٧٣٥٧٣٢ - فاكسميلي: ٣٥١٤٣٣ (٩٦١١)
برقياً: ناكليان - ص.ب.: ١١/٨٣٣٠ - بيروت - لبنان
FAX: (9611) 351433
ATT: MR. HASSAN EL- ZEIN

طبعة مزيدة ومنقحة

١٤٢٠ هـ ١٩٩٩ م
H. 1420 A.D. 1999

القسم الرابع

المجلد الثاني

من تاريخ العلامة ابن خلدون

واقاموا يستهزئون بالنبي (ص) ويتعرّضون له بالاستهزاء والاذايه[1]، حتى لقد كان بعضهم ينال منه بيده. وبلغ عمه حمزة يوماً ان ابا جهل بن هشام تعرض له يوماً بمثل ذلك، وكان قوي الشكيمة. فلم يلبث ان جاء الى المسجد وابو جهل في نادي قريش، حتى وقف على رأسه وضربه وشجه وقال له: تشتم محمداً وانا على دينه؟ وثار رجال بني مخزوم اليه فصدهم ابو جهل وقال: دعوه فاني سببت ابن اخيه سباً قبيحاً. ومضى حمزة على اسلامه وعلمت قريش ان جانب المسلمين قد اعتز بحمزة، فكفوا بعض الشر بمكانه فيهم. ثم اجتمعوا وبعثوا عمرو بن العاص وعبدالله ابن ابي ربيعة الى النجاشي ليسلّم اليهم من هاجر الى ارضه من المسلمين، فنكر النجاشي رسالتهما وردهما مقبوحين.

اسلام عمر بن الخطاب

ثم أسلم عمر بن الخطاب، وكان سبب اسلامه أنه بلغه أن

(١) لعلها الأذية أما الإذاية فلا وجود لها فيما بين أيدينا من كتب اللغة.

أخته فاطمة اسلمت مع زوجها سعيد ابن عمه زيد، وان خباب ابن الأرت عندهما يعلمهما القرآن فجاء اليهما منكرًا وضرب أخته فشجّها، فلما رأت الدم قالت : قد اسلمنا وتابعنا محمدًا فافعل ما بدا لك ! وخرج اليه خباب من بعض زوايا البيت، فذكّره ووعظه، وحضرته الانابة فقال له : اقرأ عليّ من هذا القرآن ! فقرأ من سورة طه، وأدركته الخشية فقال له : كيف تصنعون اذا اردتم الاسلام ؟ فقالوا له : وأروه الطهور ثم سأل عن مكان النبي (ص) فدل عليه، فطرقهم في مكانهم، وخرج اليه النبي (ص) فقال : مالك يا ابن الخطاب ؟ فقال : يا رسول الله ! جئت مسلماً ! ثم تشهد شهادة الحق ودعاهم الى الصلاة عند الكعبة، فخرجوا وصلوا هنالك واعتز المسلمون باسلامه .

وكان النبي (ص) يقول في دعائه : اللهمّ أعِزَّ الاسلام باحد العُمَرَين يعنيه أو إبا جهل . فلما رأت قريش فشوّ الاسلام وظهوره أهمهم ذلك ، فاجتمعوا وتعاهدوا على بني هاشم وبني المطلب ، الا يناكحوهم ولا يبايعوهم ولا يكلموهم ولا يجالسوهم ، وكتبوا بذلك صحيفة وضعوها في الكعبة . وانحاز بنو هاشم وبنو المطلب كلهم كافرهم ومؤمنهم، فصاروا في شِعب ابي طالب محصورين متجنبين ، حاشا أبي لَهب، فانه كان مع قريش على قومهم . فبقوا كذلك ثلاث سنين لا يصل اليهم شيء ممن ارادوا صلتهم إلّا سرًّا، ورسول الله (ص) مقبل على شأنه من الدعاء

الى الله، والوحيُ عليه متتابعٌ الى أن قام في نقض الصحيفة رجال من قريش، كان احسنهم في ذلك أثرًا هِشام بن عمرو ابن الحرث من بني حسن بن عامر بن لُؤيّ، لقي زُهَير بن ابي أُميَّة بن المُغيرَة، وكانت أمه عاتِكَةَ بنت عبد المطلب، فعيَّرَه باسلامه أخواله الى ما هم فيه، فاجاب الى نقض الصحيفة. ثم مضى الى مُطعِمَ بن عَدِيٍّ بن نوفل بن عبد مناف وذكر رَحِمَ هاشم والمطلب ثم الى ابي البَختَرِي[1] بن هشام، وزَمعَةَ بن الأسوَد فاجابوا كلهم وقاموا في نقض الصحيفة. وقد بلغهم عن النبي (ص) أن الصحيفة أكلت الأرَضَةُ كتابتها كلها، حاشا اسماء الله. فقاموا باجمعهم فوجدوها كما قال، فخزوا ونقض حكمها. ثم اجمع ابو بكر الهجرة وخرج لذلك، فلقيه ابن الدُغُنَةِ فردَّه. ثم اتصل بالمهاجرين في ارض الحبشة خبر كاذب بان قريشاً قد اسلموا، فرجع قوم منهم الى مكة: منهم عُثمانُ بن عَفَّان وزوجته وابو حُذَيفَةَ وامرأته، وعبدالله بن عُتبَةَ بن غزوان والزُبَير بن العَوَّام وعبد الرحمن بن عوف ومُصعَب بن عُمَير وأخوه والمِقداد ابن عُمَر وعبدالله بن مسعود، وأبو سلمة بن عبد الأسد وامرأته أم المؤمنين، وسلمة بن هشام بن المُغيرَة وعَمّار بن ياسر، وبنو مَظعون: عبدالله وقُدَامَة وعثمان وابنه السائب، وخُنَيس بن حُذافَة

(١) البختري بوزن الجعفري، والخاء معجمة على ما في شرح القاموس. قاله نصر.

وهشام بن العاص وعامر بن ربيعة وامرأته، وعبدالله بن مَخْرَمَة من بني عامر بن لُؤَيّ، وعبدالله بن سهل بن السكران بن عمرو، وسعد بن خَوْلَة، وابو عبيدة بن الجراح وسهيل بن بيضاء وعمرو ابن ابي سرح، فوجدوا المسلمين بمكة على ما كانوا عليه مع قُرَيْش من الصبر على أذاهم، ودخلوا الى مكة بعضهم مختفياً وبعضهم بالجوار، وأقاموا الى أن كانت الهجرة الى المدينة بعد ان مات بعضهم بمكة .

الأذى والاستهزاء

ثم هلك ابو طالب وخديجة، وذلك قبل الهجرة بثلاث سنين، فعظمت المصيبة وأقدم عليه سفهاء قريش بالاذاية والاستهزاء والقاء القاذورات في مُصَلَّاه، فخرج الى الطائف يدعوهم الى الاسلام والنُّصْرَةِ والمعونة . وجلس إلى عبد يَالَيْلِ بن عُمَر بن عُمَيْر واخويه مسعود وحبيب، وهم يومئذ سادات ثقيف واشرافهم، وكلهم فاساءوا الرد، ويئس منهم فاوصاهم بالكتمان فلم يقبلوا، وأغروا به سفهاءهم فاتبعوه حتى الجأوه الى حائط عُتْبَةَ وشَيْبَةَ ابني ربيعة، فأوى الى ظله حتى اطمأن، ثم رفع طرفه الى السماء يدعو :

اللهم اليك اشكو ضعف قوتي، وقِلّة حيلتي وهواني على الناس، يا أرحم الراحمين . أنت رب المستضعفين، أنت ربي الى من تكلني ! الى بغيض يتجهمني، او الى عدوٍ ملّكته أمري . إن لم يكن بها عليّ غضب فلا أبالي، ولكن عافيتك اوسع لي .

أعوذ بنور وجهك الذي اشرَقَتْ له الظلمات، وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة من أن ينزل بي غضبك او يحل علي سخطك، لك العتبى حتى ترضى، ولا حول ولا قوّة الا بك .

ولما انصرف من الطائف الى مكة، بات بنخلة وقام يصلي من جوف الليل، فمرّ بـه نفر من الجنّ سمعوا القرآن، ثم دخل رسول الله (ص) الى مكة في جوار المُطعِمِ بن عَدِيّ بن نوفل، بعد ان عرض ذلك على غيره من رؤساء قريش، فاعتذروا بما قبله منهم .

ثم قدم عليه الطُفَيْلُ بن عمرو الدَوْسِيّ فاسلم، ودعا قومه فاسلم بعضهم، ودعا له رسول الله (ص) ان يجعل الله له علامة للهداية، فجعل لوجهه نوراً، ثم دعا له فنقله الى سوطه وكان يعرف بذي النور .

الاسراء

قال ابن حزم : ثم كان الاسراء الى بيت المقدس، ثم الى السماوات، ولقي من لقي من الأنبياء، ورأى جنة المأوى وَسِدْرَةَ المنتهي في السماء السادسة، وفرضت الصلاة في تلك الليلة. وعند الطبري : الاسراء وفرض الصلاة كان اول الوحي . ثم كان رسول الله (ص) يعرض نفسه على وفود العرب فى الموسم، ياتيهم في منازلهم ليعرض عليهم الاسلام، ويدعوهم الى نصره، ويتلو عليهم القرآن . وقريش مع ذلك يتعرضون لهم بالمقابح إن يقبلوا

منهم، واكثرهم في ذلك ابو لهب. وكان من الذين عرض عليهم في الموسم بنو عامر بن صَعْصَعَةَ بن مضر وبنو شيبان وبنو حنيفة من ربيعه وكِنْدَةَ من قحطان وكلب من قُضاعة وغيرهم من قبائل العرب.

فكان منهم من يحسن الاستماع والعذر، ومنهم من يُعرِض ويصرح بالأذاية، ومنهم من يشترط الملك الذي ليس هو من سبيله. فيرد (ص) الامر الى الله، ولم يكن فيهم أقبح رداً من بني حنيفة، وقد ذخر الله الخير في ذلك كله للانصار. فقدم سويد بن الصامت أخو بني عمرو بن عوف بن الأوس، فدعاه رسول الله (ص) الى الاسلام فلم يبعد ولم يجب، وانصرف الى المدينة فقتل في بعض حروبهم وذلك قبل بعاث. ثم قدم بمكة ابو الحَيسرِ أنس بن رافعٍ في فتية من قومه من بني عبد الاشهل يطلبون الحلف، فدعاهم رسول الله (ص) الى الاسلام فقال إياس ابن معاذ منهم ــ وكان شاباً حدثاً ــ : هذا والله خير مما جئنا له! فانتهره ابو الحيسر فسكت. ثم انصرفوا الى بلادهم ولم يتم لهم الحلف ومات إياس فيُقال انه مات مسلماً.

ثم إن رسول الله (ص) لقي عند العقبة في الموسم ستة نفر من الخزرج وهم: ابو أُمَامَةَ اسعد بن زُرارَة بن عَدَس بن عُبَيْد بن ثَعلَبَةَ بن غنم بن مالِكَ[1] بن النَّجّار، وعَوف بن الحَرْث بن رِفاعَةَ

(١) في نسخة ب: مسلمة.

ابن سواد بن مالك بن غنم، وهو ابن عَفْرَاء، ورافع بن مالك ابن العَجْلان بن عمرو بن عامِرَ بن زَيْد بن مالك بن غَضْبَةَ بن جَشَم ابن الخزرَج، وطَبَقَةُ بن عامِرَ بن حَيْدَرَة بن عُمَرَ بن سواد بن غنم ابن كَعْب بن سَلَمَةَ بن سعد بن عـلِيّ بن أسد بن مراد بن يزيد بن جشم، وعُقْبَةُ بن عامر بن نابي بن زيد بن خزام بن كعب ابن غنم بن سَلَمَةَ، وجابرُ بن عبدالله بن رئاب بن النُعْمان بن سلمة [1] بن عُبَيْد بن عَدِيّ بن غنم بن كعب بن سلمة، فدعاهم رسول الله (ص) الى الاسلام وكان من صنع الله لهم أن اليهود جيرانهم كانوا يقولون : إن نبياً يبعث وقـد أظل زمانه، فقال بعضهم لبعض : هذا والله النبي الذي تحدثكم به اليهود، فـلا يسبقونا اليه . فآمنوا وأسلموا وقالوا إنا قد قدمنا بينهم حروباً فننصرف وندعوهم الى مـا دعوتنا اليه ! فعسى الله أن يجمع كلمتهم بك، فلا يكون أحد أعز منك، فانصرفوا الى المدينة ودعوا الى الاسلام حتى فشا فيهم .

ولم تبق دار من دور الأنصار إلا وفيها ذكر النبي (ص) .

العقبة الأولى

حتى إذا كان من العام القابل قدم مكة من الانصار اثنا عشر رجلاً : منهم خمسة من الستة الذي ذكرنا وهم من عَدِيّ، وجابر بن عبدالله، فانه لم يحضرها . وسبعة من غيرهم وهم : مَعاذ

---

(١) في نسخة ب : ابن سنان .

ابن الحرث أخو عوف بن الحرث المذكور، وقيل : إنه ابن عفراء، وذكوان ابن عبد قيس بن خالِدَة، وخالد بن مُخَلِدِ بن عامر ابن زُرَيق، وعَبَادَةُ بن الصامِتِ بن قَيس بن أصرَم بن فهد بن ثَعلَبَةَ بن صَرمَةَ بن أصرَمَ بن عمرو بن عَبادَةَ بن عُصَيبَةَ من بني حبيب، والعباسُ بن عبادة بن نَضلَةَ بن مالك بن العجلان بن زيد بن غنم بن سالم بن عوف بن عمرو بن عوف، هؤلاء عشرة من الخزرج .

ومن الأوس : ابو الهَيثَم مالك بن التيهان، وهو من بني عبد الأشهل بن جشم بن الحرث بن الخَزرَجِ بن عُمَر بن مالك ابن أوس، وعُوَيمُ بن ساعِدَةَ من بني عمرو بن عوف بن مالك ابن الأوس بن حارثة ؛ فبايع هؤلاء، رسول الله (ص) عند العَقَبَة على بيعة النساء، ـ وذلك قبل أن يُفرَضَ الحرب ـ على الطاعة لرسول الله (ص)، وعلى أن لا يشركوا بالله شيئاً، ولا يسرقوا ولا يزنوا ولا يقتلوا أولادهم ولا يفتروا الكَذِبَ .

فلما حان انصرافهم بعث رسول الله (ص) معهم ابن أم مكتوم، ومصعب بن عمير يدعوهم الى الاسلام، ويعَلِّم من أسلم منهم القرآنَ والشرائعَ . فنزل بالمدينة على أسعد بن زُرارَة، وكان مُصعَبُ يؤمُّهم، وأسلم على يديه خلق كثير من الأنصار . وكان سعد بن معاذ واسعد بن زرارة ابنا الخالة، فجاء سعد بن معاذ

وأُسَيد بن الحُضَين الى سعد بن زرارة، ـ وكان جاراً لبني عبد الأشهل ـ فانكرا عليه فهداهما الله الى الاسلام، وأسلم باسلامهما جميع بني عبد الأشهل في يوم واحد الرجالِ والنساء . ولم تبق دار من دور الأنصار الا وفيها المسلمون رجال ونساء، حاشا بني أمية بن زيد، وخطمة ووائل وواقف : بطون من الأوس وكانوا في عوالي المدينة، فاسلم منهم وكان قوم، سيدهم ابو قيس صيفي بن الأسلت الشاعر، فوقف بهم عن الاسلام حتى كانت الخندق فاسلموا كلهم .

العقبة الثانية

ثم رجع مصعب المذكور بن عمير الى مكة، وخرج معه الى الموسم جماعة ممن أسلم من الانصار للقاء النبي (ص) في جملة قوم منهم لم يسلموا بعد . فوافوا مكة وواعـدوا رسول الله (ص) العقبة من أوسط أيام التشريق، ووافوا ليلة ميعادهم الى العقبة متسللين من رحالهم سراً عمن حضر من كفار قومهم، وحضر معهم عبدالله بن حزام بن عمرو ابو جابر، وأسلم تلك الليلة . فبايعوا رسول الله (ص) على ان يمنعوه ما يمنعون منه نساءهم وأبناءهم وإزرهم، وأن يرحل اليهم هو واصحابه .

وحضر العباس بن عبد المطلب، وكان على دين قومه بعد . وانما توثق للنبي (ص) وكان للبراء بن معرور في تلك الليلة المقام

المحمود في الاخلاص والتوثق لرسول الله (ص)، وكان اول من بايع. وكانت عدة الذين بايعوا تلك الليلة ثلاثاً وسبعين رجلا وامرأتين. وأختار منهم رسول الله (ص) اثني عشر نقيباً يكونون على قومهم: تسعة من الخزرج وثلاثة من الاوس. وقال لهم: انتم كفلاء على قومكم ككفالة الحواريين لعيسى بن مريم، وأنا كفيل على قومي. فمن الخزرج من أهل العقبة الاولى اسعد بن زرارة. ورافعُ بن مالك، وعَبادَةُ بن الصامت. ومن غيرهم سعد بن الربيع بن عمرو بن أبي زهير بن مالك بن امرىء القيس ابن مالك، وثعلبة بن كعب بن الخزرج، وعبدالله بن رواحة بن امرىء القيس، والبراء بن معرور بن صخر بن خَنْساء بن سِنان ابن عُبَيْد بن عَدِيّ بن غنم بن كعب بن سلمة، وعبدالله بن عمرو ابن حزام أبو جابر، وسعد بن عبادة بن دُلَيْم بن حارثة بن لودان بن عبدودّ بن يزيد بن ثعلبة بن الخزرج بن ساعدة، وثلاثة من الاوس وهم أُسَيْدُ بن حُضَيْر بن سِماك بن عتيك بن رافع بن امرىء القيس بن زيد بن عبد الاشهل، وسعد بن خَيْثَمَةَ بن الحارث [1] بن مالك بن الاوس ورِفاعَةُ بن عبد المنذر ابن زيد بن أُمَيَّة بن زيد بن مالك بن عوف بن عمرو بن عوف ابن مالك بن الاوس. فدعا قوم ابو الهيثم بن التيهان مكان رفاعة هذا والله أعلم.

(١) في نسخة ب: الحرث.

ولما تمت هـذه البيعة، أمرهم رسول الله (ص) بالرجوع الى رِحالِهِمْ فرجعوا، ونمى الخبر الى قريش فغدت الجِلّة منهم على الانصار في رحالهم، فعاتبوهم فانكروا ذلك، وحلفوا لهم. وقال عبدالله بن أبي بن سَلول : ما كان قومي ليتفقوا على مثل هذا وأنا لا أعلمه ! فانصرفوا عنه، وتفرق الناس من منى، وعلمت قريش الخبر، فخرجوا في طلبهم. فادركوا سعد بن عَبادة فجاءوا به الى مكة يضربونه ويجرُّونه بشعره حتى نادى بُجَيْرُ بن مُطعِمَ والحرث بن أميه، وكان يجيرهما ببلده فخلصاه مما كان فيه. وقد كانت قريش قبل ذلك سمعوا صائحاً يصيح ليلاً على جبل ابي قبيس :

فان يَسْلَمِ السَعْدَانِ يُصْبِحْ مُحَمَّدٌ بِمَكَّةَ لا يَخْشَى خِلافَ مُخَالِفِ

فقال ابو سفيان : السعدان سعد بكر وسعد هُذَيم .

فلما كان في الليلة القابلة سمعوه يقول :

أيا سعد: سعـد الأوسِ كن أنت ناصراً
ويا سعد سعـد الخَزْرَجيّ الغَطَارِفِ
أجيبا الى داعي الهُـدى وتَمَنَّيا
عـلى الله في الفِرْدَوْسِ مُنْيَةَ عارِفِ
فانَّ ثَوَابَ الله للطالِبِ الهُـدَى
جِنَانٌ مِـنَ الفِرْدَوْسِ ذاتُ رَفارِف

فقال والله هذان: سعد بن عبادة وسعد بن معاذ.

ولما فشا الاسلام بالمدينة، وطفق أهلها يأتون رسول الله (ص) بمكة، تعاقدت على ان يفتنوا المسلمين عن دينهم، فاصابهم من ذلك جهد شديد. ثم نزل قوله تعالى: وقاتِلوهُمْ حتى لا تكون فِتْنَةٌ ويكون الدينُ كُلُّهُ لِلهِ. فلما تمت بيعة الأنصار على ما وصفناه، أمر رسول الله (ص) اصحابه ممن هو بمكة من المسلمين بالهجرة الى المدينة، فخرجوا أرسالاً، وأول من خرج ابو سَلَمَةَ بن عبد الأَسَد، ونزل في قِبا، ثم هاجر عامر بن ربيعة حليف بني عَدِيّ[(١)] بامرأته ليلى بنت ابي خَيْثَمَةَ بن غانم. ثم هاجر جميع بني جَحْش من بني أَسَد بن خُزَيْمَةَ ونزلوا بقبا، على عُكاشَةَ بن مُحْصِنَ وجماعة من بني أسد، حلفاء بني أمية كانت فيهم زينب بنت جَحْش أم المؤمنين وأختاها حمنة وأم حُبَيْبَة.

ثم هاجر عُمَرُ بن الخَطَّابِ وعيَّاس بن أبي ربيعة في عشرين راكباً، فنزلوا في العوالي في بني أمية بن زيد. وكان يُصَلِّي لهم سالم مولى أبي حُذَيْفَةَ. وجاء أبو جهل بن هشام، فخادع عياش ابن أبي ربيعة وردّه الى مكة، فحبسوه حتى تخلص بعد حين. ورجع وهاجر مع عمر أخوه زيد، وسعيد بن عمه زيد وصهره

---

(١) في نسخة ب: عامر بن ربيعة بن عدي.

على بنته حفصة أم المؤمنين، جحش بن حذافة السهمي وجماعة من حلفاء بني عدي نزلوا بقبا على رفاعة بن عبد المنذر من بني عوف بن عمرو .

ثم هاجر طلحة بن عبيد الله، فنزل هو وصُهَيب بن سِنان على حبيب بن أساف في بني الحرث بن الخزرج بالسَلَمِ وقيل بل نزل طلحة على اسعد بن زُرَارَةَ . ثم هاجر حمزة بن عبد المطلب ومعه زيد بن حَارِثَةَ مولى رسول الله (ص)، وحليفه أبو مَرْثِد كنازُ بن حِصن الغَنَوِيّ؛ فنزلوا في بني عمرو بن عوف بقبا على كلثوم بن الهدم، ونزل جماعة من بني المطلب بن عبد مناف فيهم مسطح بن أثاثـة ومعه خباب بن الارت مولى عُتبَةَ بن غَزوان في بني العَجلان بقبا . ونزل عبد الرحمن بن عوف في رجال من المهاجرين على سعد بن الربيع في بني الحرث بن الخزرج . ونزل الزُبَيرُ بن العوّام وأبو سَبْرَةَ بن ابي رُهم بن عبد العزى على المنذر بن محمد بن عُقبَةَ بن أُحَيحَة بن الجُلّاح في دار بني جَحْجَبا ونزل مُصعَبُ بن عُمَير على سعد بن مَعاذ في بني عبد الأشهَلِ . ونزل ابو حُذَيفَةَ بن عُتبَةَ ومولاه سالم، وعُتبَةُ بن غزوان المازِني على عَبّاد بن بشر من بني عبد الأشهل . ولم يكن سالم عتيق أبي حذيفة وانما اعتقته امرأة من الأوس كانت زوجاً لأبي حذيفة، اسمها بثينة بنت معاذ، فتبناه ونسب اليـه . ونزل عُثمانُ بن

عَفّان في بني النَّجّارِ على أوس أخي حَسّان بن ثابت . ولم يبق أحد من المسلمين بمكة مع رسول الله (ص) إلا ابو بكر وعلي بن ابي طالب رضي الله عنهما فانهما أقاما بامره وكان رسول الله (ص) ينتظر ان يؤذن له في الهجرة .

الهجرة

ولما علمت قريش أنّ رسول الله (ص) قد صار له شيعة وأنصار من غيرهم، وأنه مُجمِعٌ على اللحاق بهم، وأن أصحابه من المهاجرين سبقوه اليهم، تشاوروا ما يصنعون في أمره. واجتمعت لذلك مَشْيَخَتُهم في دار النَدْوَةِ : عُتْبَةُ وشَيْبَةُ وأبو سُفيان من بني أُمَيَّة، وطُعَيْمَةُ بن عـدي وجُبَيْرُ بن مُطعِم والحارث بن عامر من بني نوفل، والنَضْر بن الحارث من بني عبد الدار، وأبو جهل من بني مخزوم، ونبيه ومنبه ابنا الحجاج من بني سهم، وأمية بن خلف من بني جُمَح، ومعهم من لا يعد من قريش، فتشاوروا في حبسه واخراجه عنهم.

ثم اتفقوا على ان يتخيروا من كل قبيلة منهم فتى شاباً جلداً فيقتلونه جميعاً، فيتفرّق دمـه في القبائل، ولا يقدر بنو عبد مناف على حرب جميعهم. واستعدوا لذلك من ليلتهم، وجاء الوحي بذلك الى النبيّ (ص). فلما رأى أَرْصَدَهم على باب منزله، أمر عليّ بن أبي طالب أن ينام على فراشه، ويتوشح ببُرْدِه. ثم خرج رسول الله (ص) عليهم، فطمس الله تعالى على أبصارهم، ووضع على رؤوسهم تراباً، وأقاموا طول ليلهم. فلما أصبحوا خرج اليهم

علي، فعلموا أن النبي (ص) قد نجا، وتواعد رسول الله (ص) مع أبي بكر الصديق، واستأجر عبدالله بن أُرَيْقِطَ الدَّوْلِيّ من بني بكر بن عبد مناف ليدلّ بهما الى المدينة، وينكب عن الطريق العظمى، وكان كافراً وحليفاً للعاص بن وائل، لكنهما وثقا بامانته، وكان دليلًا بالطريق.

وخرج رسول الله (ص) من خَوْخَةٍ في ظهر دار أبي بكر ليلًا وأتيا الغار الذي في جبل ثَوْر باسفل مكة، فدخلا فيه. وكان عبدالله بن أبي بكر يأتيهما بالأخبار، وعامر بن فُهَيْرَةَ مولى ابي بكر وراعي غنمه، يريح غنمه عليهما ليلًا فيأخذا حاجتهما من لبنها، واسماء بنت ابي بكر تأتيهما بالطعام.

ونقض عامر بالغنم إثر عبدالله[1]، ولما فقدته قريش اتبعوه ومعهم القائف، فقاف الأثر حتى وقف عند الغار، وقال: هنا انقطع الأثر! واذا بنسج العنكبوت على فم الغار، فاطمأنوا الى ذلك ورجعوا، وجعلوا مائة ناقة لمن ردّها عليهم. ثم أتاهما عبدالله ابن أُرَيْقِط بعد ثلاث براحلتيهما[2]، فركبا. وأردف أبو بكر عامر ابن فهيرة، واتتهما اسماء بسفرة لهما، وشقت نطاقها وربطت السفرة، فسميت ذات النطاقين. وحمل ابو بكر جميع ماله نحو ستة آلاف

(١) في نسخة ب: إثر عبد الله والماء.
(٢) في نسخة ب: براحلتهما.

درهم، ومرّوا بسراقة بن مالك بن جَعْشَم فاتبعهم ليردهم . ولما رأوه دعا عليه رسول الله (ص)، فساخت قوائم فرسه في الارض، فنادى بالأمان وأن يقفوا له . فطلب من النبيّ (ص) أن يكتب له كتاباً، فكتبه أبو بكر بأمره، وسلك الدليل من أسفل مكة على الساحل أسفل من عسفان[1] وأمج، وأجاز قديداً الى العَرْجِ ثم الى قِبا من عوالي المدينة . ووردوها قريباً من الزوال يوم الاثنين لاثنتي عشرة خلت من ربيع الأول، وخرج الأنصار يتلقونه ، وقد كانوا ينتظرونه الى ان قلصت الظلال ورجعوا الى بيوتهم، فتلقوه مع أبي بكر في ظل نخلة .

ونزل عليه السلام بِقِبا على سعد بن خَيْثَمَةَ ، وقيل على كلثوم الهدْمِ[2] . ونزل ابو بكر بالسَخِ في بني الحرث بن خَزْرَجِ على حبيب بن أسد، وقيل على خارجة بن زيد . ولحق بهم علي رضي الله عنه من مكّةَ بعد أو ردّ الودائع للناس التي كانت عند النبي (ص) فنزل معه بقبا .

وأقام رسول الله (ص) هنالك أياماً ، ثم نهض لما أمر الله ، وأدركته الجمعة في بني سالم بن عَوف ، فصلاها في المسجد هنالك. ورغب اليه رجال بني سليم أن يقيم عندهم، وتبادروا الى خطام

---

(١) في نسخة ب: من غسّان.
(٢) في نسخة ب: ابن المنذر.

ناقته اغتناماً لبركته . فقال عليه السلام : خلوا سبيلها فانها مأمورة. ثم مشى والانصار حواليه الى ان مرّ بدار بني بَيَاضَة، فتبادر اليه رجالهم يبتدرون خطام الناقة . فقال : دعوها فانها مأمورة . ثم مرّ بدار بني ساعدة، فتلقاه رجال وفيهم سعد بن عبادة، والمنذر بن عمرو ودعوه كذلك، وقال لهم مثل ما قال للآخرين . ثم الى دار بني حارثة [١] بن الخزرج فتلقاه سعد بن الربيع ، وخارجة بن زيد، وعبد الله بن رواحه. ثم مر ببني عَدِيّ ابن النجّار أخوال عبد المُطَّلِب ففعلوا وقال لهم مثل ذلك . الى ان أتى دار بني مالك بن النجار، فبركت ناقته على باب مسجده اليوم، وهو يومئذ لغلامين منهم في حِجْر معاذ بن عَفْراء اسمهما سَهْلٌ وسُهَيْل، وفيه خُرَبٌ وَنَخْلٌ وقبور للمشركين، ومِرْبَد .

ولما بركت الناقة، بقي على ظهرها ولم ينزل، فقامت ومشت غير بعيد ولم يثنها . ثم التفتت خلفها ورجعت الى مكانها الاوّل، فبركت واستقرت، ونزل رسول الله (ص) عنها . وحمل أبو أيوب رحله الى داره، فنزل عليه، وسأل عن المربد وأراد أن يتخذه مسجداً، فاشتراه من بني النجار بعد ان وهبوه له فأبى من قبوله . ثم أمر بالقبور فنبشت، وبالنخل فقطعت، وبنى المسجد باللبن،

(١) في نسخة ب: بني الحرث.

وجعل عضادتيه الحجارة، وسواريه جذوع النخل وسقفه الجريد، وعمل فيه المسلمون حسبة[1] لله عزّ وجلّ .

ثم وادع اليهود وكتب بينه وبينهم كتاب صلح وموادعة، شرط فيه لهم وعليهم . ثم مات أسعد بن زُرارَةَ وكان نقيباً لبني النجار، فطلبوا إقامة نقيب مكانه . فقال أنا نقيبكم ولم يخص بها منهم أحد دون أحد، فكانت من مناقبهم .

ولما رجع عبدالله بن أُرَيْقِطَ الى مَكَّة أخبر عبدالله بن أبي بكر بمكانه، فخرج ومعه عائشة أخته وأمهما أم رومان، ومعهم طلحة بن عبيدالله[2]، فقدموا المدينة . وتزوج رسول الله (ص) عائشة بنت ابي بكر، وبنى بها في منزل ابي بكر بالسنح . وبعث رسول الله (ص) أبا رافع الى نباتة وزوجته سودة بنت زمعة، فحملهما اليه من مكة . وبلغ الخبر بموت أبي أُحَيْحَةَ والوليد ابن المُغيرَةَ والعاص بن وائل من مشيخة قريش .

المؤاخاة

ثم آخى رسول الله (ص) بين المهاجرين والانصار، فآخى بين جعفر بن ابي طالب وهو بالَحَبْشَةِ ومعاذِ بن جبل، وبين ابي بكر

---

(١) في نسخة ب: حسنة .
(٢) في نسخة ب: عبد الله .

الصديق وخارِجَةَ بن زَيد، وبين عُمَرَ بن الخطَّابِ وعُثمانَ بن مالك من بني سهم، وبين ابي عُبَيدَةَ بن الجرَّاح وسَعْدِ بن معاذ، وبين عبد الرحمن بن عوف وسعد بن الربيع، وبين الزُبَيرِ بن العَوّام وسَلَمَةَ بن سَلامَةَ بن وَقْش، وبين طَلحة بن عبيد الله وكعب بن مالك، وبين عثمان بن عَفَّان وأوس بن ثابت أخي حَسَّان، وبين سعيد بن زيد وأُبَيّ بن كعب، وبين مُصْعَب بن عُمَيْر وأبي أيُّوب، وبين أبي حُذَيْفَةَ بن عُتْبَةَ وعَبَّاد بن بِشر بن وَقْش من بني عبد الأشهَل. وبين عَمَّار بن ياسر وحُذَيْفَةَ بن اليَمان العَنْسِيّ حليف بني عبد الأشهل، وقيل بل ثابت بن قَيْس بن الشَّمَّاس، وبين أبي ذَرّ الغِفارِيّ والمُنْذِر بن عمرو من بني ساعِدَةَ، وبين حاطِب ابن ابي بَلْتَعَةَ حليف بني أسد بن عبد العُزَّى وعُوَيم بن ساعِدَةَ من بني عمرو بن عَوْف، وبين سَلمان الفارسي وأبي الدرداء وعُمَيْر ابن بَلْتَعَةَ من بني الحرث بن الخَزْرَج و... [1] وبين بلال بن حمامَةَ وابي رُوَيْحَةَ الخَثْعَمِيّ [2].

ثم فرضت الزكاة، ويقال وزيد في صلاة الحاضر [3] ركعتين، فصارت أربعاً بعد أن كانت ركعتين سفراً وحضراً.

---

(١) في هامش الأصل: سقط أبو عمير اهـ. وهناك أشخاص كثيرون باسم عمير لذلك صعب علينا معرفة أخي عمير هذا في المراجع التي بين أيدينا.

(٢) في نسخة ب: زويغة الخشعمي.

(٣) في نسخة ب: في صلاة الحضر.

ثم اسلم عبدالله بن سلام، وكفر جمهور اليهود، وظهر قوم من الأوسِ والخَزرَجِ منافقون يُظهِرون الاسلام مراعاةً لقومهم من الأنصار، ويصرُّون الكُفر. وكان رئيسهم: من الخَزرَجِ عبدالله بن أُبَيّ بن سَلول والجَدّ بن قَيس، ومن الأوس. الحرث ابن سُهَيل بن الصامِت وعَبّاد بن حَنيف ومَربَع بن قَيظِي وأخوه أوس من أهل مسجد الضِرار. وكان قوم من اليهود أيضاً تعوذوا بالاسلام وهم يبطنون الكفر: منهم سَعْدُ بن حُنَيس وزيد بن اللطيت، ورافع بن خُزَيْمةَ ورفاعةُ بن زيد بن التابوتْ وكنانةُ ابن حَيورتا.

الغزوات

غزوة الابواء

ولما كان شهر صفر بعد مقدم النبي (ص) المدينة، خرج في مائتين من اصحابه يريد قريشاً وبني ضُمْرَةَ، واستعمل على المدينة سعد بن عبادة، فبلغ ودّان والأبواء ولم يلقهم. واعترضه مخشى بن عمرو سيد بني ضُمْرَة بن عبد مناة بن كنانة، وسأله موادعة قومه، فعقد له ورجع الى المدينة، ولم يلقَ حرباً. وهي أول غُزاةٍ غزاها بنفسه، وتسمى بالابواء وبودّان، المكانان اللذان انتهى اليهما، وهما متقاربان بنحو ستة أميال. وكان صاحب اللواء فيها حمزة بن عبد المطلب.

غزوة بواط: ثم بلغه أن عيراً لقريش نحو الفين وخمسمائة فيها أمية بن خلف ومائة رجل من قريش ذاهبة الى مكة، فخرج في ربيع الآخر لاعتراضها، واستعمل على المدينة السائبَ بن عثمان ابن مظعون. وقال الطبري: سعد بن معاذ، فانتهى الى بواط، ولم يلقهم، ورجع الى المدينة.

غزوة العشيرة

ثم خرج في جمادى الأولى غازياً قريشاً، واستخلف على المدينة أبا سلمة بن عبد الاسد، فسلك عن جانب من الطريق

الى ان لقي الطريق بصخيرات اليمام الى العشيرة من بطن يَنْبُعَ، فأقام هنالك بقية جمادى الأولى وليلة من جمادى الثانية، ووادع بني مدلج . ثم رجع الى المدينة، ولم يلق حرباً .

غزوة بدر الأولى(١)

وأقام بعد العشيرة نحو عشر ليال، ثم أغار كُرَزُ بن جابر الفِهْرِيّ على سرح المدينة، فخرج في طلبه حتى بلغ ناحية بدر، وفاته كرز فرجع الى المدينة .

البعوث

وفي هذه الغزوات كلها، غزا بنفسه، وبعث فيما بينها بعوثاً نذكرها وفيها: بعث حمزة بن عبد المطلب بعد الابواء، بعثه في ثلاثين راكباً من المهاجرين الى سِيفِ البحر، فلقي أبا جهل في ثلثمائة راكب من أهل مكة، فحجز بينهم عَدِيّ بن حِجْرِ الجُهَنِيّ ولم يكن قتال .

ومنها بعث عُبَيْدَةَ بن الحرث بن عبد المُطَّلب في ستين راكباً وثمانين من المهاجرين، فبلغ ثَنِيَّةَ المِرَارِ(٢)، ولقي بها جمعاً عظيماً من قريش، كان عليهم عِكْرِمَةَ بن أبي جهل، وقيل مُكْرِز بن

(١) في نسخة ب: العشيرة بدر الأولى.
(٢) في نسخة ب: ثنية المرة.

حفص بن الأَحْنَفِ، ولم يكن بينهم قتال . وكان مع الكفار يومئذٍ من المسلمين المِقْدَادُ بن عمرو ، وعُتبَةُ بن غَزْوان، خرجا مع الكفار ليجدا السبيل الى اللحاق بالنبيّ (ص)، فهربا الى المسلمين وجاآ معهم . وكان بعث حمزة وعبيدة متقاربين، واختلف ايهما كان قبل، الا أنهما أول راية عقدها رسول الله (ص) .

وقال الطبري : ان بعث حمزة كان قبل ودّان في شوال لسبعة اشهر من الهجرة، ومنها بعث سعد[1] بن ابي وقّاص في ثمانية رهط من المهاجرين، لطلب كُرْزِ بن جابر حين أغار على سرح المدينة فبلغ المراد ورجع .

ومنها بعث عبدالله بن جَحْش إثر مرجعه من بدر الاولى في شهر رجب، بعثه بثمانية من المهاجرين وهم أبو حذيفة بن عُتْبَةَ، وعُكاشة بن محصن بن أسد بن خُزَيْمَةَ، وعُتبة بن غزوان بن مازن ابن منصور، وسعد بن أبي وقاص، وعامر بن ربيعة العَنَزِيّ حليف بني عَدِيّ ووافد بن عبدالله بن زيد مناة بن تميم، وخالد بن البكير بن سعد بن ليث وسُهَيل بن مضاض بن فهر بن مالك . وكتب له كتاباً، وأمره أن لا ينظر فيه حتى يسير يومين، ولا يكره أحداً من اصحابه . فلما قرأ الكتاب بعد يومين، وجد فيه أن تمضي حتى تنزل نخلة بين مكة والطائف، وترصد بها قريشاً،

(١) في نسخة ب : سعيد .

وتعلم لنا من أخبارهم. فاخبر اصحابه وقال: حتى ننزل نخلة بين مكة والطائف، ومن أحب الشهادة فلينهض، ولا أستكره أحداً. فمضوا كلهم وأضل سعد بن أبي وقاص، وعتبة بن غزوان في بعض الطريق بعيراً لهما كانا يعتقبانه، فتخلفا في طلبه، ونفر الباقون الى نخلة. فمرت بهم عير لقريش تحمل تجارة فيها عمرو ابن الحَضْرَمِيّ، وعثمان بن عبدالله بن المغيرة وأخوه نوفل، والحَكم ابن كَيْسَان مولاهم، وذلك آخر يوم من رجب. فتشاور المسلمون وتجرح بعضهم الشهر الحرام، ثم اتفقوا واغتنموا الفرصة فيهم. فرمى واقد بن عبدالله[1] عمرو بن الحَضْرَمِيّ فقتله، وأسروا عثمان ابن عبدالله، والحكم بن كَيْسان، وأفلت نوفل، وقدموا بالعير والاسيرين، وقد أخرجوا الخمس فعزلوه. فانكر النبيّ (ص) فعلهم ذلك في الشهر الحرام، فسقط في أيديهم ثم أنزل الله تعالى: ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ ﴾ ... الآية الى قوله: ﴿حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَٰعُوا۟﴾. فَسُرِّيَ عنهم وقبض النبيّ(ص) الخمس، وقسم الغنيمة، وحكي: وقبل الفداء في الاسيرين، وردهم الحكم بن كيسان منهما. ورجع سعد وعتبة سالمين الى المدينة. وهذه أول غنيمة غنمت في الاسلام، وأول غنيمة خُمِّسَت في الاسلام. وقتل عمرو بن الحضرمي هو الذي هاج وقعة بدر الثانية.

---

(١) في نسخة ب: عبد الله بن الواقد.

صرف القبلة

ثم صُرِفَتِ القبلة عن بيت المقدس، الى الكعبة، على رأس سبعة عشر شهراً من مقدمه المدينة . خطب بذلك على المنبر، وسمعه بعض الأنصار، فقام فصلى ركعتين الى الكعبة، قاله ابن حزم . وقيل على رأس ثمانية عشر شهراً، وقيل ستة عشر، ولم يقل غير ذلك .

غزوة بدر الثانية (العظمى والكبرى)

فاقام رسول الله (ص) بالمدينة الى رمضان في السنة الثانية، ثم بلغه أن عيرًا لقريش فيها أموال عظيمة، مقبلة من الشام الى مكة، معها ثلاثون أو أربعون رجلًا من قريش، عميدهم أبو سفيان، ومعه عمرو بن العاص، ومخرمة بن نوفل فندب عليه السلام المسلمين الى هذه العير، وأمر من كان ظهره حاضرًا بالخروج . ولم يحتفل في الحشد لانه لم يظن قتالًا، واتصل خروجه بابي سفيان، فاستأجر ضَمْضَمَ بن عمار الغِفاريّ، وبعثه الى أهل مكة يستنصرهم لعيرهم، فنفروا وأرعبوا إلا يسيرًا : منهم ابو لهب . وخرج (ص) لثمان خلون من رمضان، واستخلف على الصلاة عمرو بن

أم مكتوم، وردّ أبا لبابه من الروحاء، واستعمله على المدينة . ودفع اللواء الى مُصْعَب بن عُمَيْر، ودفع الى عليّ راية، والى رجل من الأنصار أخرى . يقال كانتا سوداوين . وكان مع أصحابه (ص) يومئذ سبعون بعيراً يعتقبونها فقط .

وجعل على الساقة قيس بن أبي صَعْصَعَةَ من بني النجَّار . وراية الانصار يومئذ مع سعد بن معاذ، فسلكوا نَقْبَ المدينة مع سعد ابن معاذ الى ذي الْحُلَيْفَةِ، ثم انتهوا الى صخيرات تمام، ثم الى بئر الروحاء . ثم رجعوا ذات اليمين عن الطريق الى الصفراء . وبعث عليه السلام قبلها بَسْبَسَ بن عمرو الْجُهَنِيّ حليف بني ساعدة، وعدِيّ ابن أبي الزغباء[1] الْجُهَنِي حليف بني النجَّار الى بدر يتجسسون أخبار ابي سُفْيَان وغيره . ثم تنكَّب عن الصفراء يميناً، وخرج على وادي ذَفِرَان، فبلغه خروج قريش ونفيرهم، فأستشار أصحابه . فتكلم المهاجرون وأحسنوا، وهو يريد ما يقوله الانصار وفهموا ذلك . فتكلم سعد بن معاذ، وكان فيما قال : لو استعرضت بنا هذا البحر لخضناه معك، فسر بنا يا رسول الله على بركة الله، فسرّ بذلك وقال : سيروا وأبشروا فان الله قد وعدني احدى الطائفتين .

ثم ارتحلوا من دقران الى قريب من بدر، وبعث علياً والزُّبَيْرَ

(١) في نسخة ب: الدغباء.

وسعدًا في نفر يلتمسون الخبر، فاصابوا غلامين لقريش فأتوا بهما، وهو عليه الصلاة والسلام قائم يصلي وقالوا : نحن سقاة قريش ! فكذبوهما كراهيةً في الخبر، ورجاء ان يكونا من العير للغنيمة، وقلة المؤنة، فجعلوا يضربونهما فيقولان : نحن من العير . فسلّم رسول الله (ص) وأنكر عليهم وقال للغلامين : أخبراني أين قريش؟ فاخبراه انهم وراء الكثيب [1] وانهم ينحرون يوماً عشرًا من الابل ويوماً تسعاً . فقال عليه السلام : القوم بين التسعمائة والالف . وقد كان بَسْبَسُ وعَدِيٌّ الجُهَنِيَّانِ مضيا يتجسسان الأخبار، حتى نزلا بدرًا وأناخا قرب الماء، واستقيا في شِنٍّ لهما ومجدي بن عمرو سيِّد جُهَيْنَةَ بقربهما . فسمع عدِيٌّ جارِيَةً من جواري الحي تقول لصاحبتها : العير تأتي غدًا أو بعد غد، فاعمل لهم واقضيك الذي لك . وجاءت الى مُجدِيّ بن عمرو فصدقها . فرجع بَسْبَسُ وعَدِيٌّ بالخبر، وجاء ابو سفيان بعدهما يتجسس الخبر . فقال لمجدي هل احسست أحداً؟ فقال : راكبين اناخا فيما يلي هذا التل، فاستقيا الماء ونهضا . فاتى ابو سفيان مناخهما وفتت من أبعار رواحلهما فقال : هذه والله علائف يثرب، فرجع سريعاً وقد حذر وتنكب بالعير الى طريق الساحل، فنجا واوصى الى قريش بانا قد نجونا بالعير فارجعوا !

(١) في نسخة ب : وراء الكتيف. والكتيف : الصفيحة من الحديد ونحوه، والكثيب : التل من الرمل.

فقال ابو جهل : والله لا نرجع حتى نرد ماء بدر ونقيم به ثلاثاً، وتهابنا العرب ابداً .

ورجع الأَخنسُ بن شُرَيق بجميع بني زُهرَةَ، وكان حليفهم ومطاعاً فيهم وقال : انما خرجتم تمنعون أموالكم، وقد نجت فرجعوا . وكان بنو عَدِيٍّ لم ينفروا مع القوم فلم يشهد بدراً من قريش عَدْوِيٌّ ولا زُهرِي .

وسبق رسول الله (ص) قريشاً الى ماء بدر، وثَبَّطَهُم عنه مطر نزل، وبله مما يليهم، وأصاب المسلمين دهس[1] الوادي، وأعانهم على السير . فنزل عليه السلام على ادنى ماء من مياه بدر الى المدينة، فقال له الحباب بن المنذر بن عمرو بن الجموح : آ لله أنزلك بهذا المنزل فلا نتحول عنك أم قصدت الحرب والمكيدة؟

فقال عليه السلام : لا بل هو الرأي والحرب! فقال يا رسول الله : ليس هذا بمنزل، وانما تأتي أدنى ماء من القوم فننزله ونبني عليه حوضاً فنملؤه، ونغوّر القلب كلها فنكون قد منعناهم الماء . فاستحسنه رسول الله (ص) ثم بنوا له عريشاً يكون فيه رسول الله (ص) حتى يأتيه[2] من ربّه النصر يريهم مصارع

(١) الدهس هو المكان السهل ليس برمل ولا تراب .
(٢) في نسخة ب : يكون فيه رسول الله (ص) واثقاً من ربه النصر .

القوم واحداً واحداً . ولما نزل قريش مما يليهم بعثوا عُمَير بن وهب الجَمَحِيّ يحذر لهم أصحاب رسول الله (ص)، وكانوا ثلثمائة وبضعة عشر رجلاً، فيهم فارسان: الزبير والمقداد. فحذرهم وانصرف وخبرهم الخبر. ورام حَكيمُ بن حِزام وعُتْبَة بن ربيعة أن يرجعا بقريش ولا يكون الحرب، فأبى أبو جهل وساعده المشركون، وتواقفت الفئتان. وعدّل رسول الله (ص) الصفوف بيده، ورجع الى العريش ومعه أبو بكر وحده، وطفق يدعو ويلح، وأبو بكر يقاوله ويقول في دعائه:

اللهمّ ان تَهلِك هذه العصابة لا تُعبَد في الارض، اللهم أنْجِز لي ما وعدتني. وسعد بن معاذ وقوم معه من الانصار على باب العريش يحمونه، وأخفق[1] رسول الله (ص) ثم انتبه فقال: أبشر يا أبا بكر فقد أتى نصر الله. ثم خرج يحرض الناس، ورمى في وجوه القوم بحفنة من حصى وهو يقول: شاهت الوجوه. ثم تزاحفوا، فخرج عُتْبَةُ وأخوه شَيْبَة وابنه الوليد يطلبون البراز، فخرج اليهم عُبَيْدَةُ بن الحرث وحمزة بن عبد المطلب، وعلي بن ابي طالب. فقتل حمزة وعلي شيبة والوليد، وضرب عُتبةُ عُبَيْدَةَ، فقطع رجله فمات. وجاء حمزة وعليٌّ الى عُتْبَة فقتلاه. وقد كان

(١) في نسخة ب: وطفق، وفي الكامل لابن الأثير ج ٢ ص ٨٧: وأغفى رسول الله في العريش، إغفاءة وانتبه.

برز اليهم عَوْف ومُعوذ ابنا عَفرَاء، وعبد الله بن رُواحة من الانصار فأبوا الا قومهم .

وجال القوم جولة، فهزم المشركون، وقتل منهم يومئذ سبعون رجلًا . فمن مشاهيرهم عُتبَة وشيبة ابنا ربيعة، والوليد بن عتبة وحَنظَلَة بن أبي سُفيان بن حرب، وابنا سعيد بن العاص عبيدة والعاص، والحرث بن عامر بن نوفل، وابن عمه طُعَيمَة بن عدي وزَمْعَةَ بن الاسود وابنه الحرث، وأخوه عقيل بن الاسود، وابن عمه أبو البُختَري بن هشام، ونوفل بن خُوَيلد بن أسد، وأبو جهل بن هشام . اشترك فيه معاذ ومعوذ ابنا عفراء، وجَدّه عبدالله بن مسعود وبه رمق فحزّ رأسه، وأخوه العاص بن هشام، وابن عمهما مسعود بن أميَّة وأبو قيس بن الوليد بن المُغيرَة وابن عمه ابو قيس بن الفاكِهِ، ونبيه ومُنبِه ابنا الحجاج، والعاص والحرث ابنا منبه، وأمية بن خلف وابنه عليّ، وعُمَيرُ بن عثمان عم طلحة .

وأُسِرَ العباس بن عبد المطلب، وعقيل بن أبي طالب، ونوفل بن الحرث[١] بن عبد المطلب، والسائب بن عبد يزيد من بني المطلب، وعمرو بن أبي سفيان بن حرب، وأبو العاص بن الربيع، وخالد بن أَسَيد بن أبي العيص، وعَدِيّ بن الخيار من بني نوفل. وعثمان بن عبد شمس ابن عمّ عتبة بن غزوان، وأبو عزيز أخو

(١) في نسخة ب : الحارث.

مصعب بن عمير، وخالد بن هشام بن المغيرة وابن عمه رِفَاعَةُ[1] بن ابي رفاعة، وأُمَيَّة بن أبي حُذَيْفَةَ بن الْمغِيرَةِ، والوليد بن الوليد أخو خالد، وعبدالله وعمرو ابنا أُبَيّ بن خَلَف، وسهيل بن عمرو في آخرين مذكورين في كتب السِيَر .

واستشهد من المسلمين :

من المهاجرين : عُبَيْدَةُ بن الحارث بن المطلب، وعمير بن ابي وقاص، وذو الشمالين عبد عمرو بن نَضْلَة الْخزاعِيّ حليف بني زُهْرَةَ، وصفوان بن بيضاء من بني الحرث بن فهر، ومهجع مولى عُمَرَ بن الخطاب رضي الله عنه، أصابه سهم فقتله . وعاقل ابن البكير الليثي حليف بني عَدِيّ من الأنصار . ثم من الأوس سعد بن خَيْثَمَةَ ومُبَشِّر بن عبد المُنْذِر . ومن الخزرج يزيد بن الحارث[2] بن الخزرج، وعمير بن الحمام، من بني سَلَمَةَ، سمع رسول الله (ص) يَحُضُّ على الجهاد، ويرغب في الجنة، وفي يده ثمرات يأكلهنّ . فقال : بخ بخ أما بيني وبين الجنة إلا أن يقتلني هؤلاء؟ ثم رمى بهنّ وقاتل حتى قُتِلَ . ورافع بن المُعَلّى من بني حبيب بن عبد حارثة، وحارثة بن سُراقَة من بني النَّجَّار، وعوف ومعوذ ابنا عفراء .

---

(١) في نسخة ب: وابن عمه حمير.
(٢) في نسخة ب: يزيد بن الحرث من بني الحرث بن الخزرج.

ثم انجلت قريش الحرب، وأمر رسول الله (ص) بقتلى المشركين فسحبوا الى القليب، وطم عليهم التراب. وجعل على النفل[1] عبدالله بن كعب بن عمرو بن مقدول بن عمر بن غنم بن مازن بن النجار. ثم انصرف الى المدينة، فلما نزل الصفراء قسم الغنائم كما أمر الله، وضرب عنق النضر بن الحرث بن كِلْدَة من بني عبد الدار. ثم نزل عرق الظبية، فضرب عنق عُقْبَة بن أبي معيط بن أبي عمرو بن أمية، وكان في الاسارى، ومرّ الى المدينة فدخلها لثمان بقين من رمضان.

غزوة الكرز

وبلغ رسول الله (ص) بعد رجوعه الى المدينة اجتماع غطَفان، فخرج يريد بني سليم بعد سبع ليال من منصرفه، واستخلف على المدينة سَبَّاع بن عَرْفَطَةَ الغِفَاري أو ابن أم مكتوم. فبلغ ماء يقال له الكرز، وأقام عليه ثلاثة أيام، ثم انصرف ولم يلق حرباً. وقيل أنه أصاب من نَعَمِهم ورجع بالغنيمة، وانه بعث غالب بن عبد الله الليثي في سرية، فنالوا منهم وانصرفوا بالغنيمة. وأقام رسول الله (ص) الى ذي الحجة، وفدى رسول الله (ص) اكثر أسارى بدر.

---

(١) في نسخة ب: وجعل على البقل.

غزوة السويق

ثم إن ابا سفيان لما انصرف من بدر نذر أن يغزو المدينة، فخرج في مائتي راكب حتى أتى بني النَّضِير ليلاً، فتوارى عنه حَيٌّ بن أخطَبَ، ولقيه سلام بن مُشكَمَ[1] وقراه، وأعلمه بخبر الناس. ثم رجع ومر باطراف المدينة، فحرق نخلاً، وقتل رجلين في حرث لهما. فنفر رسول الله (ص) والمسلمون، واستعمل على المدينة أبا لُبَابَة بن عبد المنذر، وبلغ الكرز، وفاته ابو سفيان والمشركون، وقد طرحوا سويقاً من أزوادهم ليتخففوا فاخذها المسلمون. فسميت لذلك غزوة السويق وكانت في ذي الحجة بعد بدر بشهرين.

ذي أمرّ: ثم خرج رسول الله (ص) في شهر المحرم غازياً غَطَفَان، واستعمل على المدينة عثمان بن عفان (رض)، فأقام بنجد صفر وانصرف ولم يلق حرباً.

نجران: ثم خرج رسول الله (ص) آخر ربيع الاول يريد قريشاً، واستخلف بن أم مكتوم، فبلغ نجران مَعْدناً في الحجاز ولم يلق حرباً. وأقام هنالك الى جمادى الثانية من السنة الثالثة وانصرف الى المدينة.

---

(١) في نسخة ب: سلام بن مسلم ونهاه.

قتل كعب بن الأشرف

وكان كعب بن الاشرف رجلاً من طي، وأمه من يهود بني النُضَيْر . ولما أصيب أصحاب بدر، وبعث رسول الله (ص) زيـد بن حارِثَةَ وعبدالله بن رُوَاحَةَ مبشرين الى المدينة جعل يقول : ويلكم احق هذا؟ وهؤلاء أشراف العرب وملوك الناس، وان كان محمد أصاب هؤلاء، فبطن الأرض خير مـن ظهرها . ثم قدم مكة ونزل على المُطَّلِبِ بن ابي وَداعَةَ السَهْمِيّ، وعنده عاتكة بنت أَسَيْد بن أبي العيص بن أمية . فجعل يحرض على رسول الله (ص)، وينشد الأشعار، ويبكي على أصحاب القُلَيْبِ . ثم رجع الى المدينة، فَشَبَّبَ بعاتِكَةَ، ثم شبب بنساء المسلمين . فقال رسول الله (ص) من يقتل كَعْب بن الأَشْرَف؟ فانتدب لذلك محمد بن مُسْلِمَةَ ومَلْكان بن سلامة بن وَقْش، وأبو نائلة من بني عبد الأشهل، أخو كعب من الرضاعة، وعَبَّاد بن بِشر بن وَقْش بن الحرث بن بشر بن معاذ، وأبو عبس بن جبر من بني حارثة .

وتقدم اليه ملكان بن سلامة، وأظهر له انحرافاً عن النبي (ص) عن أذن منه، وشكا اليه ضيق الحال . ورام أن يبيعه وأصحابه طعاماً، ويرهنون سلاحهم . فأجاب إلى ذلك، ورجع

الى أصحابه . فخرجوا وشيعهم رسول الله (ص) الى بقيع الفرقد[1] في ليلة قمراء، وأتوا كعباً، فخرج اليهم من حِصْنِه ومشوا غير بعيد، ثم وضعوا عليه سيوفهم. ووضع محمد بن مسلمة معولاً كان معه في ثنته[2] فقتله . وصاح عدوّ الله صيحة شديدة انذعر لها أهل الحصون التي حواليه، وأوقدوا النيران، ونجا القوم، وقد جُرح منهم الحرث بن أوس ببعض سيوفهم، فنزفه الدم وتأخر . ثم وافاهم بِحَرَّةِ العريض آخر الليل، وأتوا النبي (ص) وهو يصلي وأخبروه، وتفل على جرح الحرث فبرئ . وأذن للمسلمين في قتل اليهود لما بلغه أنهم خافوا من هذه الفعلة، وأسلم حينئذ حُوَيْصَةُ ابن مسعود، وقد كان أسلم قبله أخوه مُحَيِّصَةَ بسبب قتل بعضهم .

غزوة بني قينقاع

وكان بنو قينقاع لما انصرف رسول الله (ص) من بدر، وقف بسوق بني قينقاع في بعض الايام، فوعظهم وذكرهم ما يعرفون من أمره في كتابهم، وحذرهم ما أصاب قريشاً من البطشة فأساءوا الرد وقالوا : لا يَغُرَّنَّكَ أنك لقيت قوماً لا

---

(١) في نسخة ب : بقيع العرقد .

(٢) كذا في الأصل والأصح : ثنيته، والثنية هي أسنان مقدّم الفم وأما الثنّة فهي الشعرات التي في مؤخر رجل الفرس، وفي نسخة ب : في قبته .

يعرفون الحرب فأصبت منهم ! والله لئن حاربتنا لتعلمنّ أنا نحن الناس . فانزل الله تعالى : ﴿ وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَآءٍ ﴾ . وقيل بل قتل مسلمٌ يهودياً بسوقهم في حق ، فثاروا على المسلمين ونقضوا العهد ونزلت الآية . فسار اليهم رسول الله (ص) ، واستعمل على المدينة بشير بن عبد المنذر ، وقيل أبا لبابة ، وكانوا في طرف المدينة في سبعمائة مقاتل ، منهم ثلاثمائة دارع . ولم يكن لهم زرع ولا نخل ، انما كانوا تُجّارًا وصاغة يعملون بأموالهم ، وهم قوم عبد الله بن سلام . فحصرهم عليه السلام خمس عشرة ليلة لا يكلم أحداً منهم حتى نزلوا على حكمه فكتفهم ليقتلوا ، فشفع فيهم عبد الله بن أُبَيّ بن سلول ، وألح في الرغنة [١] حتى حقن له رسول الله (ص) دماءهم . ثم أمر باجلائهم وأخذ ما كان لهم من سلاح وضياع [٢] . وأمر عَبادة بن الصامت فمضى بهم الى ظاهر ديارهم ، ولحقوا بخيبر . وأخذ رسول الله (ص) الخمس من الغنائم ، وهو اول خمس أخذه ، ثم انصرف الى المدينة وحضر الأضحى ، فصلى بالناس في الصحراء ، وذبح بيده شاتين ، ويقال انهما اول أضحيته (ص) .

---

(١) رغن فيه : طمع . وفي نسخة ب : فألحّ في الرغبة .
(٢) في نسخة ب : وصياغة .

سرية زيد بن حارثة الى قردة

وكانت قريش من بعد بدر قد تخوّفوا من اعتراض المسلمين عِيرَهم في طريق الشام، فصاروا يسلكون طريق العراق. وخرج منهم تجار فيهم أبو سفيان بن حرب، وصفوان بن أمية، واستجاروا بفُرات بن حَيَّان بن بكر بن وائل، فخرج بهم في الشتاء وسلك بهم على طريق العراق. وانتهى خبر العير الى النبي (ص) وما فيها من المال وآنية الفضة، فبعث زيد بن حارثة في سرّيةٍ، فاعترضهم وظفر بالعير، وأتى بفرات بن حيان العِجْليّ أسيراً، فتعوذ بالاسلام وأسلم. وكان خمس هذه الغنيمة عشرين ألفاً.

قتل ابي الحقيق

كان سلام بن أبي الحُقَيْقِ هذا من يهود خيبر، وكنيته ابو رافع. وكان يؤذي رسول الله (ص) وأصحابه، ويُحَزّبُ عليهم الأحزاب مثلاً وقريباً من كعب بن الأشرف. وكان الأوس والخزرج يتصاولان تصاول الفحلين في طاعة رسول الله (ص) والذبّ عنه، والنيل من أعدائه لا يفعل أحد القبيلتين شيئاً الا فعل الآخرون مثله. وكان الأوس قد قتلوا كعب بن الاشرف كما ذكرناه، فأستأذن الخزرج رسول الله (ص) في قتل بن أبي

الحقيق، نظير ابن الاشرف في الكفر والعداوة . فأذن لهم، فخرج اليهم من الخزرج، ثم من بني سلمة[١] ثمانية نفر : منهم عبد الله بن عقيل ومُسْعر بن سِنان وأبو قَتَادةَ والحرث بن رَبَعي الخُزاعي من حلفائهم في آخرين . وأمّر عليهم عبد الله بن عقيل ونهاهم ان يقتلوا وليداً . او امرأة، وخرجوا في منتصف جمادى الآخرة من سنة ثلاث، فقدموا خيبر واتوا دار ابن ابي الحقيق في عِلِيّة له بعد ان انصرف عنه عميرة ونام وقد اغلقوا الأبواب بعد ان أتموا كلا عليهم، ونادوه ليعرفوا مكانه بصوته . ثم تعاوروه بسيوفهم حتى قتلوه، وخرجوا من القصر واقاموا ظاهره، حتى قام الناعي على سور القصر فاستيقنوا موته، وذهبوا الى رسول الله (ص) بالخبر . وكان احدهم قد سقط من دَرَجِ العلّيه فاصابه كسر في ساقه، فمسح عليه رسول الله (ص) فبرئت .

غزوة أُحُد

وكانت قريش بعد واقعة بدر قد توامروا[٢]، وطلبوا من أصحاب العير أن يعينوهم بالمال ليتجهزوا به لحرب رسول الله (ص)، فاعانوهم وخرجت قريش باحابيشها وحلفائها . وذلك

---

(١) في نسخة ب: من بني ساعدة سلمة.

(٢) لعلها تامروا إذ لم نجد معنى لهذه الكلمة.

في شوال من سنة ثلاث، واحتملوا الظعن التماساً للحفيظة وأن لا يفرّوا، وأقبلوا حتى نزلوا ذا الْحُلَيْفَةِ قرب أُحُد ببطن السَّبْخَةِ مقابل المدينة على شفير وادٍ هنالك. وذلك في رابع شوال، وكانوا في ثلاثة آلاف: منهم سبعمائة دارع ومائتا فرس، وقائدهم أبو سفيان، ومعهم خمس عشرة امرأة بالدفوف يبكين قتلى بدر. وأشار (ص) على أصحابه بأن يتحصنوا بالمدينة ولا يخرجوا، وإن جاءوا قاتلوهم على أفواه الأزِقَّةِ وافق ذلك على رأي عبدالله ابن أبي بن سلول، وألحّ قوم من فضلاء المسلمين ممن اكرمه الله بالشهادة فلبس لامته وخرج.

وقدم أولئك الذين الحوا عليه وقالوا: يا رسول الله! إن شئت فاقعد فقال: ما ينبغي لنبي اذا لبس لامته أن يضعها حتى يقاتل. وخرج في الف من اصحابه، واستعمل ابن أم مكتوم على الصلاة ببقية المسلمين بالمدينة. فلما صار بين المدينة وأُحدٍ انخذل عنه عبدالله بن أُبَيّ في ثلث الناس مغاضباً لمخالفة رأيه في المقام. وسلك رسول الله (ص) حَرَّةَ بني حارثة، ومرّ بين الحوائط، وأبو خَيْثَمَةَ من بني حارثة يدلّ به حتى نزل الشِّعْبَ من أحد، مستنداً الى الجبل. وقد سرحت قريش الظهر والكراع في زروع المسلمين، وتهيأ للقتال في سبعمائة فيهم خمسون فارساً وخمسون رامياً. وأمّر على الرماة عبدالله بن جبير من بني عمرو بن عَوف،

والأوس أخو خُوات، ورتبهم خلف الجيش ينضحون بالنبل لئلا يأتوا المسلمين من خلفهم . ودفع اللواء الى مُصْعَبَ بن عُمَيْر من بني عبد الدار. وأجاز يومئذ سُمْرَة بن جُنْدُبَ الغزاريّ، ورافع ابن خديج من بني حارثة في الرماة، وكِبِنّاهما خمسة عشر عاماً . وردّ أسامة بن زيد، وعبدالله بن عمر بن الخطاب . ومن بني مالك بن النجار زيد بن ثابت وعمرو بن حرام، ومن بني حارثة البَرّاء بن عازب، وأسيد بن ظهير . ورد عِرابَةَ بن أوس وزيد ابن أرقم وأبا سعيد الخُدْرِيّ، وسن جميعهم يومئذ اربعة عشر عاماً. وجعلت قريش على ميمنة الخيل خالد بن الوليد وعلى ميسرتهم عكرمة بن ابي جهل .

واعطي عليه السلام سيفه الى ابي دجانه سماك بن خَرْشَةَ من بني ساعِدَة، وكان شجاعاً بطلاً يختال عند الحرب. وكان مع قريش ذلك اليوم والد حنظلة غسيل الملائكة ابو عامر عبد الله عمرو بن صيفي بن مالك بن النعمان من ضُبَيْعَةَ، وكان في الجاهلية قد ترهب وتنسك . فلما جاء الاسلام غلب عليه الشقاء، وفر الى مكة في رجال من الاوس، وشهد أُحُدَ مع الكفار. وكان يعد قريش في انحراف الاوس اليه إلّا أنه سيدهم، فلم يصدق ظنه . ولما ناداهم وعرفوه قالوا : لا أنعم الله لك علينا يا فاسق! فقاتل المسلمين قتالاً شديداً، وأبلى يومئذ حمزةُ وطلحةُ وشيبةُ وأبو دُجَانَة

والنضر بن أنس [1] بلاءً شديداً، وأصيب جماعة من الانصار مقبلين غير مدبرين واشتد القتال، وانهزم قريش اولاً فخلت الرماة عن مراكزهم. وكرّ المشركون كرّةً وقد فقدوا متابعة الرماة، فانكشف المسلمون، واستشهد منهم من أكرمه الله، ووصل العدو الى رسول الله (ص). وقاتل مصعب بن عُمَير صاحب اللواء دونه حتى قتل، وجرح رسول الله (ص) في وجهه، وكسرت رباعِيَّتُهُ اليمنى السفلى بحجر، وهشمت البيضة في رأسه. يقال ان الذي تولى ذلك عتبةُ بن أبي وقّاص، وعمرو بن قُمَيْئَةَ اللّيْثي. وشدّ حنظلة الغسيل على ابي سفيان ليقتله، فاعترضه شدّاد بن الاسود الليثي من شعوب فقتله وكان جُنُباً. فاخبر رسول الله (ص) ان الملائكة غسلته. وأكبت الحجارة على رسول الله (ص) حتى سقط من بعض حفر هنالك، فأخذ علي بيده، واحتضنه طلحة، حتى قام. ومصّ الدم من جرحه مالك بن سنان الخدريّ والد ابي سعيد، ونشبت حَلْقَتان من حَلَقِ المِغْفَر في وجهه (ص)، فانتزعهما ابو عبيدة بن الجَرَّاح وعضّ عليهما فندرت ثنيتاه فصار أهتم [2]. ولحق المشركون رسول الله (ص)، وكرّ دونه نفر من المسلمين فقتلوا كلهم. وكان آخرهم عمّار بن يزيد بن

(١) في نسخة ب: النضر بن شميل.
(٢) ويقال أثرم بدل اهتم اهـ.
هتم هتماً: انكسرت ثناياه من أصولها، فهو أهتم.

السَّكْن . ثم قاتل طلحة حتى أَجْهَضَ[١] المشركين وأبو دجانة يقي النبي (ص) بظهره ، وتقع فيه النبل فلا يترك . واصيبت عين قتادة بن النعمان من بني ظفر ، فرجع وهي على وجنته ، فردها عليه السلام بيده فصحت وكانت أحسن عينيه .

وانتهى النضرُ بن أنس الى جماعة من الصحابة وقد دهشوا وقالوا : قتل رسول الله (ص) . فقال : فما تصنعون في الحياة بعده ! قوموا فموتوا على ما مات عليه . ثم استقبل الناس ، وقاتل حتى قتل ، ووجد به سبعون ضربة . وجرح يومئذ عبد الرحمن بن عوف عشرين جِرَاحَةً ، بعضها في رجله فعرج منها ، وقتل حمزة عم النبي (ص) ، قتله وحشي مولى جُبَيْرِ بن مطعِم بن عدي ، وكان قد جاء له على ذلك بعتقه ، فرآه يبارز سبّاع بن عبد العُزى ، فرماه بحربته من حيث لا يشعر فقتله . ونادى الشيطان : الا ان محمداً قد قتل ، لان عمرو بن قُمَيْئَة كان قد قتل مصعب بن عمير يظن أنه النبي (ص) ، وضربته أم عمارة نسيبة بنت كعب من بني مازِنَ ضربات فتوفي منها بِدِرْعَيْه ، وخشع المسلمون لما أصابه ، ووهنوا لصريخ الشيطان . ثم ان كعب بن مالك الشاعر من بني سلمة عرف رسول الله (ص) فنادى بأعلى صوته يبشر الناس ، ورسول الله (ص) يقول له

---

(١) أجهضه عن الأمر : أبعده ونحاه عنه ، وأبعده عن مكانه : أنهضه .

انصت : فاجتمع عليه المسلمون ونهضوا معه نحو الشعب ، فيهم أبو بكر وعُمَرُ وعليٌّ والزُبَيْرُ والحرث بن الصِمَّة[١] الأنصاري وغيرهم . وأدركه أُبَيٌّ بن خلف في الشعب ، فتناول (ص) الحربة من الحرث بن الصمة ، وطعنه بها في عنقه . فكر أُبَيٌّ مُنهزماً وقال له المشركون : ما بك من بأس ! فقال : والله لو بصق علي لقتلني ، وكان (ص) قد توعدّه بالقتل ، فمات عدوّ الله بسرف[٢] مرجعهم الى مكة . ثم جاء عليٌّ الى رسول الله(ص) بالماء ، فغسل وجهه ونهض ، فاستوى على صخرة من الجبل وحانت الصلاة فصلى بهم قعوداً .

وغفر الله للمنهزمين من المسلمين ونزل : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْاْ مِنكُمْ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ إِنَّمَا ٱسْتَزَلَّهُمُ ﴾ الآية . وكان منهم عثمان بن عفان وعثمان بن أبي عقبة الأنصاري . واستشهد في ذلك اليوم حمزة كما ذكرنا ، وعبدالله بن جحش ، ومصعب بن عمير في خمسة وستين معظمهم من الأنصار . وأمر رسول الله (ص) أن يدفنوا بدمائهم وثيابهم في مضاجعهم ، ولم يغسلوا ولم يصل عليهم . وقتل من المشركين اثنان وعشرون منهم الوليد بن العاص بن هشام ،

(١) في نسخة ب : بن الصامت.

(٢) في القاموس : سرف القوم جاوزهم ، ومقتضى السياق : أثناء مرجعهم إلى مكة . وسرف مكان بين مكة والمدينة .

وأبو أمية ابن ابي حُذَيْفَةَ بن المُغِيرَةَ، وهشام بن أبي حذيفة بن المغيرة وأبو عزّة عمرو بن عبدالله بن جمح . وكان أُسِرَ يوم بدر فمنّ عليه وأطلقه بلا فداء، على أن لا يعين عليه، فنقض العهد وأُسر يوم أُحد، وأمر رسول الله (ص) بضرب عنقه صَبْراً. وأُبَي ابن خَلَف قتله رسول الله (ص) بيده . وصعد أبو سفيان الجبل حتى أطل على رسول الله (ص) واصحابه، ونادى بأعلى صوته : الحرب سجال ! يوم أُحد بيوم بدر، أعل هبل . وانصرف وهو يقول : موعدكم العام القابل .

فقال عليه السلام : قولوا له هو بيننا وبينكم . ثم صار المشركون الى مكة، ووقف رسول الله (ص) على حمزة وكانت هند وصواحبتها قد جدّعنه وبقرن عن كبده، فلاكتها ولم تُسِغْها . ويقال انه لما رأى ذلك في حمزة قال : لئن أظفرني الله بقريش لامثلنّ بثلاثين منهم . ورجع رسول الله (ص) واصحابه الى المدينة. ويقال : انه قال لعليّ : لا يصيب المشركون منا مثلها حتى يفتح الله علينا .

غزوة حمراء الاسد

ولما كان يوم أُحد سادس عشر شوال، وهو صبيحة يوم أحد، أذن مؤذن رسول الله (ص) بالخروج لطلب العدوّ، وأن لا يخرج

إلا من حضر معه بالأمس . وفسح لجابر بن عبدالله ممن سواهم، فخرج ،خرجوا على ما بهم من الجهد والجراح . وصار عليه السلام متجلِّدًا مرهباً للعدوّ، وانتهى الى حمراء الاسد على ثمانية أميال من المدينة، وأقام بها ثلاثاً، ومرّ به هنالك معبد بن أبي معبد الخزاعي سائراً الى مكة . ولقي[1] أبا سفيان وكفار قريش بالروحاء، فاخبرهم بخروج رسول الله (ص) في طلبهم، وكانوا يرومون الرجوع الى المدينة، ففتّ ذلك في اعضادهم وعادوا الى مكة .

بعث الرجيع

ثم قدم على رسول الله (ص) في صفر متمّ الثلاثة من الهجرة، نفر من عَضَل والقارَةِ بني الهُونِ بن خُزَيْمَةَ أخوة بني أَسَد . فذكروا أنّ فيهم اسلاماً، ورغبوا أن يبعث فيهم من يُفقِّهُهُمْ في الدين . فبعثٍ معهم ستة رجال من اصحابه : مَرْثِد بن أبي مَرْثِد الغَنَوِيّ، وخالد بن البُكير اللَّيْثِيّ، وعاصِم بن ثابت ابن أبي الأَفْلَح من بني عمرو بن عوف، وحبيب بن عَدِيّ من بني جَحْجَبا بن كُلْفَة وزَيْد بن الدُّثُنَّة بن بَيَاضَة بن عامر، وعبدالله بن طارق حليف بني ظَفَر . وأمّرَ عليهم مرثداً منهم . ونهضوا مع القوم حتى اذا كانوا بالرجيع، وهو ماء لِهُذَيل

---

(١) في نسخة ب: ولحق.

قريباً من عَسْفان، غدروا بهم واستصرخوا هُذَيْلًا، فَغَشُوهم في رحالهم، ففزعوا الى القتال، فأمّنوهم وقالوا: إنا نريد نصيب بكم فداء من أهل مكة. فامتنع مرثد وخالد وعاصم من أمنهم، وقاتلوا حتى قتلوا، ورموا رأس عاصم بسيوفهم ليبيعوه من سلافة بنت سعد بن شهيد، وكانت نذرت أن تشرب فيه الخمر، لما قتل ابنيها من بني عبد الدار يوم أُحد، فارسل الله الدَّبْر [1] فَحَمَّتْ عاصماً منهم فتركوه الى الليل فجاء اليه السيل فاحتمله. وأما الآخرون فأسروهم وخرجوا بهم الى مكة ولما كانوا بمرّ الظهران انتزع ابن طارق يده من القرآن وأخذ سيفه فرموه بالحجارة فمات وجاءوا بِخُبَيْب وزيد الى مكة فباعوهما الى قريش فقتلوهما صبرًا.

غزوة بئر معونة

وقدم على رسول الله (ص) في صفر هذا ملاعب الأسِنَّة، أبو براء عامر بن مالك بن جعفر بن كلاب بن ربيعة بن عامر ابن صعصعة، فدعاه الى الاسلام فلم يسلم ولم يبعد وقال: يا محمد! لو بعثت رجالًا من أصحابك الى اهل نجد يدعوهم الى امرك، ورجوت ان يستجيبوا لك! فقال: أني أخاف [2] عليهم. فقال ابو براء: أنا لهم جار! فبعث رسول الله (ص) المنذر بن

---

(١) الدبر بفتح الدال وسكون الموحدة: الزنابير اهـ.

(٢) في نسخة به: أخشى.

عمرو من بني ساعِدَةَ في أربعين من المسلمين، وقيل في سبعين. منهم الحرث بن الصِمَّةِ وحرام ابن مَلْحان خال أَنَس وعامر[1] بن فُهَيْرة ونافع بن بُدَيل بن ورقاء، فنزلوا بئر معونة بين أرض بني عامر وحرّة بني سُلَيم، وبعثوا حرام بن ملحان بكتاب النبي (ص) الى عامر بن الطُفَيل، فقتله ولم ينظر في كتابه. واستعدى عليهم بني عامر فأبوا لجوار أبي براء اياهم، فاستعدى بني سليم، فنهضت منهم عَصِيَّة ورعَل وذَكوان وقتلوهم عن آخرهم. وكان سرحهم الى جانب منهم ومعهم المُنْذِرُ بن أُحَيْحَةَ[2] من بني الجَلّاح وعمرو بن أمية الضِمْرِيّ فنظرا إلى الطير تحوم على العسكر، فاسرعا الى اصحابهما فوجداهم في مضاجعهم. فأما المنذر بن أحيحة فقاتل حتى قتل، وأما عمرو بن أمية فجزّ عامر بن الطفيل ناصيته حين علم أنه من مُضَرَ لرقبة كانت عن أمه، وذلك لعشرة بقين من صفر، وكانت مع الرجيع في شهر واحد. ولما رجع عمرو بن أمية، لقي في طريقه رجلين من بني كلاب او بني سُلَيم، فنزلا معه في ظلّ كان فيه، معهما عهد من النبي (ص) لم يعلم به عمرو، فانتسبا له في بني عامر او سُلَيم، فعدا عليهما لما ناما وقتلهما. وقدم على النبي (ص) فاخبره بذلك فقال لقد قتلت قتيلين لأدينهما.

(١) في نسخة ب: وعمرو.
(٢) في نسخة ب: المنذر بن محمد بن الجلاح.

غزوة بني النضير

ونهض رسول الله (ص) الى بني النضير، مستعيناً بهم في ديّة هذين القتيلين، فأجابوا وقعد عليه السلام مع أبي بكر وعمر وعليّ ونفر من اصحابه الى جدار من جدرانهم، واراد بني النُضَيْرِ رجلًا منهم على الصعود الى ظهر البيت، ليلقي على النبي (ص) صخرة، فانتدب لذلك عمرو بن جِحاش بن كَعْب منهم، واوحى الله بذلك الى نبيه فقام، ولم يشعر أحداً من أصحابه . فاستبطأوه واتبعوه الى المدينة، فاخبرهم عن وحي الله بما أراد به يهود، وأمر من اصحابه بالتهيؤ لحربه . واستعمل على المدينة ابن أم مكتوم، ونهض في شهر ربيع الاول أول السنة الرابعة من الهجرة، فتحصنوا منه بالحصون، فحاصرهم ست ليالٍ، وأمر بقطع النخل واحراقها . ودسّ اليهم عبدالله بن أبيّ والمنافقون إنا معكم قتلتم او أخرجتم، ففرّ وهمّ بذلك ثم خذلوهم كرهاً وأسلموهم .

وسأل عبدالله من النبي (ص) أن يكف عن دمائهم ويُجْليهِمْ بما حملت الابل من أموالهم إلا السلاح، واحتمل الى خيبر من أكابرهم حييّ بن أخطب، وابن أبي الحقيق، فدانت لهم خيبر، ومنهم من سار الى الشام وقسم رسول الله (ص) أموالهم بين

المهاجرين الاولين خاصة، وأعطى منها أبا دَجانَةَ وسهل بن حنيف كانا فقيرين . وأسلم من بني النُضَيْرِ يامين بن عُمَيْر بن جِحاش وسعيد بن وهب فاحرزا اموالهما باسلامهما . وفي هـذه الغزاة نزلت سورة الحشر .

غزوة ذات الرقاع

وأقام رسول الله (ص) بعد بني النُضَيْرِ الى جمادى من السنة الرابعة، ثم غزا نجداً يريد بني مُحارِبَ وبني ثَعْلَبَةَ من غَطَفَان . واستعمل عـلى المدينة أبا ذرّ الغِفَارِيّ، وقيل عُثْمانَ بن عَفَّان، ونهض حتى نزل نجداً فلقي بها جمعاً من غطفان، فتقارب الناس ولم يكن بينهم حرب، إلا أنهم خاف بعضهم بعضاً، حتى صلى رسول الله (ص) بالمسلمين صلاة الخوف، فسميت ذات الرقاع لان اقدامهم نقبت وكانوا يلقون عليها الخرق .

وقال الواقدي : لان الجبل الذي نزلوا به، كان به سواد وبياض وحمرة رِقاعاً فسمي بذلك، وزعم أنها كانت في المَحْرَنِ .

غزوة بدر الصغرى ـ الموعد

كان أبو سفيان نادى يوم أحد كما قدمناه بموعد بدر من قابل، وأجابوه بأمر رسول الله (ص) . فلما كان في شعبان مـن هذه السنة الرابعة خرج لميعاده، واستعمل على المدينة عبدالله بن

أبي بن سلول، ونزل في بدر. فأقام هناك ثمان ليال، وخرج أبو سفيان في أهل مكّة حتى نزل الظَهْرانَ وعَسْفانَ. ثم بدا له في الرجوع، واعتذر بان العام عام جدب.

غزوة دومة الجندل

خرج اليها رسول الله (ص) في ربيع الاول من السنة الخامسة وخَلّف على المدينة سَبّاع بن عرفطة الغِفارِي. وقد كان بلغه أن جمعاً تجمَّعوا بها، فغزاهم ثم انصرفوا من طريقه قبل أن يبلغ دَوْمَةَ الجَنْدَل ولم يلقَ حرباً. وفيها وادع رسول الله (ص) عُيَيْنَةَ[1] ابن حِصْن أن يرعى باراضي المدينة، لان بلاده كانت أجدبت، وكانت هذه قد أخصبت بسحابة وقعت فأذن له في رعيها.

غزوة الخندق

كانت فى شوال في السنة الخامسة، والصحيح انها في الرابعة. كان ابن عمر يقول: ردني رسول الله (ص) يوم أُحُدٍ وانا ابن اربع عشرة سنة، ثم أجازني يوم الخندق وأنا ابن خمس عشرة سنة، فليس بينهما الى سنة واحدة وهو الصحيح، فهي قبل دَوْمَة الجندل بلا شك. وكان سببها أن نفراً من اليهود منهم

---

(١) في نسخة ب: عتبة.

سَلام بن ابي الحقيق وكنانة بن الربيع بن ابي الحقيق، وسلام ابن مُشكم وحييّ بن أخطب من بني النُضَيْر وهو ابن قيس، وأبو عَمّارة[1] من بني وائل لما انجلى بنو النضير الى خيبر خرجوا الى مكة يحزبون الاحزاب، ويحرضون على حرب رسول الله (ص)، ويرغبون من اشرأب الى ذلك بالمـال . فاجابهم أهل مكة الى ذلك، ثم مضوا الى غطفان، وخرج بهم عُيَيْنَةُ بن حصن على أشجع، وخرجت قريش وقائدها ابو سفيان بن حرب، في عشرة آلاف من أحابيشهم ومن تبعهم من كنانة وغيرهم . ولما سمع بهم رسول الله (ص) أمر بحفر الخندق على المدينة، وعمل فيه بيده والمسلمون معه، ويقال : إن سلمان أشار به. ثم أقبلت الاحزاب حتى نزلوا بظاهر المدينة بجانب أُحد. وخرج عليه السلام في ثلاثة آلاف من المسلمين، وقيل في تسعمائة فقط، وهو راجل بلا شك[2]، وخلف على المدينة ابن أم مكتوم، فنزل بسطح سلع، والخندق بينه وبين القوم، وأمر بالنساء والذراري فجعلوا في الأُطام .وكان بنو قريظة موادعـين لرسول الله (ص)، فأتاهم حَيِيّ واغراهم فنقضوا العهد ومالوا مع الاحزاب، وبلغ امرهم الى النبي (ص). فبعث سعد بن معاذ، وسعد بن عَبادة، وخَوات بن جُبَيْر وعبدالله ابن رُواحَةَ يستخبرون الامر، فوجدوهم مكاشفين بالغدر والنيل

(١) في نسخة ب: عمّار.
(٢) في نسخة ب: وهو الأصح.

من رسول الله (ص) . فشاتمهم سعــد بن معاذ، وكانوا احلافه وانصرفوا . وكان (ص) قد امرهم ان وجدوا الغدر حقاً، ان يخبروه تعريضاً لئلا يفتوا في اعضاد الناس . فلما جاءوا اليه قالوا يا رسول الله عضل والقارة يريدون غدرهم باصحاب الرجيع، فعظم الامر واحيط بالمسلمين من كل جهة . وهم بالفشل بنو حارثة وبنو سلمة، معتذرين بان بيوتهم عورة خارج المــدينة، ثم ثبتهم الله . ودام الحصار على المسلمين قريباً من شهر، ولم تكن حرب . ثم رجع رسول الله (ص) الى عُيَيْنَةَ بن حصين، والحرث بن عوف، أن يرجعا ولهما ثلثا ثمار[1] المدينة . وشاور في ذلك سعد بن معاذ، وسعد بن عبادة فأبيا وقالا : يا رسول الله ! أشيء أمرك الله به فلا بــد منه ؟ ام شيء تحبه فنصنعه لك ام شيء تصنعه لنا ؟ فقال : بل اصنعه لكم ! اني رأيت ان العرب رمتكم عن قوس واحدة . فقال سعد بن معاذ : قد كنا معهم على الشرك والاوثان، ولا يطمعون منا بثمرة الا شراء[2] وبيعاً، فحين اكرمنا الله بالاسلام واعزّنا بك نعطيهم اموالنا ! والله لا نعطيهم الا السيف . فطاب رسول الله (ص) وتمادى الامر، وظهر فوارس من قريش الى الخندق، فيهم عكرمة بن ابي جهل وعمرو بن عبد ودّ من

---

(١) في نسخة ب : ثلث ثمر المدينة .
(٢) في نسخة ب : الا قرى أو بيعاً .

بني عمرو بن لؤيّ، وضرار بن الخطاب من بني محارب. فلما رأوا الخندق قالوا: هذه مكيدة ما كانت العرب تعرفها. ثم اقتحموا من مكان ضيق حتى جالت خيلهم بين الخندق وسلع ودعوا الى البراز. وقتل علي بن ابي طالب عمرو بن عبد ودّ، ورجعوا الى قومهم من حيث دخلوا. ورمي في بعض تلك الايام سعد بن معاذ بسهم فقطع عنه الاكحل، يقال رماه حُبان بن قيس بن العرقة، وقيل ابو اسامة الجشمي حليف بني مخزوم. ويروى انه لما اصيب جعل يدعوا: اللهم ان كنت ابقيت من حرب قريش شيئاً فابقني لها، فلا قوم احب الي ان اجاهدهم من قوم آذوا رسولك، واخرجوه. وان كنت وضعت الحرب بيننا وبينهم فاجعلها شهادة لي، ولا تمتني حتى تقر عيني من بني قريظة.

ثم اشتدت الحال، واتى نعيم بن مسعود بن عامر بن أنيف ابن ثَعْلَبَةَ بن قُنْفُذ بن هِلال بن خَلَاوَةَ بن أشجع بن رَيْثِ بن غطفان فقال: يا رسول الله! إني اسلمت ولم يعلم قومي، فمرني بما تشاء. فقال: انما انت رجل واحد، فَتَخَذِّلْ عنا إن استطعت، فان الحرب خدعة. فخرج نعيم فاتى بني قريظة وكان صديقهم في الجاهلية، فنقم لهم في قريش وغطفان، وانهم إن لم يكن الظفر لحقوا ببلادهم وتركوكم، ولا تقدرون على التحول عن بلدكم، ولا طاقة لكم بمحمد واصحابه، فاستوثقوا منهم برهن ابنائهم حتى يصابروا معكم. ثم أتى أبا سفيان وقريشاً فقال لهم:

إن اليهود قد ندموا وراسلوا محمداً في المواعدة، على أن يسترهنوا ابناءكم ويدفعوهم إليه . ثم أتى غطفان وقال لهم مثلما قال لقريش . فارسل أبو سفيان وغطفان الى بني قُرَيْظَةَ في ليلة سبت، إنا لسنا بدار مقام فأعدوا للقتال . فاعتذر اليهود بالسبت وقالوا : مع ذلك لا نقاتل حتى تعطونا رهناً، فصدق القوم خبر نعيم وردوا اليهم بالاباية من الرهن والحث على الخروج، فصدّق أيضاً بنو قريظة خبر نعيم وأبوا من القتال . وأرسل الله على قريش وغطفان ريحاً عظيمة أكفأت قدورهم وآنيتهم، وقلعت ابنيتهم وخيامهم . وبعث عليه السلام حُذَيْفَةَ بن اليَمان عيناً، فأتاه بخبر رحيلهم، وأصبح ـ وقد ذهب الاحزاب ـ ورجع الى المدينة .

غزوة بني قريظة

ولما رجع رسول الله (ص) الى المدينة، أتاه جبريل بالنهوض الى بني قريظة، وذلك بعد صلاة الظهر من ذلك اليوم، فأمر المسلمين ان لا يصلي أحد العصر الا في بني قريظة . وخرج وأعطى الراية عليّ بن ابي طالب . واستخلف ابن أم مكتوم، وحاصرهم (ص) خمساً وعشرين ليلة . وعرض عليهم سيدهم كعب بن أسد إحدى ثلاث : إما الاسلام وإما تبييت النبي (ص) ليلة السبت، ليكون الناس آمنين منهم، وإما قتل الذراري

والنساء، ثم الاستماتة . فأبوا كل ذلك، وارسلوا الى النبي (ص) ان يبعث اليهم ابا لُبابَةَ بن عبد المنذر بن عمرو بن عوف، بما كانوا حلفاء الأوس، فارسله واجتمع اليه الرجال والنساء والصبيان فقالوا : يا ابا لبابة ترى لنا ان ننزل على حكم محمد ؟ قال نعم ! واشار بيده في حلقه انه الذبح . ثم رجع فندم وعلم انه اذنب، فانطلق على وجهه ولم يرجع الى النبي (ص)، وربط نفسه الى عمود في المسجد ينتظر توبة الله عليه، وعاهد الله ان لا يدخل ارض بني قريظة مكاناً خان فيه ربه ونبيه . وبلغ ذلك النبي (ص) فقال : لو اتاني لاستغفرنَّ له، فأما بعد ما فعل فما انا بالذي اطلقه حتى يتوب الله عليه، فنزلت توبته . فتولى عليه السلام اطلاقه بيده بعد ان قام مرتبطاً بالجذع ست ليالٍ لا يحل الا للصلاة . ثم نزل بنو قريظة على حكم النبي (ص)، فاسلم بعضهم ليلة نزولهم وهم نفر اربعة من هُذَيل اخوة قريظة والنُضَير . وفرّ منهم عمرو بن سعد القُرَظِيّ، ولم يكن دخل معهم في نقض العهد، فلم يعلم اين وقع . ولما نزل بنو قريظة على حكمه (ص) طلب الأوس ان يفعل فيهم ما فعل بالخزرج في بني النضير . فقال لهم: الا ترضون ان يحكم فيهم رجل منكم ؟ قالوا بلى ! قال فذلك الى سعد بن معاذ، وكان جريحاً منذ يوم الخندق . وقد انزله رسول الله (ص) في خيمة في المسجد ليعوده من قريب، فأتى به على حمار، فلما اقبل على المجلس قال رسول الله (ص) لهم : قوموا الى

سيدكم ! ثم قالوا : يا سعد ! ان رسول الله (ص) قد ولّاك حكم مواليك . فقال سعد : عليكم بذلك عهد الله وميثاقه . قالوا نعم... قال : فاني أحكم فيهم أن يقتل الرجال وتسبى الذراري والنساء وتقسم الاموال . فقال رسول الله (ص) لقد حكمت فيهم بحكم الله من فوق سبعة أرقعة . ثم انه أمر بهم فاخرجوا الى سوق المدينة وخندق لهم بها خنادق وضربت أعناقهم فيها وهم بين الستمائة والسبعمائة رجل . وقتلت فيهم امرأة واحدة بنانة امرأة الحَكَمِ القُرَظِيّ، وكانت طرحت على خِلال بن سُوَيد بن الصامِت رحى من فوق الحائط فقتله . وأمر عليه السلام بقتل من انبت منهم . ووهب لثابت بن قيس بن الشماس ولد الزبير بن باطا، فاستحيا منهم عبد الرحمن بن الزبير، كانت له صحبة . وبعد أن كان ثابت استوهب من النبي (ص) الزبير وأهله وماله، فوهبه ذلك، فر الزبير عليه يده وأبى إلّا القتل مع قومه اغتباطاً بهم قبحه الله .

ووهب عليه السلام لامّ المنذر بنت قيس من بني النجار رِفاعَةَ بن سَمَوْأل القُرَظِيّ، فأسلم رفاعة وله صحبة . وقسم (ص) أموال بني قريظة، فاسهم للفارس ثلاثة اسهم، وللراجل سهماً . وكانت خيل المسلمين يومئذ ستة وثلاثين فارساً . ووقع في سهم النبي (ص) من سُبِيّهم ريحانة بنت عمرو بن خِنافَةَ من بني عمرو

ابن قُرَيْظَةَ، فلم تزل في ملكه حتى مات رسول الله (ص)، وكان فتح بني قريظة آخر ذي القعدة من السنة الرابعة. ولما تم أمرهم اجيبت دعوة سعد بن معاذ، فانفجر عرقه ومات فكان مِمَّن استشهد يوم الخندق في سبعة آخرين من الأنصار، وأصيب من المشركين يوم الخندق أربعة من قريش فيهم عمرو بن عبد ودّ وابنه حَسْل، ونوفل بن عبدالله بن مُرَيْرَةَ[1] . ولم تغز كفار قريش المسلمين منذ يوم الخندق. ثم خرج رسول الله (ص) في جمادى الاولى من السنة الخامسة لستة أشهر من فتح بني قريظة، فقصد بني لَحْيَان يطالب بثأر عاصم بن ثابت وخُبَيْب بن عَدِيّ وأهل الرجيع، وذلك إثر رجوعه من دومة الجندل، فسلك على طريق الشام أوَّلا، ثم أخذ ذات اليسار الى صخيرات اليام، ثم رجع الى طريق مكة وأجدّ السير، حتى نزل منازل لُبْنى بين أمج وعسفان، فوجدهم قد حذروا وامتنعوا بالجبال، وفاتتهم الغِرَّة فيهم فخرج في مائتي راكب الى المدينة.

غزوة الغابة وذي قرد

وبعد قفوله والمسلمين الى المدينة بليال أغار عُيَيْنَةُ بن حِصن الفَزَارِي في بني عبدالله بن غَطَفَان فاستلحموا[2] لِقاح النبي (ص)

(١) في نسخة ب: ابن المغيرة.
(٢) في نسخة ب: فاكتسحوا.

بالغابـة، وكان فيها رجل من بني غِفار وامرأته، فقتلوا الرجل وحملوا المرأة ونزل بهم سلمة بن عمرو بن الاكوع الأَسْلَمِيّ، وكان ناهضاً فعلا ثنية الوداع وصاح باعلى صوته نذيراً بهم . ثم اتبعهم واستنقذ ما كان بايديهم، ولما وقعت الصيحة بالمدينة ركب رسول الله (ص) في أثرهم، ولحق به المقداد بن الأسود، وعباد[1] بن بشر، وسعد بن زيد من بني عبد الاشهل . وعُكاشة بن محصن ومُحرِز بن نَضْلَة الأسدِيّ وأبو قتادة من بني سلمة في جماعة من المهاجرين والانصار . وأمّر عليهم رسول الله (ص) سعد بن زيد، وانطلقوا في اتباعهم حتى أدركوهم، فكانت بينهم جولة قتل فيها محرز بن نضلة، قتله عبـد الرحمن بن عُيَيْنَة، وكان أول من لحق بهم . ثم ولى المشركون منهزمين، وبلغ رسول الله (ص) ما يقال له ذو قَرَد، فاقـام عليه ليلة ويومين[2]، ونحر ناقة من لقاحه المسترجعة، ثم قفل الى المدينة .

غزوة بني المصطلق

وأقام رسول الله (ص) الى شعبان من هذه السنة السادسة، ثم غزا بني المُصْطَلِق من خزاعة لما بلغه انهم يجتمعون له، وقائدهم الحرث بن ابي ضرار ابو جُوَيْرِيَـة[3] أم المؤمنين، فخرج اليهم

---

(١) في نسخة ب: عباس.
(٢) في نسخة ب: ويومها.
(٣) في نسخة ب: جويرة.

واستخلف أبا ذر الغِفَارِيّ، وقيل نُمَيْلَة بن عبدالله اللّيثي ولقيهم بالْمُرَيْسع من مياههم ما بين قديد والساحل، فتزاحفوا وهزمهم الله، وقتل من قتل منهم وسُبِيَ النساء والذُرِّيَّة، وكانت منهم جُوَيْرِيَةُ بنت الحرث سيدهم، ووقعت في سهم ثابت بن قيس، فكاتبها وادّى عليه السلام عنها وأعتقها وتزوجها. وأصيب في هذه الغزاة هشام بن صَبابَة الليْثِيّ من بني لَيْثِ بن بكر، قتله رجل من رهط عبادة بن الصامت غلطاً يظنه من العدو. وفي مرجع النبي (ص) من هذه الغزاة وفيها قال عبدالله بن أُبي بن سلول: لئن رجعنا الى المدينة ليخرجنّ الاعزّ منها الأذلّ. لمشاجرة وقعت بين جهجاه بن مسعود الغِفَاريّ أجير عُمَرَبن الخطاب وبين سنان بن واقد [1] الجُهَنِي حليف بني عوف بن الخزرج فتشاوروا [2] وتباهوا، فقال ما قال، وسمع زيد بن أرقم مقالته وبلغها الى رسول الله (ص). ونزلت سورة المنافقين، وتبرأ منه ابنه عبدالله وقال: يا رسول الله أنت والله الاعز وهو الاذل، وإن شئت والله أخرجته. ثم اعترض اباه عند المدينة وقال: والله لا تدخل حتى يأذن لك رسول الله (ص) فأذن له وحينئذ دخل وقال: يا رسول الله! بلغني أنك تريد قتل أبي وإني أخشى

---

(١) في نسخة ب: بن وفد.
(٢) في نسخة ب: فتشاوروا.

أن تأمر غيري فلا تدعني نفسي أن أقاتله، وان قتلته قتلت مؤمناً بكافر، ولكن مرني بذلك فانا والله أحمل اليك رأسه . فجزاه رسول الله (ص) خيراً، وأخبره أنه لا يصل الى ابيه سوء . وفيها قال أهل الإفك ما قالوا في شأن عائشة مما لا حاجة بنا الى ذكره، وهو معروف في كتب السير . وقد انزل الله القرآن الحكيم ببراءتها وتشريفها وقد وقع في الصحيح أن مراجعته وقعت في ذلك بين سعد بن عَبادة وسعد بن مَعاذ، وهو وهم ينبغي التنبيه عليه لان سعد بن معاذ مات بعد فتح بني قُرَيْظَة بلا شك، داخل السنة الرابعة، وغزوة بني المصطلق في شعبان من السنة السادسة بعد عشرين شهراً من موت سعد . والملاحاة بين الرجلين كانت بعد غزوة بني المُصْطَلَق بازيد من خمسين ليلة . والذي ذكر ابن اسحق عن الزُّهريّ عن عبيد الله بن عبد الله وغيره : ان المقاول لسعد بن عَبادة انما هو أُسَيْدُ بن الُحضَيْن والله أعلم .

ولما علم المسلمون ان النبي (ص) تزوج جُوَيْرِيَة اعتقوا كل من كان في أيديهم من بني المُصْطَلِق اصهار [1] رسول الله (ص)، فاطلق بسببها مائة من اهل بيتها . ثم ان رسول الله (ص) بعث الى بني المصطلق بعد اسلامهم بعامين الوليد بن عُقْبَة

---

(١) في نسخة ب: لصهر رسول الله (ص).

ابن أبي مَعيط لقبض صدقاتهم، فخرجوا يتلقونه فخافهم على نفسه، ورجع واخبر انهم هموا بقتله. فتشاور المسلمون في غزوهم، ثم جاء وفدهم منكرين ما كان من رجوع الوليد قبل لقيهم، وانهم انما خرجوا تلقية وكرامة وورودة. فقبل النبي (ص) ذلك منهم ونزل قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ ﴾ الآية.

عمرة الحديبية

ثم خرج رسول الله (ص) في السادسة من ذي القعدة منها معتمراً بعد بني المصطلق بشهرين، واستنفر الأعراب حوالي المدينة، فابطأ اكثرهم فخرج بمن معه من المهاجرين والأنصار، ومن اتبعه من العرب فيما بين الثلاثمائة بعد الألف الى الخمسمائة، وساق الهدي وأحرم من المدينة ليعلم الناس أنه لا يريد حرباً. وبلغ ذلك قريشاً فاجمعوا على صدّه عن البيت وقتاله دونه، وقدّموا خالد بن الوليد في خيل الى كِراعِ الغَميمِ. وورد خبرهم الى النبي (ص) بِعَسفَانَ فسلك على ثَنِيَّةِ المرار، حتى نزل الحُدَيْبِيَّة من اسفل مكة. وجاء من ورائهم، فكرّ خالد في خيله الى مكة، فلما جاء (ص) الى مكة بركت ناقته. فقال الناس خلأت فقال: ما خلأت وما هو لها بِخُلُقٍ، ولكن حبسها حابس الفيل ثم قال: والذي نفسي بيده، لا تدعوني قريش اليوم الى خِطَّةٍ

يسألوني فيها صِلَةَ الرَّحِمِ إلا اعطيتهم إياها . ثم نزل واشتكى الناس فقد الماء، فاعطاهم سهماً من كِنَانَتِهِ غرزوه في بعض القلوب من الوادي، فجاش الماء حتى كفى جميع الجيش .

يقال نزل به البَرّاء بن عازِب، ثم جرت السفراء بين رسول الله (ص) وبين كفار قريش، وبعث عُثمان بن عَفّان بينهما رسولًا. وشاع الخبر أنّ المشركين قتلوه، فدعا رسول الله (ص) المسلمين، وجلس تحت شجرة، فبايعوه على الموت وأن لا يفروا، وهي بيعة الرضوان . وضرب عليه السلام بيسراه على يمينه وقال : هذه عن عثمان . ثم كان سهيل بن عمرو آخر من جاء من قريش، فقاضى رسول الله (ص) قريشاً على أن ينصرف عامه ذلك، ويأتي من قابل معتمرًا، ويدخل مكة واصحابه بلا سلاح، حاشا السيوف في القُرُبِ، فيقيم بها ثلاثاً ولا يزيد، وعلى أن يتصل الصلح عشرة أعوام، يتداخل فيه الناس ويؤمن بعضهم بعضاً . وعلى أن من هاجر من الكفار الى المسلمين من رجل او امرأه يرد الى قومه، ومن ارتدّ من المسلمين اليهم لم يردوه . وعظم ذلك على المسلمين حتى تكلم فيه بعضهم، وقد كان النبي (ص) علم أن هذا الصلح سبب لأمن الناس وظهور الاسلام، وأن الله يجعل فيه مَرَجاً للمسلمين، وهو أعلم بما علّمه ربه . وكتب الصحيفة عليّ وكتب في صدرها : هذا ما قاضى عليه محمد رسول (ص) . فأبى سهيل من ذلك وقال : لو نعلم أنك رسول الله ما

قاتلناك . فأمر رسول الله (ص) علياً ان يمحوها فأبى، وتناول هو الصحيفة بيده ومحا ذلك وكتب محمد بن عبدالله .

ولا يقع في ذهنك من أمر هذه الكتابة ريب ، فانها قد ثبتت في الصحيح ، وما يعترض في الوهم من أن كتابته قادحة في المعجزة فهو باطل . لان هذه الكتابة اذا وقعت من غير معرفة باوضاع الحروف ولا قوانين الخط وأشكالها ، بقيت الأمية على ما كانت عليه ، وكانت هذه الكتابة الخاصة من إحدى المعجزات انتهى .

ثم أتى ابو جندل بن سهيل يرسف في قيوده، وكان قد اسلم فقال سهيل : هذا اول ما نقاضي عليه . فرده رسول الله (ص) الى أبيه ، وعظم ذلك على المسلمين . وأخبر النبي (ص) أبا جندل ان الله سيجعل له فرجاً . وبينما هم يكتبون الكتاب اذ جاءت سرية من جهة قريش ، قيل ما بين الثلاثين والاربعين يريدون الايقاع بالمسلمين ، فأخذتهم خيول المسلمين ، وجاءوا بهم الى رسول الله (ص) فاعتقهم ، واليهم ينسب العتيقيون ، ولما تم الصلح وكتابه أمر رسول الله (ص) أن ينحروا ويحلقوا ، فتوقفوا فغضب حتى شكى الى زوجته أم سلمة فقالت : يا رسول الله أخرج وانحر واحلق فانهم متابعوك ، فخرج ونحر وحلق رأسه حينئذ خراش ابن أُمَيّة الخزاعي ، ثم رجع رسول الله (ص) الى المدينة وما

فتح من قبله فتح كان أعظم من هذا الفتح . قال الزهري : لما كان القتال حيث لا يلتقي الناس[1]، فلما كانت الهدنة ووضعت الحرب اوزارها وأمن الناس بعضهم بعضاً، فالتقوا وتفاوضوا في الحديث والمنازعة، فلم يكلم أحد بالاسلام أحداً يفعل شيئاً الا دخل فيه . فلقد دخل في ذينك السنتين في الاسلام مثلما كان قبل ذلك أو اكثر .

ولما رجع (ص) الى المدينة لحقه ابو بصير[2] عُتْبَة بن أَسَيْد ابن حارثةَ هارباً، وكان قد أسلم وحبسه قومه بمكة وهو ثقفي من حلفاء بني زُهرَةَ . فبعث اليه الازهَرُ بن عبد عَوْف عمّ عبد الرحمن بن عوف، والاخنس بن شريف سيد بني زُهرَةَ رجلًا من بني عامر بن لُؤَيّ مع مولىً لهم . فاسلمه النبي (ص) فاحتملاه . فلما نزلوا بذي الحليفة أخذ ابو بصير السيف من أحد الرجلين، ثم ضرب به العَامِرِيّ فقتله، وفرّ الآخرون . وأتى أبو بصير الى النبي (ص) فقال يا رسول الله ! قد وفت ذمتك وأطلقني الله . فقال عليه السلام : وَيْلُمِّهِ[3] مسعر حرب، لو كان له رجال فبكى . ففطن ابو بصير من لحن هذا القول انه سيرده . وخرج الى سيف البحر على طريق قريش الى الشام، وانضاف اليه

---

(١) في نسخة ب: إنما كان القتال حيث يبتغي الناس.
(٢) في نسخة ب: أبو نصر.
(٣) أصله ويل أمه اهـ .

جمهور من يفرّ عن قريش ممّن أراد الاسلام . فآذوا قريشاً وقطعوا على رفاقهم وسابِلَتِهِم . فكتبوا الى النبي (ص) ان يضمهم بالمدينة . ثم هاجرت أم كلثوم بنت عُقْبَةَ بن ابي مَعِيط . وجاء فيها أخواها عَمارَةَ والوليد، فمنع الله من ردِّ النساء وفسخ ذلك الشرط المكتتب . ثم نسخت براءة ذلك كلّه وحرّم الله حينئذ على المسلمين امساك الكوافر في عصمتهم فانفسخ نكاحهن .

ارسال الرسل الى الملوك

قال ابن اسحق بعث رسول الله (ص) فيما بين الحُدَيْبِيَّةِ ووفاته، رجالًا من أصحابه الى ملوك العرب والعجم، دعاة الى الله عز وجلّ . فبعث سَلِيطَ بن عمرو بن عبد شمس بن عَبْدِ وِدّ أخا بني عامر بن لُؤَي الى هَوذَةَ [١] بن عليٍّ صاحب اليمامة . وبعث العلاء ابن الحَضْرَمِيّ الى المنذر بن ساوى أخي بني عبد القَيْس صاحب البحرين، وعمرو بن العاص الى جيفر بن جَلَنْدَى [٢] بن عامر بن جلندى صاحب عُمان . وبعث حاطِبَ بن أبي بَلْتَعَةَ الى المُقَوْقَس صاحب الاسكندرية، فأدّى اليه كتاب رسول الله (ص)، وأهدى المُقَوقس الى رسول الله (ص) أربع جوارٍ منهن مارِيَةُ ام ابراهيم

(١) في نسخة ب: هدوة.
(٢) في نسخة ب: إلى جبير بن خليد.

ابنه. وبعث رسول الله (ص) دِحْيَةَ بن خليفة الكَلْبيّ الى قيصر وهو هِرَقْل ملك الروم، فوصل الى بُصْرَى وبعثه صاحب بُصرى الى هرقل . وكان يرى في ملاحمهم ان ملك الختان قد ظهر وقرأ الكتاب واذا فيه :

بسم الله الرحمن الرحيم .

من محمد رسول الله الى هِرَقل عظيم[1] الروم ا السلام على من اتَّبعَ الهُدى . أما بعد أَسْلِمْ تَسْلَمْ، يُؤْتِكَ الله أَجْرَكَ مرَّتَين فان تَوَلَّيتَ فان عليك اثم الأَرِيسِيّين . وفي رواية : اثم الاكَّارين عليك تعيا بحمله . فطلب من في مملكته من قوم النبي (ص) فاحضروا له من غزة، وكان فيهم ابو سفيان فسأله كما وقع في الصحيح، فاجابه وعلم أحواله، وتفرس صحة أمره، وعرض على الروم أتباعه فأبوا ونفروا فلاطفهم بالقول واقصر .

ويروى عن ابن اسحق انه عرض عليهم الجزية فأبوا فعرض عليهم ان يصالحوا بارض سورية .

قالوا : وهي أرض فِلَسْطِين والأُرْدُنّ ودِمَشْقَ وحِمصَ ومادون الدرب . وما كان وراء الدرب فهو الشام ... فأبوا قال ابن اسحاق : وبعث رسول الله (ص) شجاع بن وهب الأَسَدِيّ أخا

(١) في نسخة ب : ملك الروم .

بني أسد بن خُزَيْمَةَ الى المنذر بن الحرث بن شَمِرٍ الغَسَّانِيّ صاحب دمشق، وكتب معه: السلام على من اتَّبَعَ الهُدَى وآمن به، أدعوك الى أن تؤمن بالله وحده لا شريك له يبقى لك ملكك. فلما قرأ الكتاب قال: من ينزع ملكي؟ أنا سائر اليه! فقال النبي (ص): باد ملكه.

قال: وبعث رسول الله (ص) عمرو بن أُمَيَّةَ الضمري إلى النجاشي في شأن جعفر بن أبي طالب واصحابه، وكتب معه كتاباً:

بسم الله الرحمن الرحيم

من محمد رسول الله الى النجاشِيّ الأَصْحَمِ عظيم الحبشة، سلام عليك! فاني احمد اليك الله الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن، وأشهد أن عيسى بن مريم روح الله وكلمته القاها إلى مريم الطيبة البتول الحصينة، فحملت بعيسى فخلقه من روحه ونفخه، كما خلق آدم [1] بيده ونفخه، وإني أدعوك الى الله وحده لا شريك له، والموالاة على طاعته، تتبعني وتؤمن بالذي جاءني، فاني رسول الله وقد بعثت اليك ابن عمي جعفراً ومعه نفر من

(١) في نسخة باريس هنا كلمة غير مقروءة ونظن أنها كلمة زائدة، وفي الطبري ج ٣ ص ٨٩: «كما خلق آدم بيده ونفخه».

المسلمين، فاذا جاءوك فاقرهم ودع التَجَرّي واني أدعوك وجنودك الى الله فلقد بلّغت ونصحت فاقبلوا نُصْحي والسلام على من اتبع الهدى . فكتب إليه النجاشي : الى محمد رسول الله من النجاشي الأصحم بن الحُرّ[1] ... سلام عليك يا رسول الله ورحمة الله وبركاته . احمد الله الذي لا إله إلا هو الذي هدانا للاسلام، أما بعد فقد بلغني كتابك يا رسول الله . فيما ذكرت من أمر عيسى فورب السماء والأرض ان عيسى ما يزيد بالرأي على ما ذكرت انه كما قلت، وقد عرفنا ما بعثت به إلينا، وقد قربنا ابن عمك وأصحابه، فأشهد انك رسول الله صادقاً مصدقاً، فقد بايعتك وبايعت ابن عمك واسلمت لله ربّ العالمين . وقد بعثت اليك بابني أرخا[2] الأصحم، فاني لا أملك إلا نفسي . وإن شئت ان آتيك فعلت يا رسول الله، فاني أشهد ان الذي تقول حق، والسلام عليك يا رسول الله .

فذكر انه بعث ابنه في ستين من الحبشة في سفينة فغرقت بهم، وقد جاء انه أرسل الى النجاشي[3] ليزوّجه أم حُبَيْبَة، وبعث اليه بالخطبة جاريته فاعطته أوضاحاً وفتحاً، ووكلت خالد بن سعيد

(١) في نسخة باريس : ابن أبحر.
(٢) في نسخة باريس : وقد بعثت إليك بابني ارعاز الأصحم.
(٣) في نسخة ب : وعن الواقدي أنه أرسل إلى النجاشي.

ابن العاص فزوّجها، ودفع النجاشي الى خالد بن سعيد أربعمائة دينار لصداقها، وجاءت اليها بها الجارية فاعطتها منها خمسين مثقالاً، فردّت الجارية ذلك بأمر النجاشي . وكانت الجارية صاحبة دُهنِهِ وثيابه . وبعث اليها نساء النجاشي بما عندهن من عودٍ وعَنْبَرٍ، وأركبها في سفينتين مع بقية المهاجرين، فلقوا النبي (ص) بخيبر، وبلغ أبا سفيان تزويج أم حبيبه منه فقال : ذلك الفحل الذي لا يقدع أنفه .

وكتب رسول الله (ص) في هذه السنة الى كسرى وبعث بالكتاب عبد الله بن حُذَافَةَ السهمي وفيه :

بسم الله الرحمن الرحيم .

من محمد رسول الله الى كسرى عظيم فارس ! سلام على من اتَّبَعَ الهدى وآمن بالله ورُسُله . أما بعد فأني رسول الله الى الناس كافَّةً لينذر من كان حيّاً . أَسْلِم تَسْلَم فان أبيت فعليك إثم المجوس .

فزق كسرى كتاب النبي (ص) فقال رسول الله (ص) : مزّق الله ملكه. وفي رواية ابن اسحق بعد قوله وآمن بالله ورسله، وأشهد ان لا إله الا الله وحده لا شريك له، وان محمداً عبده ورسوله، وأدعوك بدعاء الله، فاني أنا رسول الله الى الناس

كافة لأُنْذِر من كان حيًّا ويحق القول على الكافرين . فان ابيت فاثم الاريسيين عليك قال : فلما قرأه مزّقه، وقال : يكتب إليّ هذا وهو عبدي ! قال : ثم كتب كسرى الى باذان وهو عامله على اليمن أن ابعث الى هذا الرجل الذي بالحجاز رجلين من عندك جَلِدَيْن فليأتياني به . فبعث باذان قهرمانه بانَوَيْهِ، وكان حاسباً كاتباً بكتاب فارس ومعه خرخسرة من الفرس، وكتب اليه معهما ان ينصرف الى كسرى، وقال لقهرمانه : اختبر الرجل وعرفني بأمره، وأول ما قدما الطائف وسألا عنه فقيل هو بالمدينة . وفرح من سمع بذلك من قريش وكانوا بالطائف فقالوا : قطب له كسرى وقد كُفِيتُمُوه، وقَدِما على رسول الله (ص) بالمدينة فكلّمه بانَوَيْه[1] وقال : إنّ شاهِنْشَاه قد كتب الى الملك باذان أن يبعث إليه من يأتيه بك، وبعثني لتنطلق معي ويكتب معه اليك فينفعك، وإن أبيت فهو من علمت، ويهلك قومك ويخرب بلادك . وكانا قد حلقا لحاهما واعفيا شواربهما، فنهاهما رسول الله (ص) عن ذلك فقالا : أمرنا به ربنا يعنون به كِسْرَى فقال لهما : لكنّ ربي أمرني باعفاء لحيتي وقصّ شاربي، ثم اؤخّرهما الى غد .

وجاءه الوحي بان الله يسلِّط على كسرى ابنه شيرويه، فيقتله

(١) في نسخة ب: أبو بويه.

ليلة كذا من شهر كذا لعشر مضين من جمادى الأولى سنة سبع فدعاهما وأخبرهما فقالا: هل تدري ما تقول؟ يحزنانه عاقبة هذا القول فقال: اذهبا وأخبراه بذلك عني، وقولا له: إن ديـني وسلطاني سيبلغ ما بلغ ملك كسرى، وإن اسلمت اعطيتك ما تحت يدك، وملكتك على قومك من الأبناء، واعطى خرخسرة قطعةً فيها ذهبٌ وفضة، كان بعض الملوك اهداها له. فقدما على باذان وأخبراه فقال: ما هذا كلام ملك! ما ارى الرجل إلا نبيًّا كما يقول، ونحن ننتظر مقالته، فلم ينشب[1] باذان أن قدم عليه كتاب شيرويه:

أما بعد فاني قد قتلت كسرى، ولم اقتله إلّا غضباً لفارس، لما كان استحل من قتل أشرافهم، وتسخيرهم في ثغورهم. فاذا جاءك كتابي هذا، فخذ لي الطاعة ممن قِبَلَكَ، وأنظر الرجل الذي كان كسرى كتب فيه كثيراً إليك، فلا تهجه حتى يأتيك أمري فيه، فلما بلغ باذان الكتاب وأسلمت الابناء تسعة من فارس، ممَّن كان منهم باليمن. وكانت حِمْيَرُ تسمي خَرْخَسْرَةَ ذا المفخرة، للمنطقة التي أعطاه إياها النبي (ص). والمنطقة بلسانهم المفخرة[2] وقد كان بانويه قال لباذان ما كلمت رجلًا قط أهيب عندي منه فقال: هل معك شرط؟ قال لا!

---

(١) يلبث.

(٢) في نسخة ب: المعجزة.

قال الواقدي : وكتب الى المقوقس عظيم القبط يدعوه إلى الاسلام فلم يسلم .

غزوة خيبر

ثم خرج رسول الله (ص) من المدينة غازياً الى خيبر في بقية المُحَرَّم آخر السنة السادسة[1] وهو في الف وأربعمائة راجل ومائتي فارس . واستخلف نميلة بن عبد الله اللَّيْثي، وأعطى الراية لعلي بن أبي طالب، وسلك عن الصِهْبَاء حتى نزل بواديها الى الرجيع، فحيل بينهم وبين غَطَفَان . وقد كانوا ارادوا امداد يهود خيبر، فلما خرجوا لذلك قذف الله في قلوبهم الرُّعب لِحِسٍّ سمعوه من ورائهم، فانصرفوا وأقاموا في اماكنهم . وجعل رسول الله (ص) يفتتح حصون خيبر حِصْناً حِصْناً، فافتتح أولًا منها حصن ناعم، وألقيت على محمود بن سلمة من أعلاه رحىً فقتله . ثم افتتح القَمُوص حصن ابن أبي الحُقَيْقِ ، وأصيبت منهم سبايا : كانت منهن صَفِيَّة بنت حَيِيِّ بن أخطَبَ، وكانت عروساً عند كِنانة بن الربيع بن ابي الحُقَيْقِ فوهبها عليه السلام لِدِحْيَة الكلبي ثم ابتاعها منه بسبعة أرؤس، ووضعها عند أم سلمة حتى اعتدّت وأسلمت، ثم

(١) هذا منقول عن مالك بناء على أن ابتداء السنة من شهر الهجرة الحقيقي وهو ربيع وعلى المشهور محرم هو أول سنة سبع كما في المواهب ـ قاله نصر.

اعتقها وتزوجها . ثم فتح حصن الصعب بن معاذ، ولم يكن بخيبر اكثر طعاماً وودكاً منه . وآخر ما افتتح من حصونهم الوَطيحُ والسلالم، حصرهما بضع عشرة ليلة، ودفع الى عليٍّ الراية في حصار بعض حصونه فافتتحه، وكان أرمد، فتفل في عينيه (ص) فبرأ . وكان فتح بعض خيبر عنوة، وبعضها وهو الاكثر صلحاً على الجلاء . فقسمها (ص) وأقر اليهود على أن يعملوها بأموالهم وأنفسهم، ولهم النصف من كل ما تُخرِج من زرع او تمر، يقرهم على ذلك ما بدا له . فبقوا على ذلك الى آخر خلافة عُمَرَ، فبلغه أن النبي (ص) قال في مرضه الذي مات فيه : لا يبقى دينان بأرض العرب، فأمر باجلائهم عن خيبر وغيرها من بلاد العرب . وأخذ المسلمون ضياعهم من مغانم خيبر، فتصرّفوا فيها . وكان متولي قسمتها بين أصحابها جابِرُ بن صَخرٍ من بني سلمة، وزيد بن سلمة[1] من بني النجار . واستشهد من المسلمين جماعة تنيف على العشرين من المهاجرين والانصار، منهم عامر بن الاكوع وغيره . وفي هذه الغزاة حرمت لحوم الحُمُرِ الاهلية، فأُكفِئَت القدور وهي تفور بلحمها . وفيها أهدت اليهود زينب بنت الحرث امرأة سلام بن مُشكِمَ[2] الى النبي (ص) شاة مُصْلِيَةً، وجعلت السُمَّ في الذراع منها، وكان أحب اللحم اليه، فتناوله ولاك منه

(١) في نسخة ب: وزيد بن ثابت.

(٢) في نسخة ب: سلام بن مكشم.

مضغة ثم لفظها وقال : ان هذا العظم يخبرني أنه مسموم ، وأكل معه بشير بن البَرَّاء بن مَعْرُورٍ ، وازدرد لقمته فمات منها . ثم دعا باليهودِيَّة فاعترفت ولم يقتلها لاسلامها حينئذ على ما قيل، ويقال انه دفعها الى اولياء بشر فقتلوها .

قدوم مهاجرة الحبشة

وكان مُهَاجِرَةُ الحَبَشَةِ قد جاء جماعة[1] منهم الى مكة قبل الهجرة حين سمعوا باسلام قريش، ثم هاجروا إلى المدينة، وجاء آخرون منهم قبل خيبر بسنتين، ثم جاء بقيتهم إثر فتح خيبر . بعث رسول الله (ص) عمرو بن أُمَيَّةَ الضَّمْرِيِّ إلى النَّجَاشِيِّ في شأنهم ليقدمهم عليه، فَقَدِم جعفر بن أبي طالب وامرأته اسماء بنت عُمَيْسَ وبنوهما عبدالله ومحمد وعون، وخالِدُ بن سعيد بن العاص ابن أمية وامرأته أمينة بنت خَلَف وابنهما سعيد، وأم خالد وعمرو بن سعيد بن العاص ومُعَيقِبُ بن أبي فاطمة حليف أبي سعيد بن العاص وولِيّ بيت المال لعمر، وأبو موسى الأشعري حليف آل عُتْبَةَ بن ربيعة، والأسود بن نوفل بن خُوَيْلِدَ ابن أخي خديجة، وجهم بن قيس بن شُرَحبِيلَ بن عبد الدار وابناه عمرو وخُزَيْمَةَ، والحرث بن خالد بن صخر من بني تيم، وعثمان بن ربيعة بن أهبان من بني

(١) في نسخة ب: قد جاء من جاء منهم.

جمع ومَحْنِيَّة بن جَوْن الزُّبَيدِيّ حليف بني سهم، وَلِيَ لرسول الله (ص) الأخماس، ومعمر بن عبدالله بن نَضْلَةَ من بني عَدِيّ، وأبو حاطب بن عمرو بن عبد شمس بن عامر بن لُؤَيّ، وأبي عمرو مالك بن ربيعة بن قيس بن عبد شمس. فكان هؤلاء آخر من بقي بأرض الحبشة، ولما قدم جعفر على النبي (ص) يوم فتح خيبر قَبَّلَ ما بين عينيه والتزمه وقال: ما ادري بأيهما أنا أسَرّ بفتح خيبر أم بقدوم جعفر؟..

فتح فدك ووادي القرى

ولما اتصل بأهل فدك شأن اهل خيبر، بعثوا إلى رسول الله (ص) يسألونه الأمان على أن يتركوا الأموال فاجابهم إلى ذلك، فكانت خالصة لرسول الله (ص) مما لم يوجف عليه بخيل ولا ركاب، فلم يقسمها ووضعها حيث أمره الله. ثم انصرف عن خيبر الى وادي القرى، فافتتحها عَنْوَةً وقسمها وقتل بها غلامه مدغم، قال فيه لما شهد له الناس بالجنة: كلالة الشملة التي أخذها يوم خيبر من المغانم قبل القسم لتشتعل عليه ناراً، ثم رجع الى المدينة في شهر صفر.

عمرة القضاء

وأقام (ص) بعد خيبر الى انقضاء شوال من السنة السابعة، ثم خرج في ذي القعدة لقضاء العُمْرَة التي عاهده عليها قريش يوم

الحُدَيْبِيَّةِ ، وعقد لها الصلح ، وخرج ملأ قريش عن مكة عداوة لله ولرسوله وكرهاً في لقائه . فقضى عمرته وتزوج بعد إحْلاَلِهِ بَمَيْمُونَةَ بنت الحرث من بني هِلال بن علي بن خالة ابن عباس وخالد بن الوليد ، وأراد أن يبني بها وقد تمت الثلاثة التي عاهده قريش على المقام بها ، واوصوا اليه بالخروج واعجلوه على ذلك فبنى بها بِسَرْفٍ .

غزوة جيش الإمراء او غزوة مؤتة

وأقام رسول الله (ص) بعد منصرفه من عمرة القضاء الى جمادى الاول من السنة الثانية ، ثم بعث الامراء الى الشام . وقد كان اسلم قبل ذلك عمرو بن العاص ، وخالد بن الوليد ، وعثمان ابن طلحة بن أبي طلحة ، وهم من كبراء قريش . وقد كان عمرو ابن العاص مضى عن قريش الى النجاشيّ يطلبه في المهاجرين الذين عنده ، ولقي هنالك عمرو بن أُمَيَّة الضُمْرِيّ وافد النبي (ص) . فغضب النجاشي لما كلمه في ذلك ، فوفقه الله ورأى الحق ، فاسلم وكتم اسلامه . ورجع الى قريش واقي خالد بن الوليد فـاخبره فتفاوضا ، ثم هاجر الى النبي (ص) فاسلما . وبعث رسول الله(ص) خالداً مع بعث الشام ، وأمّرَ على الجيش مولاه زيد بن حارثة وكانوا نحواً من ثلاثة آلاف . وقال ان أصابه قَدَرٌ فالامير جعفر ابن ابي طالب ، فان أصابه قدر فالامير عبدالله بن رَوَاحَة ، فان

اصيب فليرتضِ المسلمون برجل من بينهم يجعلوه اميراً عليهم . وشَيَّعَهم (ص) وودعهم، ونهضوا حتى انتهوا الى مَعَانٍ من ارض الشام، فأتاهم الخبر بأن هِرَقل ملك الروم قد نزل مؤاب من ارض البَلْقَاء في مائة الف من الروم، ومائة ألف من نصارى العرب البادين هنالك من لَخمٍ وَجُذَامٍ وقبائل قُضَاعَةَ من بَهْرا وبَلِيّ والقَيْن، وعليهم مالكُ بن زَاحِلَةَ من بني اراشَةَ، فأقام المسلمون في معان ليلتين يتشاورون في الكتب الى رسول الله (ص) وانتظار امره ومدده . ثمّ قال لهم عبد الله بن رَوَاحَةَ : انتم انما خرجتم تطلبون الشهادة، وما نقاتل الناس بعدد ولا قوة الا بهذا الدين الذي اكرمنا الله به، فانطلقوا فهي احدى الحُسْنَيَيْنِ، اما ظهوره واما شهادتنا فوافقوه ونهضوا الى تخوم البلقاء فلقوا جموع هرقل عند قرية مؤتة ورتبوا المَيْمَنَةَ والمَيْسَرَة واقتتلوا، فقتل زيد ابن حارثة ملاقياً بصدره الرماح والراية في يده . فأخذها جعفر ابن ابي طالب وعقر فرسه، ثم قاتل حتى قطعت يمينه، فأخذها بيساره فقطعت فقتل كذلك، وكان ابن ثلاث وثلاثين سنة . فأخذها عبد الله بن رواحة، وتردّد عن النزول بعض الشيء، ثم صمم الى العدو، فقاتل حتى قتل . فأخذ الراية ثابت بن أقرن [1] من بني العجلان وناولها لخالد بن الوليد، فانحاز بالمسلمين، وأنذر

---

(١) في نسخة ب: ثابت بن أرقم.

النبي (ص) بقتل هؤلاء الامراء قبل ورود الخبر، وفي يوم قتلهم. واستشهد مع الامراء جماعة من المسلمين يزيدون على العشرة، اكرمهم الله بالشهادة. ورجعوا الى النبي (ص) فأحزنه موت جعفر، ولقيهم خارج المدينة، وحمل عبد الله بن جعفر بين يديه على دابته وهو صبي وبكى عليه، واستغفر له وقال: ابدله الله بيديه جناحين يطير بهما في الجنة فسمي ذا الجناحين.

فتح مكة

كان رسول الله (ص) حين عقد الصلح بينه وبين قريش في الحُدَيبِيَّةِ، أدخل خُزَاعَةَ في عقده المؤمن منهم والكافر، وأدخلت قريش بني بكر بن عبد مناة بن كنانة في عقدها، وكانت بينهم تِراتٌ في الجاهلية وذحول، كان فيها الأول للأسود بن رزق من بني الدِّئِل بن بكر بن عبد مناة وثأرهم[1] عند خزاعة لما قتلت حليفهم مالك بن عَبَّاد الحَضْرَمِيّ، وكانوا قد عقدوا على رجل من خُزَاعَةَ فقتلوه في مالك بن عباد حليفهم. وعَدَتْ خُزاعَةُ على سَلْمَى وكُلْثُومَ وذُؤَيب بني الأسود بن رزق فقتلوهم وهم أشراف بني كنانة. وجاء الاسلام فاشتغل الناس به،

(١) في نسخة ب: دم عند خزاعة.

ونسوا أمر هذه الدماء. فلما انعقد هذا الصلح يوم الحديبية، وأمن الناس بعضهم بعضاً، فاغتنم بنو الدئل هذه الفرصة في ادراك الثأر من خزاعة لقتلهم بني الأسود بن رزق. وخرج نوفل بن معاوية الدؤلي فيمن أطاعه من بني بكر بن عبد مناة وليس كلهم تابعه. وخرج معه بعضهم وخرجوا منهم وانحجزوا في دور مكّة، ودخلوا دار بُدَيلَ بن ورقاء الخُزَاعِيّ، ورجع بنو بكر وقد انتقض العهد، فركب بديل بن ورقاء وعمرو بن سالم في وفد من قومهم الى رسول الله (ص) مستغيثين مما أصابهم به بنو الدئل بن عبد مناة وقريش، فأجاب (ص) صريخهم، وأخبرهم أنّ أبا سفيان يأتي يشدّ العقد ويزيد في المدة، وانه يرجع بغير حاجة. وكان ذلك سبباً للفتح وندم قريش على ما فعلوا، فخرج ابو سفيان إلى المدينة ليؤكد العقد ويزيد في المدة، ولقي بديل بن ورقاء بعَسْفانَ، فكتمه الخبر وورّى له عن وجهه. وأتى ابو سفيان المدينة فدخل على ابنته أم حُبَيْبَة فطوت دونه فراش النبي (ص) وقالت: لا يجلس عليه مشركٌ! فقال لها: قد أصابك بعدي شرّ يا بنيّتي. ثم أتى المسجد وكلّم النبي (ص) فلم يجبه. فذهب الى ابي بكر وكلمه ان يتكلم في ذلك فابى فلقي عمر فقال: والله لو لم أجد إلا الذرّ لجاهدتكم به. فدخل على عليّ بن أبي طالب وعنده فاطمة وابنه الحسن صبياً فكلمه فيما أتى له فقال عليّ: ما نستطيع أن نكلّمه في أمر

عزم عليه فقال لفاطمة : يا بنت محمد ! أما تأمري [١] ابنك هذا فيجير بين الناس ؟ فقالت : لا يجير أحد على رسول الله (ص) ... فقال له عليّ : يا أبا سفيان ! انت سيد بني كنانة فقم فأجر وارجع الى ارضك . فقال : ترى ذلك مُغْنياً عني شيئاً ؟ فقال : ما أظنه ! ولكن لا أجد لك سواه .

فقام أبو سفيان في المسجد فنادى : ألا اني قد أجرت بين الناس ثم ذهب الى مكة وأخبر قريشاً فقالوا : ما جئت بشيء ، وما زاد ابن ابي طالب على أن لعب بك ... ثم أعلم رسول الله (ص) انه سائر إلى مكة، وأمر الناس بان يتجهزوا ، ودعا الله أن يطمس الأخبار عن قريش . وكتب اليهم حاطِبُ بن أبي بَلْتَعَةَ بالخبر مع ظَعِينَةٍ قاصدة الى مكّة، فأوحى الله إليه بذلك، فبعث علياً والزبير والمقداد الى الظعينة، فادركوها بروضة خاخ وفتشوا رحلها فلم يجدوا شيئاً وقالوا : رسول الله أصدق فقال علي : لتخرجنّ الكتاب او لتلقينّ الحوائج، فاخرجته من قرون رأسها . فلما قرىء على النبي (ص) قال : ما هذا يا حاطب ؟ فقال : يا رسول الله ! والله ما شككت في الاسلام ! ولكني ملصق في قريش، فاردت عندهم يداً يحفظوني [٢] بها في مخلف

---

(١) كذا بالأصل وهي لغةٌ : أما تامرين ، ولعل المؤلف نقلها كما وردت .
(٢) كذا بالأصل وهي لغةٌ : يحفظونني ، ولعله نقلها كما وردت .

أهلي وولدي، فقال عمر: يا رسول الله! دعني اضرب عنق هذا المنافق فقال: وما يدريك يا عمر؟ لعلّ الله اطلع على أهل بدر فقال: اعملوا ما شئتم فاني قد غفرت لكم.

وخرج (ص) لعشر خلون من رمضان من السنة الثامنة في في عشر آلاف فيهم من سُلَيم ألف رجل، وقيل سبعمائة. ومن مُزَيْنَةَ ألف، ومن غِفَارِ اربعمائة، ومن أسلم اربعمائة، وطوائف من قريشٍ وأسدٍ وتميمٍ وغيرهم. ومن سائر القبائل جموع وكتائب الله من المهاجرين والأنصار. واستخلف ابا رُهْمٍ الغفاري على المدينة، ولقيه العباس بذي الحُليفة، وقيل بالجُحْفَةِ مهاجراً. فبعث رحله الى المدينة وانصرف معه غازياً، ولقيه بشق العقاب، أبو سفيان بن الحرث وعبدالله بن ابي أمية مهاجرين، واستأذنا فلم يؤذن لهما، وكلمته أم سلمة فاذن لهما وأسلما فسار حتى نزل مرّ الظهران، وقد طوى الله أخباره عن قريش، الا انهم يتوجسون الخيفة. وخشي العباس تلافي قريش إن فاجأهم الجيش قبل أن يستأمنوا، فركب بغلة النبي (ص) وذهب يتحسس، وقد خرج ابو سفيان وبُدَيْلُ بن وَرْقاء وحكيم بن حِزام يتجسسون الخبر. وبينما العباس قد أتى الأراك ليلقي من السابِلَةِ من ينذر أهل مكة، اذ سمع صوت أبي سفيان وبديل وقد أبصرا نيران العساكر، فيقول بُدَيْلٌ: نيران بني خزاعة، فيقول ابو سفيان خزاعة أذل من أن تكون هذه نيرانها وعسكرها. فقال العباس:

هذا رسول الله (ص) بالناس، والله إن ظفر بك ليقتلنك وأصباح قريش فارتدف خلفي . ونهض به الى المعسكر، ومرّ بعمر فخرج يشتد الى رسول الله (ص) يقول : الحمد لله الذي أمكنني منك بغير عقد ولا عهد . فسبقه العباس على البغلة ودخل على أثره فقال : يا رسول الله ! هذا عدوّ الله ابو سفيان أمكنني الله منه بلا عهد فدعني أضرب عنقه . فقال العباس : قد اجرته ! فزأره عمر فقال العباس : لو كان من بني عديّ ما قلت هذا ، ولكنه من عبد مناف . فقال عمر : والله لاسلامك كان أحب اليّ من اسلام الخطاب لاني أعرف انه عند رسول الله (ص) كذلك . فأمر رسول الله (ص) العباس ان يحمله الى رحله ويأتيه به صباحاً . فلما أتى به قال له (ص) : ألم يأنِ لك أن تعلم ان لا إله الا الله ؟ فقال : بأبي انت وأمي ما احلمك وأكرمك واوصلك . والله لقد علمت لو كان معه إله غيره أغنى عنا فقال : ويحك ألم يأن لك أن تعلم أني رسول الله قال : بأبي أنت وأمي ما أحلمك وأكرمك وأوصلك أما هذه فان في النفس منها حتى الآن شيئاً .

فقال له العباس : ويحك أسلم قبل أن يضرب عنقك فأسلم. فقال العباس : يارسول الله ! إنّ ابا سفيان رجل يحب الفخر فاجعل له شيئاً . قال نعم ! من دخل دار أبي سفيان فهو آمن ، ومن أغلق عليه بابه فهو آمن ، ومن دخل المسجد فهو آمن . ثم أمر

العباس ان يُوقِفَ أبا سفيان بخطم الوادي ليرى جنود الله، ففعل ذلك، ومرت به القبائل قبيلة قبيلة، الى ان جاء موكب رسول الله (ص) في المهاجرين والانصار عليهم الدروع البيض. فقال من هؤلاء؟ فقال له العباس: هذا رسول الله (ص) في المهاجرين والانصار، فقال لقد أصبح ملك ابن أخيك عظيماً. فقال يا ابا سفيان إنها النبوة. فقال: فهي اذاً. فقال له العباس: النجاء الى قومك، فاتى بهم مكة وأخبرهم بما أحاط بهم وبامان رسول الله وبقول النبي (ص) من أتى المسجد او دار أبي سفيان او أغلق بابه.

ورتّب الجيش وأعطى سعد بن عبادة الراية فذهب يقول:

اليَوْمُ يَومُ اَلْمَلْحَمَةْ اليَوْمُ تُستَحَلُّ الحَرَمَةْ

وبلغ ذلك النبي (ص) فأمر علياً أن يأخذ الراية منه، ويقال أمر الزبير وكان على الميمنة خالد بن الوليد، ومنها أَسْلَمُ وغِفَارٌ ومُزَيْنَةُ وجُهَيْنَةُ، وعلى الميسرة الزُبَيْرُ، وعلى المُقَدّمَةِ ابو عُبَيْدَةَ ابن الجرّاح.

وسرّب رسول الله (ص) الجيوش من ذي طُوَى، وأمرهم بالدخول إلى مَكّة. الزُبَيْرُ من اعلاها، وخالِدُ من أسفلها، وأن يقاتلوا من تعرض لهم. وكان عِكْرِمَةُ بن أبي جَهْلٍ وصَفوَانُ بن أُمَيّة وسُهَيْلُ بن عمرو قد جمعوا للقتال. فناوشهم اصحاب خالد

القتال، واستُشهِدَ من المسلمين كُرزُ بن جابر من بني محارب، وَخُنَيْسُ بن خالد من خُزَاعَةَ، وسلمة بن جُهَيْنَةَ، وانهزم المشركون وقتل منهم ثلاثة عشر، وأمّن النبي (ص) سائر الناس. وكان الفتح لعشر بقين من رمضان وأهدر دم جماعة من المشركين سماهم يومئذ: منهم عبدُ العُزّى بن خَطَلٍ من بني تميم، والأَدْرَمُ ابن غالب كان قد أسلم وبعثه رسول الله (ص) مُصَدِّقاً ومعه رجل من المشركين، فقتله وارتدّ ولحق بمكة. وتعلق يوم الفتح بأستار الكعبة، فقتله سعد بن حُرَيْثٍ المخزومي وابو بَرْزَةَ الأَسْلَمِيّ.

ومنهم عبدالله بن سعيد بن أبي سَرْح، كان يكتب للنبي (ص)، ثم ارتدّ ولحق بمكة. ونُمِيَت عنه أقوال، فاختفى يوم الفتح، وأتى به عثمان بن عفّان، وهو أخوه من الرضاعة فاستأمن له، فسكت عليه السلام ساعة ثم أمنه. فلما خرج قال لاصحابه: هلّا ضربتم عنقه! فقال له بعض الانصار هلّا اومأت إليّ فقال: ما كان لنبي ان تكون له خائنة الأعين، ولم يظهر بعد اسلامه إلّا خير وصلاح واستعمله عمر وعثمان.

ومنهم الحويرث بن نفيل[1] من بني عبد بن قُصَيّ كان يؤذي رسول الله (ص) بمكة، فقتله علي بن أبي طالب يوم الفتح. ومنهم مَقِيسُ بن صَبابَة كان هاجر في غزوة الخندق، ثم عدا على رجل

(١) قوله نفيل وفي المواهب: نقيد.

من الانصار كان قتل أخاه قبل ذلك غلطاً، ووداه فقتله وفرّ الى مكة مرتدًا. فقتله يوم الفتح نُمَيْلَةُ بن عبدالله اللَّيْثِيّ وهو ابن عمه.

ومنهم قَيْنتا ابنِ خَطَلٍ كانتا تُغَنّيان بهجوِ النبي (ص) فقتلت احداهما واستؤمن للأخرى فأمنها.

ومنهم مولاةٌ لبني عبد المُطَّلِبِ اسمها سارَة، واستؤمن لها فأمنها رسول الله (ص). واستجار رجلان من بني مخزوم بأم هانئ بنت ابي طالب. يقال انهما الحرث بن هشام وزهير بن أبي أمية أخو أم سلمة، فأمنتهما. وأمضى رسول الله (ص) أمانها فأسلما.

ثم دخل رسول الله (ص) المسجد، وطاف بالكعبة، وأخذ المفتاح من عثمان بن طلحة، بعد أن مانعت دونه أم عثمان ثم أسلمته. فدخل الكعبة ومعه أسامة بن زيد، وبلال وعثمان ابن طلحة، وأبقى له حجابة البيت، فهي في ولد شيبة الى اليوم. وأمر بكسر الصور داخل الكعبة وخارجها، وبكسر الأصنام حواليها. ومرّ عليها وهي مسدودة بالرصاص يشير اليها بقضيب في يده وهو يقول: جاء الحق وزهق الباطل إنّ الباطل كان زهوقاً. فما بقي منهم[1] صنم إلّا خرّ على وجهه، وأمر بلالاً

(١) كذا. وينبغي منها؛ لأن «هم» ترجع لغير العاقل.

فأذّن على ظهر الكعبة . ووقف رسول الله (ص) بباب الكعبة ثاني يوم الفتح، وخطب خطبته المعروفة ووضع مآثر الجاهلية، إلّا سِدَانَةَ البيت وسِقَايَةَ الحاج . وأخبر أن مكة لم تحلّ لأحد قبله ولا بعده، وانما أحلت له ساعة من نهار ثم عادت كحرمتها بالأمس [١] ثم قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له صدق وعده ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده، ألا إن كل مأثورة او دم او مال يدّعى في الجاهلية فهو تحت قدميّ هاتين، إلّا سِدانَةَ الكعبة وسِقايَةَ الحاج . ألا وإن قتل الخطأ مثل العمد بالسوط والعصا فيهما الدِيَة مغلظة منها، اربعون في بطونها اولادها . يا معشر قريش إن الله قد أذهب عنكم نخوة الجاهلية وتَعَظُّمَهَا بالآباء، الناس من آدَمَ وآدَمُ خلق من تراب .

ثم تلا رسول الله (ص) : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ يا معشر قريش ويا أهل مكة ما ترون أني فاعل فيكم؟ قالوا خيراً ! أخ كريم ثم قال: اذهبوا فأنتم الطلقاء، واعتقهم على الاسلام ، وجبس لهم فيما قيل على الصفا ، فبايعوه على السمع والطاعة لله ولرسوله فيما استطاعوا ولما فرغ من بيعة الرجال بايع النساء . امر عمر بن الخطاب (رض) ان يبايعهن ،

---

(١) في نسخة ب: ثم أعيدت لحرمتها بالأمس.

واستغفر لهن رسول الله (ص) لانه كان لا يمس امرأة حلالًا ولا حراماً . وهرب صفوان بن أمية الى اليمن، واتبعه عمير بن وهب من قومه بامان النبي (ص) له، فرجع وانذره اربعة اشهر. وهرب ابن الزبير الشاعر الى نجران، ورجع فأسلم، وهرب هُبَيْرَةُ بن أبي وهب المخزوميّ زوج أم هاني إلى اليمن فمات هنالك كافراً.

ثم بعث النبي (ص) السرايا حول مكة، ولم يأمرهم بقتال، وفي جملتهم خالد بن الوليد الى بني جُذَيْمَةَ بن عامر بن عبد مناة ابن كنانة، فقتل منهم وأخذ ذلك عليه، وبعث اليهم علياً بمال فودى لهم قتلاهم، ورد عليهم ما أخذ لهم . ثم بعث رسول الله (ص) خالداً الى العزى، بيت بنخلة كانت قصر تعظمه من قريش وكنانة وغيرهم . وسدنة بنو شَيْبَان من بني سُلَيم حلفاء بني هاشم فهزمهم . ثم ان الانصار توقفوا الى ان يقيم (ص) بمكة داره بعد ان فتحها، فاهمّهم ذلك وخرجوا له فخطبهم (ص)، وأخبرهم ان المَحيا مَحياهم والممات مماتهم فسكتوا لذلك واطمأنّوا .

غـــزوة حُنَيْن

وأقام رسول الله (ص) بمكة خمس عشرة ليلة، وهو يقصر الصلاة، فبلغه أن هوازنَ وثَقِيفَ جمعوا له وهم عامِدون إلى

مكّة، وقد نزلوا حُنَيناً، وكانوا حين سمعوا بمخرج رسول الله (ص) من المدينة يظنون أنه انما يريدهم . فاجتمعت هوازن الى مالك ابن عَوْفٍ من بني النُضَيْرِ[1] وقد أوعب معه بني نصر بن معاوية ابن بكر بن هوازن، وبني جَشَم بن معاوية وبني سَعْدِ بن بكرٍ، وناساً من بني هلال بن عامر بن صَعْصَعَةَ بن معاوية، والأحلاف من بني مالك بن ثقيف بن بكر، ولم يحضرها من هوازن كعب ولا من كلاب، وفي جشم دُرَيْدُ بن الصِمَّةِ بن بكر بن علقمة بن خُزاعَةَ بن أَزِيَّةَ بن جشم، رئيسهم وسيدهم شيخ كبير ليس فيه إلا لِيُؤتَمَّ برأيه ومعرفته .

وفي ثقيف سيدان ليس لهم في الأحلاف إلا قارب بن الأسود بن مسعود بن معتب[2] وفي بني مالك ذو الخِمارِ سُبَيْعُ ابن الحرث بن مالك وأخوه أَحْمَرُ، وجمع أمر الناس الى مالك ابن عوف . فلما أتاهم أن رسول الله (ص) قد فتح مكة، أقبلوا عامدين إليه . وساق مالك مع الناس أموالهم ونساءهم وابناءهم، يرى انه أثبت لموقفهم، فنزلوا بأَوْطاسَ . فقال دريد بن الصمة لمالك : مالي اسمع رُغاءَ البعير ونِهاقَ الحمار وبعار الشاء وبكاء الصغير . فقال : اموال الناس وابناؤهم، سقنا معهم ليقاتلوا عنها،

---

(١) في نسخة ب: من بني نصر.
(٢) في نسخة ب: بن مغيث.

فقال: راعي ضأن والله، وهل يردّ المنهزم شيء؟ إن كانت لك لم ينفعك إلّا رجل بسلاحه، وإن كانت عليك فضحت في أهلك ومالك. ثم سأل عن كَعْبٍ وكِلَابٍ وأسف لغيابهم، وأنكر على مالك رأيه ذلك وقال: لم تصنع بتقديم نقيضة هوازن الى نحور الخيل شيئاً أرفعهم الى ممتنع بلادهم. ثم ألقِ الصبيان على متون الخيل، فان كانت لك لحق بك من ورائك، وان كانت لغيرك كنت قد أحرزت[1] أهلك ومالك. وأبى عليه مالك، واتبعه هوازن. ثم بعث النبي (ص) عبدالله بن ابي حَدودَ الأَسْلَمِيّ يستعلم بخبر القوم، فجاءه وأطلعه على جَلِيَّةِ الخبر، وانهم قاصدون اليه، فاستعار رسول الله (ص) من صَفْوَانَ بن أمية مائة درع، وقيل أربعمائة، وخرج في اثني عشر الفاً من المسلمين، عشرة آلاف الذين صحبوه من المدينة، وألفان من مسلمة الفتح. واستعمل على مكة عِتابَ بن أَسِيْدِ بن أبي العيص بن أمية، ومضى لوجهه، وفي جملة من اتبعه عَبَّاسُ بن مِرداسَ، والضحَّاكُ ابن سُفيانَ الكِلابِيّ، وجموعٌ من عَبْسٍ وذُبْيَانَ ومُزَيْنَةَ وبني أَسَدٍ.

ومر في طريقه بشجرة يسدرٍ خضراء وكان لهم في الجاهلية مثلها يطوف بها الأعراب ويعظمونها ويسمونها ذات أنواطٍ.

(١) في نسخة ب: أجرت.

فقال له جفاة الاعراب يا رسول الله ! اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط . فقال لهم : قلتم كما قال قوم موسى .: اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة . والذي نفسي بيده لتركبنّ سنن من كان قبلكم وزجرهم عن ذلك . ثم نهض حتى أتى وادي حنين من أودية تهامة أول يوم [1] من شوال من السنة الثامنة، وهو وادي الحزن [2] فتوسطه في غبش الصبح، وقد كمنت هوازن في جانبيه فحملوا على المسلمين حملة رجل واحد فولى المسلمون لا يلوي أحد على أحد وناداهم (ص) فلم يرجعوا . وثبت معه أبو بكر وعمر وعلي والعباس وأبو سفيان بن الحرث وابنه جعفر والفضل وقثم ابنا العباس وجماعة سواهم، والنبي (ص) على بغلته البيضاء دلدل، والعباس آخذ بشكائمها، وكان جهير الصوت، فأمره رسول الله (ص) أن ينادي بالانصار واصحاب الشجرة وقيل وبالمهاجرين . فلما سمعوا الصوت وذهبوا ليرجعوا فصدهم ازدحام المنهزمين أن يثنوا رواحلهم، فاستقاموا وتناولوا سيوفهم وتراسهم واقتحموا عن الرواحل راجعين الى النبي (ص) . وقد اجتمع منهم حواليه نحو المائة فاستقبلوا هوازن والناس متلاحقون [3] . واشتدت

---

(١) قوله أول يوم ولعل الصواب كما في غير هذا الكتاب سادس يوم اهـ . وانتهى إلى خيبر عاشره ـ قاله نصر.

(٢) في نسخة ب: وادي حروت.

(٣) في نسخة ب: والناس لاحقون.

الحرب وحمي الوطيس وقذف الله في قلوب هوازن الرعب حين وصلوا الى رسول الله (ص) فلم يملكوا أنفسهم، فولوا منهزمين، ولحق آخر الناس، وأسرى هوازن مثلولة بين يديه. وغنم المسلمون عيالهم وأموالهم واستحر[1] القتل في بني مالك من ثقيف، فقتل منهم يومئذ سبعون رجلاً، في جملتهم ذو الخمار وأخوه عثمان ابنا عبدالله بن ربيعة بن الحرث بن حبيب سيداهم. وأما قارب ابن الاسود سيد الاحلاف من ثقيف ففر بقومه منذ أول الامر، وترك رايته فلم يقتل منهم أحد، ولحق بعضهم بنخلة. وهرب مالك بن عوف النصري مع جماعة من قومه، فدخلوا الطائف مع ثقيف، واتجهت طوائف من هوازن الى أوطاس[2] واتبعتهم طائفة من خيل المسلمين الذين توجهوا من نخلة فادركوا فيهم دريد بن الصمة فقتلوه. يقال قتله ربيعة بن رافع بن أهبان بن ثعلبة بن يربوع بن سماك بن عوف بن امريء القيس. وبعث (ص) الى من اجتمع باوطاس من هوازن ابا عامر الأشعري عم أبي موسى، فقاتلهم وقتل بسهم رماه به سَلَمَةُ بن دُرَيْدَ بن الصِمَّةِ، فأخذ أبو موسى الراية وشدّ على قاتل عمه فقتله، وانهزم المشركون واستحر[3] القتل في بني دباب من بني نصر بن معاوية، وانفضت

(١) في نسخة ب: واستمر القتل.
(٢) في نسخة ب: إلى واسط.
(٣) في نسخة ب: وانهزم القوم واستمر القتل.

جموع هوازن كلها . واستشهد من المسلمين يوم حنين اربعة منهم أيمن بن أم أيمن أخو أسامة لامه[١] ويزيد بن زمعة بن الاسود وسراقة بن الحرث من بني العجلان وأبو عامر الاشعري .

حصار الطائف

ثم أمر رسول الله (ص) بالسبايا والأموال فحبست بالجعرانة بنظر مسعود بن عمرو الغفاري، وسار من فوره الى الطائف، فحاصر بها ثقيف خمس عشرة ليلة، وقاتلوا من وراء الحصون، وأسلم من كان حولهم من الناس، وجاءت وفودهم اليه . وقد كان مرّ في طريقه بحصن مالك بن عوف النصري[٢] فأمر بهدمه، ونزل على أطم لبعض ثقيف، فتمنع فيه صاحبه فأمر بهدمه فاخرب، وتحصنت ثقيف . وقد كان عروة بن مسعود وغيلان ابن سلمة من ساداتهم ذهبا الى جرش يتعلمان صنعة المجانيق والدبابات للحصار، لما أحسوا من قصد رسول الله (ص) إياهم، فلم يشهدا الحصار ولا حنيناً قبله . وحاصرهم المسلمون بضع عشرة او نصف شهر او بضع وعشرين ليلة . واستشهد بعضهم بالنبل، ورماهم (ص) بالمنجيق . ودخل نفر من المسلمين تحت

(١) في نسخة ب : أيمن بن عبيد أخو سلمة لأمه .

(٢) النصري بالصاد المهملة ، كذا في فضائل رمضان للأجهوري ، قال وأسلم بعد ذلك اهـ . ـ قاله نصر .

دبابة ودنوا الى سور الطائف، فصبوا عليهم سكك الحديد المحماة، ورموهم بالنبل فاصابوا منهم قوماً . وأمر رسول الله (ص) بقطع أعناقهم. ورغب اليه ابن الأسود بن مسعود في ماله وكان بعيداً من الطائف، وكفّ عنه . ثم رحل عن الطائف وتركهم، ونزل ابو بكرة فاسلم . واستشهد من المسلمين في حصاره سعيد ابن سعيد بن العاص وعبدالله بن أبي أميّة بن المغيرة أخو أم سلمة، وعبدالله بن عامر بن ربيعة العَنَزِيّ حليف بني عَدِيّ في آخرين قريباً من اثني عشر فيهم أربعة من الأنصار .

ثم انصرف رسول الله (ص) من الجِعْرَانَة وأفاه هنالك وفد هوازن مسلمين راغبين فخيّرهم بين العيال والابناء والاموال، فاختاروا العيال والابناء . وكلموا المسلمين في ذلك بأمر رسول الله (ص)، فقال (ص) ما كان لي ولبني عبد المطلب فهو لكم . وقال المهاجرون والانصار : ما كان لنا فهو لرسول الله (ص)، وامتنع الاقرع بن حابس وعيينة بن حصن أن يردّا عليهم ما وقع لهما من الفيء، وساعدهما قومهما . وامتنع العباس بن مرادس كذلك، وخالفهم بنو سُلَيْمَ وقالوا : ما كان لنا فهو لرسول الله (ص) . فعرض رسول (ص) من لم تطب نفسه عن نصيبه، وردّ عليهم نساءهم وأبناءهم بأجمعهم . وكان عدد سُبِيِّ هوازن ستة آلاف بين ذكر وانثى فيهن الشيما أخت النبي (ص) من الرضاعة، وهي بنت الحرث بن عبد العُزّى من بني ساعدة بن بكر من

هوازن وأكرمها رسول الله (ص) وأحسن اليها، وخيّرها فاختارت قومها، فردّها اليهم، وقسم الاموال بين المسلمين. ثم أعطى من نصيبه من خمس الخمس قوماً يستألفهم على الاسلام من قريش وغيرهم. فمنهم من اعطاه مائة مائة، ومنهم خمسين خمسين، ومنهم ما بين ذلك، ويسمون المؤلفة، وهم مذكورون في كتب السير يقاربون الاربعين: منهم أبو سفيان وابنه معاوية وحكيم بن حِزام وصفوان بن أمية ومالك بن عوف وغيرهم. ومنهم عُيَيْنَةُ بن حصن بن حذيفة بن بدر، والاقرع بن حابس وهما من اصحاب المائة. واعطى ابن عباس بن مرادس دونهما فانشده أبياته المعروفة يتسخَّط فيها فقال: اقطعوا عني لسانه، فأتموا اليه المائة، ولما أعطى المؤلفة قلوبهم وَجِدَ الانصار في أنفسهم إذا لم يعطهم مثل ذلك، وتكلم شبانهم مع ما كانوا يظنون انه اذا فتح الله عليه بلده يرجع الى قومه ويتركهم، فجمعهم ووعظهم وذكرهم وقال: انما اعطي قوماً حديثي عهد بالاسلام أتألفهم عليه، أما ترضون ان ينصرف الناس بالشاء والبعير، وتنصرفوا برسول الله (ص) الى رحالكم، لولا الهجرة لكنت امرءاً من الانصار. ولو سلك الانصار شِعْباً وسلك الناس شِعْباً لسلكت شعب الانصار فرضوا وافترقوا.

ثم اعتمر رسول الله (ص) من الجِعْرَانَةِ إلى مكة ثم رجع

الى المدينة فدخلها لست بقين من ذي القعدة من السنة الثامنة لشهرين ونصف من خروجه، واستعمل على مكة عتابَ بن أَسَيْد شاباً ينيف عمره على عشرين سنة، وكان غلبه الورع والزهد، فأقام الحج بالمسلمين في سنته، وهو أول أمير أقام حجّ الاسلام، وحج المشركون على مشاعرهم .

وخلف بمكة معاذ بن جبل يُفَقِّهُ الناس في الدين ويعلمهم القرآن، وبعث عمرو بن العاص الى اهل حنين وعمرو بن الجلندي من الأزد بعمان مصدقاً، فأطاعوا له بذلك. واستعمل (ص) مالك ابن عوف على من أسلم من قومه ومن سلم منهم، وما له حوالي الطائف من ثقيف . وأمره بمغادرة الطائف من التضييق عليهم ففعل حتى جاؤوا مسلمين كما يذكر بعد . وحسن اسلام المؤلفة قلوبهم ممن أسلم يوم الفتح أو بعده، وإن كانوا متفاوتين في ذلك .

ووفد على النبي (ص) كَعْبُ بن زُهَيْرٍ فاهدر دمه وضاقت به الأرض وجاء فأسلم، وأنشد النبي (ص) قصيدته المعروفة بمدحه التي أوّلها :

بانَتْ سُعَادُ فَقَلْبِي اليَوْمَ مَتْبُولُ الخ .

وأعطاه بُرْدَةً في ثواب مدحه فاشتراها معاوية من ورثته بعد موته وصار الخلفاء يتوارثونها شعاراً.

غزوة تبوك

ووفد في السنة تسع على رسول الله (ص) بالمدينة بنو أسد فأسلموا وكان منهم ضِرارُ بن الأزوَرِ وقالوا : قدمنا يا رسول الله قبل أن يرسل الينا فنزلت :﴿يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا﴾الآية. ووفد فيها وفدتين في شهر ربيع الاول، ونزلوا على دُوَيْفِع بن ثابت البَلَويّ، وأقام رسول الله (ص) بالمدينة بعد منصرفه من الطائف في ذي الحجة الى شهر رجب من السنة التاسعة .

ثم أمر الناس بالتهيؤ لغزو الروم، وكان في غزواته كثيراً ما يوري بغير الجهة التي يقصدها على طريقة الحرب، الا ما كان من هذه الغزاة لعسرها بشدّة الحرب، وبعد البلاد وفصل الفواكه، وقلّة الظلال وكثرة العدو الذين يصدون . وتجهزّ الناس على ما في أنفسهم من استثقال ذلك، وطفق المنافقون يثبطونهم عن الغزو، وكان نفر منهم يجتمعون في بيت بعض اليهود، فأمر طلحة بن عبيدالله أن يخرب عليهم البيت فخربها [1] واستأذن بن قيس من بني سلمة في العقود فاذن له، وأعرض عنه . وانتدب كثير من المسلمين للانفاق والحُملان وكان من اعظمهم في ذلك عثمان بن عفّان، يقال إنه انفق فيها ألف دينار وحمل على تسعمائة بعير، ومائة فرس وجهز ركاباً .

---

(١) في نسخة ب: أن يحرق عليهم البيت فحرقها.

وجاء بعض المسلمين يستحمل رسول الله (ص)، فلم يجد ما يحملهم عليه، فتولوا باكين لذلك . وحمل بعضهم يامين بن عمير النضري وهما أبو ليلى بن كعب من بني مازن بن النجار وعبدالله ابن مغفل المزني . واعتذر المخلفون من الأعراب، فعذرهم رسول الله (ص) . ثم نهض وخلّف على المدينة محمد بن مسلمة، وقيل بل سبّاع بن عَرْفَطَةَ، وقيل بل عليّ بن أبي طالب . وخرج معه عبدالله بن أبي بن سلول في عدد وعدّة، فلما سار (ص) تخلف هو فيمن تخلف من المنافقين . ومرّ (ص) بالحجر على ديار ثمود، فأمر أن لا يستعمل ماؤها، ويعلف ما عجن منه للابل، وأذن لهم في بئر الناقة، وأمر ان لا يدخلوا عليهم بيوتهم إلا باكين، ونهى أن يخرج أحد منفرداً عن صاحبه .

فخرج رجلان من بني ساعدة جُنّ أحدهما فمسح عليه فشفي، والآخر رمته الريح في جبل طيء، فردّوه بعد ذلك الى النبي (ص) . وضل (ص) عن ناقته في بعض الطريق، فقال أحد المنافقين : محمد يدّعي علم خبر السماء، وهو لا يدري أين ناقته . فبلغ ذلك النبي (ص) فقال : والله لا أعلم إلّا ما علّمني الله، وأن الناقة بموضع كذا، وكان قد أوحي اليه بها فوجدوها ثمّ . وكان قائل هذا القول زيد بن اللصيت[1] من بني قينقاع، وقيل

(١) نص في الإصابة لابن الأثير على هذا الاسم : لصيب بالباء الموحدة. وكذا ورد في الكامل لابن الأثير ج ٢ ص ١٩١ .

إنّه تاب بعد ذلك . وفضح الوحي قوماً من المنافقين كانوا يخذلون الناس ويهوّلون عليهم امر الروم، فتاب منهم مخشي بن جهير[١] ودعا أن يكفر عنه بشهادة يخفي مكانه، فقتل يوم اليمامة .

ولما انتهى رسول الله (ص) إلى تبوك أتاه يُحَنَّةُ بن رؤبة صاحب أَيْلَةَ وأهل جَرْبَاءَ وأَذْرِحَ فصالحوا على الجزية وكتب لكلٍّ كتاباً .

وبعث (ص) خالد بن الوليد الى أُكَيْدِرَ بن عبد الملك[٢] صاحب دومة الجندل من كِنْدَةَ كان ملكاً عليها وكان نصرانيًا، وأخبر أنه يجده يصيد البقر . واتفق ان بقر الوحش باتت تهدّ القصر بقرونها فنشط أكيدر لصيدها، وخرج ليلًا فوافق وصوله خالداً، فأخذه وبعث به الى رسول الله (ص) فعفا عنه وصالحه على الجزية وردّه، وأقام بتبوك عشرين ليلة . ثم انصرف وكان في طريقه ماء قليل نهى ان يسبق اليه أحد، فسبق رجلان واستنفدا ما فيه، فنكر عليهما ذلك . ثم وضع يده تحت وشلة، فصب ما شاء الله ان يصبّ، ونضح بالوشل ودعا فجاش الماء حتى كفى العسكر .

(١) في نسخة ب: مخشي بن حمير.
(٢) في نسخة ب: عبد الله.

وأخبر (ص) ان ذلك الموضع سمي جناباً، ولما قرب من المدينة بساعة من نهار أنفذ مالك بن الدَّخشَمِ من بني سُلَيم ومعن ابن عديّ من بني العجلان الى مسجد الضِرار فأحرقاه وهدماه، وقد كان جماعة من المنافقين بنوه وأتوا الى النبي (ص) وهو يتجهز الى تبوك، فسألوه الصلاة فيه، فقال أنا على سفر، ولو قدمنا أتيناكم فصلينا لكم فيه، فلما رجع أمر بهدمه.

وفي هذه الغزاة تخلف كعبُ بن مالك من بني سلَمَة، ومرارة ابن الربيع من بني عمرو بن عوف، وهلال بن امية بن واقف وكانوا صالحين. فنهى (ص) عن كلامهم خمسين يوماً، ثم نزلت توبتهم. وكان المتخلفون من غير عذر نيّفاً وثلاثين رجلاً. وكان وصوله (ص) من تبوك في رمضان سنة تسع وفيه كانت وفادة ثقيف واسلامهم. ونزل الكثير من سورة براءة في شأن المنافقين، وما قالوه في غزوة تبوك، آخرِ غزوة غزاها صلى الله عليه وسلم.

اسلام عروة بن مسعود ثم وفد ثقيف وهدم اللات

كان صلى الله عليه وسلم لما أفرج عن الطائف، وارتحل الى المدينة اتبعه عُروَةُ بن مسعود سيدهم، فادركه في طريقه وأسلم ورجع يدعو قومه، فرمي بسهم في سطح بيته وهو يؤذن للصلاة، فمات ومنع قومه من الطلب بدمه وقال: هي شهادة ساقها الله

إليّ، واوصى أن يدفن مع شهداء المسلمين . ثم قدم ابنه ابو المليح وقارب بن الأسود بن مسعود فاسلما، وضيق مالك بن عوف على ثقيف، واستباح سرحهم، وقطع سابلتهم . وبلغهم رجوع النبيّ (ص) من تبوك واتمروا في الوفادة، وعلموا أن لا طاقة لهم بحرب العرب المسلمين، وفزعوا الى عبد ياليل بن عمرو بن عمير، فشرط عليهم أن يبعثوا معه رجالًا منهم ليحضروا مشهده خشية على نفسه مما نزل بعروة، فبعثوا معه رجلين من أحلاف قومه وثلاثاً من بني مالك، فخرج بهم عبد ياليل، وقدموا على رسول الله (ص) في رمضان من السنة التاسعة يريدون البيعة والاسلام، فضرب لهم قبة في المسجد . وكان خالد بن سعيد ابن العاص يمشي في أمرهم، وهو الذي كتب كتابهم بخطه، وكانوا لا يأكلون طعاماً يأتيهم حتى يأكل منه خالد، وسألوه أن يدع لهم اللات ثلاث سنين، رعياً لنسائهم وابنائهم حتى يأنسوا، فابى وسألوه ان يعفيهم من الصلاة . فقال : لا خير في دين لا صلاة فيه، فسألوه أن لا يكسروا أوثانهم بأيديهم فقال : أما هذه فانا سنكفيكم منها، فاسلموا وكتب لهم وأمّر عليهم عثمان بن أبي العاص أصغرهم سناً لانه كان حريصاً على الفقه وتعلم القرآن . ثم رجعوا إلى بلادهم، وخرج معهم أبو سفيان بن حرب والمغيرة بن شعبة لهدم اللات، وتأخر أبو سفيان حتى دخل المغيرة، فتناولها بيده ليهدمها،

وقام بنو مُعَتِّبَ[1] دونه خشية عليه . ثم جاء أبو سفيان، وجمع ما كان لها من الحُلِيِّ وقضى منه دين عُرْوَةَ والأَسْوَدِ ابني مسعود، كما أمر النبيّ (ص) وقسم الباقي .

الوفود

ولما فرغ رسول الله (ص) من تبوك، وأسلمت ثقيف ضربت اليه وفود العرب من كل وجه، حتى لقد سميت سنة الوفود . قال ابن اسحق : وانما كانت العرب تتربص بالاسلام امر هذا الحيّ من قريش وأمر النبي (ص) . وذلك أن قريشاً كانوا إمام الناس وهاديهم، واهل البيت والحرم، وصريح ولد اسماعيل وقادتهم لا ينكرون ذلك . وكانت قريش هي التي نصبت لحربه وخلافه . فلما اسفتحت مكة، ودانت قريش ودخلها الاسلام، عرفت العرب انهم لا طاقة لهم بحربه وعداوته، فدخلوا في دينه افواجاً يضربون اليه من كل وجه انتهى .

فأوّل من قدم إليه بعد تبوك وفد بني تميم، وفيه من رؤوسهم عَطارِدُ بن حَاجِبِ بن زُرَارَةَ بن عَدَسٍ من بني دارم ابن مالك، والحَبّابُ بن يزيد والأَقْرَعُ بن حابس والزِّبْرِقَانُ بن بَدرٍ من بني سعد، وقيس بن عاصم وعمرو بن الأَهْتَمِ وهما

---

(١) في نسخة ب: بنو مغيث.

من بني مِنْقَرٍ، ونعيم بن زيد ومعهم عيينة بن حصن الفزاري . وقد كان الأقرع وعيينة شهدا فتح مكة وخيبر وحصار الطائف، ثم جاآ مع وفد بني تميم . فلما دخلوا المسجد نادوا من وراء الحُجُرَاتِ، فنزلت الآيات في إنكار ذلك عليهم . ولما خرج قالوا : جئنا نفاخرك بخطيبنا وشاعرنا فأذن لهم، فخطب عطارد وفاخر، ويقال والأقرع بن حابس . ثم أنشد الزبرقان بن بدر شعراً بالمفاخرة، ودعا رسول الله (ص) ثابت بن قيس بن الشماس من بني الحرث بن الخزرج فخطب، وحسان بن ثابت فانشد، مساجلين لهم . فاذعنوا للخطبة والشعر والسؤدد والحلم وقالوا : هذا الرجل هو مؤيد من الله، خطيبه أخطب من خطيبنا، وشاعره أشعر من شاعرنا، وأصواتهم أعلى من أصواتنا ثم أسلموا . وأحسن رسول الله (ص) جوائزهم . وهذا كان شأنه مع الوفود يُنْزِلُهم اذا قدِموا ويُجهّزُهم اذا رَحَلوا .

ثم قدم على رسول الله (ص) في آخر رمضان مقدمه من تبوك كتاب ملوك حمير مع رسولهم، ومع الحرث بن عبد كلال ونعيم بن عبد كلال والنعمان، قيل ذي رعين وهمدان ومعافر . وبعث زُرْعَةُ بن ذي يَزَنٍ رسوله مالك بن مُرَّةِ الرَّهاوِيّ باسلامهم ومفارقة الشرك واهله، وكتب اليهم النبي (ص) كتابه .

وبعث الى ذي يزن معاذ بن جَبَل مع رسوله مالك بن مرة

لجمع الصدقات، واوصاهم برسله معاذ واصحابه. ثم مات عبدالله ابن أبي بن سلول في ذي القعدة، ونعى رسول الله (ص) النجاشي وانه مات في رجب قبل تبوك.

وقدم وفد بهرا في ثلاثة عشر رجلاً، ونزلوا على المِقدادِ بن عمرو وجاء بهم فأسلموا وأجازهم وانصرفوا.

وقدم وفد بني البكاء ثلاثة نفر منهم، وقدم وفد بني فَزَارَةَ بضعة عشر رجلاً، فيهم خارِجَةُ بن حصن وابن أخيه الحُرُّ بن قيس فاسلموا. ووفد عديّ بن حاتم بن طيء فأسلم. وكان رسول الله (ص) قد بعث قبل تبوك الى بلاد طيء علي بن أبي طالب في سريّة فاغار عليهم، وأصيب حاتم وسبيت ابنته، وغنم سيفين في بيت اصنامه كانتا من قربان الحرث بن أبي شَمَّر. وكان عديّ قد هرب قبل ذلك ولحق ببلاد قُضَاعَةَ بالشام فراراً من جيوش المسلمين، وجواراً لاهل دينه من النصارى، واقام بينهم. ولما سيقت ابنة حاتم جعلت في الحظيرة بباب المسجد التي كانت السبايا تحبس بها. ومرّ بها رسول الله (ص) فكلمته ان يمنّ عليها فقال: قد فعلت ولا تعجلي حتى تجدي ذا ثِقَةٍ من قومك يبلغك الى بلادك. ثم آذنيني قالت: فأقمت حتى قدم ركب من بني قضاعة وانا اريد ان آتي اخي بالشام، فعرفت رسول الله (ص) فكساني وحملني وزودني وخرجت معه، فقدمت الشام. فلما لقيها

عدِيّ تلاوم ساعة ثم قال لها : ماذا ترين في امر هـذا الرجل ؟ فأشارت عليه باللحاق به ، فوفد واكرمه رسول الله (ص) وادخله الى بيته، واجلسه على وسادَتِهِ بعد ان استوقفته في طريقه امرأة فوقف لها . فعلم عَدِيّ انه ليس بملك، وانما هو نبيّ. ثم اخبره عن أخذه المرباع من قومه ولا يحلّ له ، فازداد استبعاداً فيه ثم قال : لعله انما يمنعك من الدخول في هذا الدين ما ترى من كثرة عدوهم، وقلة عددهم فوالله ليوشكنّ أن تسمع بالمرأة تخرج من القادسية على بعيرها تزور هذا البيت لا تخاف ، او لعلك انما يمنعك من الدخول فيه انك ترى الملك والسلطان لغيرهم ، فيوشك أن تسمع بالقصور البيض من بابل قد فتحت . فأسلم عديّ وانصرف الى قومه . ثم أنزل الله على نبيِّه الاربعين آية من سورة براءة في نبذ العهد الذي بينه وبين المشركين ، لا يصدّوا عن البيت ونهوا أن يقرب المسجد الحرام مشرك بعد ذلك ، وأن لا يطوف بالبيت عرياناً ، وان كان بينه وبين رسول الله (ص) عهد فيتم له الى مدته ، وأجلهم اربعة اشهر من يوم النحر، فبعث رسول الله(ص) بهذه الآيات أبا بكر وأمره على إقامة الحج بالموسم من هـذه السنة ، فبلغ ذي الُحلَيْفَة ، فاتبعه بعلي فأخذها منه، فرجع أبو بكر مشفقاً أن يكون نزل فيه قرآن . فقال له النبي (ص) : لم ينزل شيء ولكن : لا يبلغ عني غيري او رجل مني . فسار أبو بكر على الحجّ وعليّ على الاذان ببراءة . فحج أبو بكر بالناس

وهم على حجّ الجاهلية . وقام علي عند العقبة يوم الاضحى فاذّن بالآية التي جاء بها . قال الطبري : وفي هذه السنة فرضت الصدقات لقوله تعالى : ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا ﴾ الآية .

وفيها قدم وفد ثَعْلَبَةَ بن مُنْقِذٍ ووفد سعد هذيم من قُضَاعَة قال الطبري : وفيها بعث بنو سعد بن بكر ضِمَامَ بن ثَعْلَبَة وافداً، فاستخلف رسول الله (ص) على ما جاء به من الاسلام، وذكر التوحيد والصلاة والزكاة والصيام والحجّ واحدة واحدة، حتى إذا فرغ تشهّد وأسلم وقال : لأؤدي هذه الفرائض وأجتنب ما نهيت عنه ثم لا أزيد عليها ولا انقص فلما انصرف قال (ص) : إن صدق دخل الجنة . ثم قدم على قومه فأسلموا كلهم يوم قدومه والذي عليه الجمهور انّ قدوم ضمضام وقصّته كانت سنة خمس .

ثم دخلت سنة عشر فبعث رسول الله (ص) خالد بن الوليد في ربيع او جمادى في سريّة اربعمائة الى نجران وما حولها يدعو بني الحرث بن كعب الى الاسلام، ويقاتلهم إن لم يفعلوا، فأسلموا وأجابوا داعيته . وبعث الرسل [1] في كل وجه فأسلم الناس فكتب بذلك الى رسول الله (ص) فكتب اليه بان يقدم مع

(١) في نسخة ب : الركبان .

وفدهم، فأقبل خالد ومعه وفد بني الحرث بن كعب، منهم قيس ابن الحصين ذو القصّة، ويزيد بن عبد المدان ويزيد بن المحجل[1] وعبدالله بن قريض الزيادي وشداد بن عبدالله الضبابي وعمرو بن عبدالله الضبابي، فأكرمهم النبي (ص) وقال لهم: بم كنتم تغلبون من يقاتلكم في الجاهلية؟ قالوا: كنا نجتمع ولا نفترق ولا نبدأ[2] أحداً بظلم، قال صدقتم فأسلموا وأمّر عليهم قيس بن الحصين، ورجعوا صدر ذي القعدة من سنة عشر، ثم اتبعهم عمرو ابن حزام من بني النجار ليفقههم في الدين ويعلمهم السنّة، وكتب اليه كتاباً عهد إليه في عهده وأمره بأمره. وأقام عاملاً على نجران. وهذا الكتاب وقع في السير مروياً واعتمده الفقهاء في الاستدلالات وفيه مآخذ كثيرة للاحكام الفقهية ونصه:

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا كتاب[3] من الله ورسوله، يا أيها الذين آمنوا اوفوا بالعقود، عهداً من محمد النبي رسول الله (ص) لعمرو بن حزم حين بعثه الى اليمن، أمره بتقوى الله في أمره كله، فان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون. وآمره أن يأخذ بالحق كما أمره

---

(١) في نسخة ب: المحجب.
(٢) في نسخة ب: ولا ننيل.
(٣) في نسخة ب: هذا بيان.

الله وأن يُبَشِّر الناس بالخير ويأمرهم بـه، ويعلِّم الناس القرآن ويفقههم فيه . وينهى الناس فلا يمس القرآن إنسان إلا وهو طاهر، ويخبر الناس بالذي لهم والذي عليهم، ويلين للناس في الحق، ويشتد عليهم في الظلم، فان الله حـرّم[1] الظلم ونهى عنه فقال: ألا لَعْنَةُ الله على الظالمين . وأن يبشِّر الناس بالجنَّةِ وبعَمَلِها، ويُنْذِرَ الناس بالنار وعملها، ويستألف الناس حتى يَتَفَقَّهُوا في الدين، ويعلم الناس معالم الحجِّ وسننه وفرائضه، وما أمر الله به، والحج الأكبر والحج الأصغر وهو العمرة . وينهى الناس أن يصلي أحد في ثوب صغير إلا ان يكون ثوباً يثني طرفيه على عاتقه، وينهى ان يحتبيء أحد في ثوب واحد ويفضي بفرجه الى السماء، وينهى أن يقصّ أحد شعر رأسه اذا عفا في قفاه، وينهى إذا كان بين الناس هَيجٌ عن الدعاء الى القبائل والعشائر، وليكن دعاؤه الى الله وحده لا شريك له، فمن لم يدع الى الله ودعا القبائل والعشائر فليُقْطِفُوهُ بالسيف حتى يكون دعاؤهم الى الله وحده لا شريك له . ويأمر الناس باسباغِ الوضوء في وجوههم وأيديهم الى المرافق وأرجلهم الى الكعبين، ويمسحوا برؤوسهم كما أمرهم الله . وأمرهم بالصلاة بوقتها واتمام الركوع والسجود؛ يغلس بالصبح، ويهجر بالهاجرة حين تميل الشمس، وصلاة العصر والشمس في الأرض مُدبِرة، والمغرب حين يقبل

(١) في نسخة ب: كره الظلم.

الليل لا تُؤخر حتى تبدو نجوم السماء، والعشاء أول الليل . وآمر بالسعي الى الجمعة اذا نُودِيَ لها، والغسل عند الرواح اليها، وآمره أن يأخذ مــن الغنائم خمس الله، وما كتب على المؤمنين [1] في الصدقة من العقار عشر ما سقت العين او سقت السماء، وعلى ما سقى الغرب نصف العشر . وفي كل عشر من الابل شاتان، وفي كل عشرين أربع شياة، وفي كل أربعين من البقر بقرة وفي كل ثلاثين من البقر تبيع أو تبيعة جذع أو جذعة، وفي كل اربعين من الغنم سائمة وحدها شاة . فانها فريضة الله التي افترض على المؤمنين في الصدقة، فمن زاد خيراً فهو خير له . وانه من أسلم من يهودي أو نصراني إسلاماً خالصاً مــن نفسه، ودان بدين الاسلام فانه من المؤمنين له مثل ما لهم وعليه ما عليهم، ومن كان على نَصْرَانِيَّتِهِ او يَهُودِيَّتِهِ فانه لا يردّ عنها وعليه الجِزْيَةِ . وعلى كل محتلم ذكر او انثى حرّ أو عبد دينار وافٍ او عوضه ثياباً . فمن أدى ذلك فان له ذمة الاسلام ذمة الله وذمة رسوله . ومن منع ذلك فانه عدوّ لله ولرسوله وللمؤمنين جميعاً . صلوات الله على محمد والسلام عليه ورحمته وبركاته .

وقدم وفد غسان في رمضان من هــذه السنة العاشرة في ثلاثة نفر فأسلموا وانصرفوا الى قومهم، فلم يجيبوا الى الاسلام

---

(١) في نسخة ب: على المسلمين.

فكتموا أمرهم وهلك اثنان منهم، ولقي الثالث ابو عبيدة عام اليرموك فأخبره باسلامه، وقدم فيه وفد عامر عشرة نفر فأسلموا وتعلموا شرائع الاسلام وأقرأهم النبي القرآن وانصرفوا .

وقدم في شوّال وفد سلامان سبعة نفر، رئيسهم حبيب فاسلموا عن قومهم وتعلّموا القرآن[1] وانصرفوا . وفيها قدم وفد أزد جرش، وفد فيهم صُرَدُ بن عبدالله الأزدي في عشرة من قومه، ونزلوا على فَرْوَةَ بن عمرو . وأمّرَ النبي (ص) بعد أن أسلموا صرداً على من أسلم منهم، وان يجاهد المشركين حوله . فحاصر جرش ومن بها من خثعم وقبائل اليمن، وكانت مدينة حصينة اجتمع اليها أهل اليمن حين سمعوا بزحف المسلمين، فحاصرهم شهراً. ثم قفل عنهم فظنوا انه انهزم، فاتبعوه الى جبل شكر، فصف وحمل عليهم ونال منهم، وكانوا بعثوا الى رسول الله (ص) رائدين وأخبرهما ذلك اليوم بواقعة شكر . وقال : إن بدن الله لتنحر عنده الآن، فرجعا الى قومهما فأخبراهم بذلك وأسلموا وحَمى لهم حِمى حول قريتهم .

ومنها كان اسلام هَمْدَانَ ووفادتهم على يد عليٍّ رضي الله عنه، وذلك ان رسول الله (ص) بعث خالد بن الوليد الى أهل اليمن يدعوهم الى الاسلام فمكث ستة أشهر لا يجيبونه، فبعث

(١) في نسخة ب: الفرائض.

عليه السلام عليّ بن أبي طالب وأمره ان يقفل خالداً، فلما بلغ عليٌّ أوائل اليمن جمعوا له، فلما لقوه صفُّوا فقدّم علي الانذار وقرأ عليهم كتاب رسول الله (ص)، فاسلمت همدان كلها في ذلك اليوم وكتب بذلك الى النبي (ص) فسجد لله شكراً ثم قال: السلام على همدان ثلاث مرّات . ثم تتابع أهل اليمن على الاسلام، وقدمت وفودهم، وكان عمرو بن معد يكرب الزبيدي قد قال لقيس بن مكشوم المرادي : إذهب بنا الى هذا الرجل فلن يخفى علينا أمره، فأبى قيس من ذلك. فقدم عمرو على النبي (ص) فأسلم . وكان فَرْوَةَ بن مُسَيْك المُرَادِيُّ على زُبَيْدَ لانه وفد قبل عمرو مفارقاً لملوك كِنْدَةَ، فاسلم ونزل على سعد بن عَبادة وتعلّم القرآن وفرائض الاسلام، واستعمله رسول الله (ص) على مُرَادَ وزُبَيْدَ ومَذْحِجَ كلها، وبعث معه خالد بن سعيد بن العاص على الصدقة، فكان معهم في بلاده حتى كانت الوفاة . وفي هذه السنة قدم وفد عبد القيس يقدمهم الجارود بن عمرو، وكانوا على دين النصرانية، فأسلموا ورجعوا الى قومهم . ولما كانت الوفاة ارتدّ عبد القيس ونصبوا المُنْذِرَ بن النُّعمان بن المنذر الذي يسمى الغَرور وثبت الجارود على الاسلام وكان له المقام المحمود، وهلك قبل ان يرجعوا . وقد كان رسول الله (ص) بعث العلاء بن الحضرمي قبل فتح مكة الى المنذر بن ساوي العبديّ[1] فاسلم

(١) في نسخة ب: العمري.

وحسن اسلامه وهلك بعد الوفاة، وقبل ردّة أهل البحرين والعلاء أمير عنده لرسول الله (ص) على البحرين .

وفي هذه السنة قدم وفد بني حنيفة في سنة عشر فيهم مُسَيْلِمَةُ بن حبيب الكذّاب، ورَجّالُ بن عَنفَوَةَ، وطَلْقُ بن عليّ ابن قيس، وعليهم سلمان بن حنظلة، فاسلموا وأقاموا أيّاماً يتعلّمون القرآن من أُبَيّ بن كعب ورجّال يتعلم وطلق يؤذن لهم ومسيلمة في الرحال، وذكروا للنبي (ص) مكانه في رحالهم فأجازه . وقال : ليس بشركم مكاناً لحفظه رحالكم . فقال مسيلمة : عرف ان الامر لي من بعده . ثم ادّعى مُسَيْلِمَةُ بعد ذلك النُبُوّةَ، وشهد له طلق ان رسول الله (ص) اشركه في الامر فافتتن الناس به كما سنذكره .

وفيها قدم وفد كِنْدَةَ يقدمهم الأشعث بن قيس في بضعة عشر وقيل في ستين وقيل في ثمانين، وعليهم الديباج والحرير وأسلموا، ونهاهم النبي (ص) عنه فتركوه . وقال له اشعث : نحن بنو آكل المرار وانت بن آكل المرار فضحك وقال : ناسبوا بهذا النسب العباس بن عبد المطلب وربيعة بن الحرث وكانا تاجرين فاذا ساحا في ارض العرب قال : نحن بنو آكل المرار فيعتز بذلك، كأن لهم عليه ولادة من الامهات . ثم قال : نحن بنو النضر بن كنانة فانتفوا منا ولا ينتفي من الينا .

وقدم مع وفد كِنْدَةَ وفد حضرموت وهم بنو وُلَيْعَةَ، وملوكهم صُمْرَةُ ومُخْوِسٌ ومُشْرِحُ والضعة فأسلموا ودعا لمخوس بازالة الرتّة من لسانه .

وقدم وائل بن حجر راغباً في الاسلام، فدعا له ومسح رأسه ونودي الصلاة جامعة سروراً بقدومه، وأمر معاوية أن ينزل بالحَرَّةِ فمشى معه وكان راكباً فقال له معاوية : أعطني نعلك اتوقّى بها الرمضاء، فقال : ما كنت لالبسها وقد لبستها، وفي رواية لا يبلغ أهل اليمن أن سوقة لبس نعل ملك فقال : اردفني فقال : لست من ارداف الملوك . ثم قال : إن الرمضاء قد أحرقت قدمي قال : امش في ظلّ ناقتي كفاك به شرفاً . ويقال انه وفد على معاوية في خلافته فأكرمه . وكتب له رسول الله (ص) كتاباً :

بسم الله الرحمن الرحيم .

هذا كتاب محمد النبي لوائل بن حجر قَيل حضرموت، إنك إن اسلمت جعلت لك ما في يديك من الأرض والحصون، ويؤخذ منك من كل عشرة واحدة، ينظر في ذلك ذوو عدل منكم، وجعلت لك ألا تظلم فيها معلِّم[1] الدين . والنبي (ص)

(١) في نسخة ب : مقام الدين .

والمؤمنون عليه أنصار قال عياض : وفيه الى الأقيال العَباهِلَة والأوْدَاع المشابيب[1] وفيه في التَّيْعَةِ شاة مقورّة، لا لِياط ولا ضِناك، وفي السيوب الخمس ومن زنى من بكر فأصقَعُوه مائة، واستوفضُوهُ عاماً، ومن زنى من ثَيّبٍ فضرجوه بالأضاميم، ولا توصيم في الدين، ولا غمة في فرائض الله، وكل مُسْكِرٍ حرام، ووائل بن حجر يَتَرَفَّلُ على الأقيال .

وفيها قدم وفد محارب في عشرة نفر فأسلموا، وفيها قدم وفد الرها من مذحج في خمسة عشر نفراً وأهدوا فرساً فأسلموا وتعلموا القرآن وانصرفوا . ثم قدم نفر منهم وحجُّوا مع رسول الله (ص)، وتوفي فاوصى لهم بمائة وسق من خيبر جارية عليهم من الكتيبة، وباعوها من معاوية .

وفيها قدم وفد نجران النصارى في سبعين[2] راكباً يقدمهم أميرهم العاقب عبد المسيح من كندة، وأسقفهم أبو حارثة من بكر بن وائل والسيّد الأيهم، وجادلوا عن دينهم . فنزل صدر سورة آل عمران وآية المباهلة فأبوا منها وفرقوا وسألو الصلح، وكتب لهم به على ألف حلة في صَفَر وألف في رَجَب، وعلى دروع ورماح وخيل وحمل ثلاثين من كل صنف . وطلبوا ان يبعث

---

(١) في نسخة ب: والأوزاع السابقين.
(٢) في نسخة ب: في ستين راكباً.

معهم والياً يحكم بينهم ، فبعث معهم أبا عبيدة بن الجرّاح ثم جاء العاقب والسيّد وأسلما .

وفيها قدم وفد الصدف من حضرموت في بضعة عشر نفراً فأسلموا وعلّمهم أوقات الصلاة ، وذلك في حجّة الوداع وفي هـذه السنة قدم وفد عبس قال ابن الكلبي : وفد منهم رجل واحد فأسلم ورجع ومات في طريقه . وقال الطبري : وفيها وفد عديّ بن حاتم في شعبان انتهى .

وفيها قدم وفد خولان عشرة نفر فأسلموا وهدموا صنمهم ، وكان وفد على رسول الله (ص) في هدنة الحديبيّة قبل خيبر رفاعة بن زيد الضُّبَيْبِيّ من جذام واهدى غلاماً فأسلم . وكتب رسول الله (ص) كتاباً يدعوهم الى الاسلام فأسلموا، ولم يلبث أن قفل دحيَةُ بن خليفة الكَلْبِيّ منصرفاً من عند هِرَقْلَ حين بعثه النبي (ص) ومعه تجارة، فأغار عليه الهُنَيْدُ بن عوص وقومه بنو الضليع من بطون جذام، فاصابوا كل شيء معه وبلغ ذلك مسلمين من بني الضبيب فاستنقذوا ما أخذه الهنيد وابنه وردّوه على دحية . وقدم دحية على النبي (ص) فاخبره الخبر فبعث النبي (ص) زيد بن حارثة في جيش من المسلمين فأغار عليهم بالقضقاض [1] من حرّة الرمل، وقتلوا الهنيد وابنه في جماعة وكان

---

(١) في نسخة ب : بالفضافض من حرة الرجل .

معهم ناس من بني الضبيب فاستباحوهم معهم وقتلوهم . فركب رِفاعَةَ بن زيد ومعه أبو زيد بن عمرو من قومه في جماعة منهم، فقدموا على النبي (ص) وأخبروه الخبر فقال: كيف اصنع بالقتلى؟ فقالوا: يا رسول الله أطلق لنا من كان حياً فبعث معهم عليّ بن أبي طالب وحمله على جمل وأعطاه سيفه، فلحقه بِفَيْفَاء الفَحْلَتَيْنِ، وأمره بردّ أموالهم فردّها . وفي هذه السنة قدم وفد عامر بن صَعْصَعَةَ فيهم عامر بن الطُفَيْلِ بن مالك وأربد بن ربيعة ابن مالك فقال له عامر: يا محمد اجعل لي الامر بعدك فقال: ليس ذلك لك ولا لقومك قال: اجعل لي الوبر ولك المدر، قال لا ولكن أجعل لك أَعِنَّة الخيل فانك أمرؤ فارس . فقال لأَملأنَّها عليك خيلًا ورجلًا ثم ولّوا فقال: اللهم أكفِنيهم، اللهم اهدِ عامراً وأغن الاسلام عن عامر .

وذكر ابن اسحاق والطبري أنهما ارادا الغدر برسول الله (ص) فلم يقدروا عليه في قصّة ذكرها أهل الصحيح، ثم رجعوا الى بلادهم فأخذه الطاعون في عنقه فمات في طريقه في أحياء بني سلول، وأصابت أخاه أربد صاعقة بعد ذلك . ثم قدم عَلْقَمَة بن عُلَاثَة بن عوف، وعوف[1] بن خالد بن ربيعة وابنه فاسلموا .

وفيها قدم وفد طيء في خمسة عشر نفراً يقدمهم سيدهم زيد

(١) في نسخة ب: وهودة .

الخيل، وقُبَيْصَةُ بن الاسود من بني نبهان فاسلموا . وسمّاه رسول الله (ص) زيد الخير، وأقطع له بئراً وأرضين معها وكتب له بذلك ومات في مرجعه .

وفي هذه السنة ادّعى مُسَيْلِمَةُ النُبُوَّةَ وأنه أشرِكَ مع رسول الله (ص) في الامر، وكتب اليه : من مسيلمة رسول الله الى محمد رسول الله، سلام عليك فاني قد أشركت في الأمر معك، وان لنا نصف الارض، ولقريش نصف الارض، ولكن قريش قوم لا يعدلون، وكتب اليه رسول الله (ص) .

بسم الله الرحمن الرحيم .

من محمد رسول الله (ص) الى مسيلمة الكذاب ! سلام على من اتّبَع الهُدى ؟ أما بعد فانّ الارض للهِ يورثُها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين .

قال الطبري : وقد قيل : إنّ ذلك كان بعد منصرف النبي (ص) من حجّة الوداع كما نذكر .

حجة الوداع

ثم خرج النبيّ (ص) الى حجة الوداع في خمس ليالٍ بقين من ذي القعدة، ومعه من اشراف الناس ومائة من الابل هدايا

ودخل مكة يوم الاحد لاربع خلون من ذي الحجة ولقيه علي بن ابي طالب بصدقات نجران، فحج معه وعلّم (ص) الناس مناسكهم واسترحمهم وخطب الناس بعرفة خطبته التي بيّن فيها ما بين حمد الله والثناء عليه ثم قال: ايها الناس اسمعوا قولي فاني لا أدري لعلّي لا القاكم بعد عامي هذا بهذا الموقف أبداً، ايها الناس ان دماءكم وأموالكم عليكم حرام الى ان تلقوا ربكم، كحرمة يومكم هذا، وحرمة شهركم هذا، وستلقون ربّكم فيسألكم عن أعمالكم، وقد بَلّغتُ. فمن كانَ عنده أمانه فليؤدِّها الى من ائتمنه عليها، وإن كان رِباً فهو موضوع: فلكم رؤوس أموالكم لا تَظلِمُون ولا تُظلَمُون. قضى الله انه لا ربا، إنّ ربا العباس بن عبد المطلب موضوع كلُّه، وان كل دمٍ كان في الجاهلية موضوع كلُّه، وان اول دمٍ وضع دم ربيعة بن الحرث بن عبد المطلب وكان مسترضعاً في بني ليث، فقتله بنو هذيل، فهو أول ما أبدىء من دم الجاهلية. ايها الناس! إنّ الشيطان قد يئس من أن يعبد بأرضكم هذه أبداً، ولكنه رضي أن يطاع فيما سوى ذلك مما تحقرون من أعمالكم، فاحذروه على دينكم. أيها الناس! انما النسيء زيادة في الكفر يضلّ به الذين كفروا يحلونه عاماً ويحرّمونه إلى فيحلوا ما حرّم الله ويحرّموا ما أحلّ الله، ألا وإن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض، وانّ عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهراً في كتاب الله يوم خلق السموات والأرض، منها اربعة

حرم، ثلاثة متوالية ذو القعدة وذو الحجة والمحرم، ورجب الفرد الذي بين جمادى وشعبان . أمّا بعد أيها الناس فانّ لكم على نسائكم حقًّا، ولهن عليكم حقًّا . لكم عليهن أن لا يوطئن فرشكم أحداً تكرهونه، وعليهن أن لا يأتين بفاحشة مبينة، فان فعلن فانّ الله قد أذن لكم أن تهجروهنّ في المضاجع، وتضربوهنّ ضرباً غير مبرّح، فان انتهين فلهنّ رزقهنّ وكسوتهنّ بالمعروف . واستوصوا بالنساء خيراً، فانهن عندكم عوار لا يملكن لانفسهن من الخير شيئاً، وانكم انما أخذتموهنّ بامانة الله، واستحللتم فروجهنّ بكلمة الله، فاعقلوا أيها الناس واسمعوا قولي، فاني قد بلّغت وتركت فيكم ما إن استعصمتم به فلن تضلوا أبدًا : كتاب الله وسنّة نَبِيِّهِ . ايها الناس ا اسمعوا قولي، واعلموا أن كل مسلم أخو المسلم، وانّ المسلمين أخوة، فلا يحل لامرىء من مال أخيه إلا ما أعطاه إياه عن طيب نفس، فلا تظلموا أنفسكم . أللّهم قد بلّغت[1] فذكر انهم قالوا اللهمّ نعم . فقال رسول الله (ص) أللهمّ أشهد .

وكانت هذه الحجة تسمى حجة البلاغ وحجة الوداع، لانه لم يحج بعدها وقد كان حج قبل ذلك حجتين، واعتمر مع حجّة الوداع عمرة فتلك ثلاث . ثم انصرف الى المدينة في بقية ذي الحجة من العاشرة[2] .

---

(١) وفي تسمية أخرى: ألا هل بلّغت.

(٢) لم يذكر هنا حديث الغدير وقد أجمع المؤرخون وأرباب التفسير أن

. . . .

=رسول الله (ص) لما رجع من حجة الوداع إلى المدينة نزل عليه الأمين جبرائيل بقوله تعالى: ﴿يا أيها الرسول بلّغ ما أنزل إليك من ربك﴾. وإن الآية الكريمة أمرت النبي (ص) أن ينصب عليّاً أميراً وخليفة للمسلمين من بعده فأمر الرسول من كان معه من المسلمين أن يحطوا رحلهم بغدير خم قرب الجحفة على طريق المدينة وأن يرد من تقدم منهم إلى المحل الذي نزل به الرسول وكان ذلك في اليوم الثامن عشر من ذي الحجة سنة عشرة من الهجرة وكان ذلك اليوم شديد الحرّ فكان الرجل يضع بعض ردائه على رأسه وبعضه تحت قدميه من شدّة الحر. وقد وقف النبي في هذا اليوم بعد صلاة الظهر خطيباً بالمسلمين فقال: الحمد لله ونستعين ونؤمن به ونتوكل عليه ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا الدنيّة لا هادي لمن ضل ولا مضل لمن هدى وأشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله. أما بعد أيها الناس قد نبأني اللطيف الخبير أنه لم يعمر نبيّ إلا مثل نصف عمر الذي قبله وإني أوشك أن أدعى فأجيب وإني مسؤول وأنتم مسؤولون. فماذا أنتم قائلون؟ قالوا نشهد أنك قد بلغت ونصحت وجهدت فجزاك الله خيراً. قال ألستم تشهدون أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله؟ قالوا بلى نشهد بذلك. ثم قال أيها الناس ألا تسمعون؟ قالوا نعم. قال فإني فرط على الحوض وأنتم واردون عليه فانظروا كيف تخلفوني في الثقلين فنادى منادٍ وما الثقلان يا رسول الله؟ قال الثقل الأكبر كتاب الله، طرف بيد الله عز وجل وطرف بأيديكم فتمسكوا به لا تضلوا والآخر الأصغر عترتي وأن اللطيف الخبير نبأني أنهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض فسألت لهما ذلك ربي فلا تتقدموهما فتهلكوا ولا تقصّروا عنهما فتهلكوا ثم أخذ بيد عليّ فرفعها وعرفه القوم فقال: أيها الناس من أولى الناس بالمؤمنين من أنفسهم؟ قالوا الله ورسوله أعلم. قال إن الله مولاي وأنا مولى المؤمنين وأنا أولى بهم من أنفسهم فمن كنت مولاه فعليّ مولاه، اللهم والِ من والاه وعادِ من عاداه وأدر الحق معه حيث دار ألا فليبلّغ الشاهد الغائب.

(أنظر كتاب البداية والنهاية لابن كثير ج ٥ ص ٢٠٨ وتاريخ اليعقوبي ج ٢ ص ٩٣ والفرق الإسلامية ص ٤٢ وغيرها من كتب التاريخ.

العمال على النّواحي

كان رسول الله (ص) حين أسلم باذان : عامل كسرى على اليمن، وأسلمت اليمن أمّره على جميع مخالفيها ولم يُشرك معه فيها أحد حتى مات . وبلغه موته وهو منصرف من حجة الوداع فقسم عمله على جماعة من الصحابة . فولى على صنعاء ابنه شَمِرُ بن باذان، وعلى مَأرِب أبا موسى الاشعري، وعلى الجند يعلى بن أمية، وعلى هَمَدان عامر بن شمر الهمداني، وعلى عَكٍّ والأشعَرِيين الطاهر بن أبي هالة[1] وعلى ما بين نجران وزُمَع وزُبَيد خالد بن سعيد بن العاص، وعلى نجران عمرو بن حزام، وعلى بلاد حضرموت زياد بن لبيد[2] البَيَاضِيّ، وعلى السَكاسِكِ والسَكونِ عُكاشَةَ ابن ثور[3] بن أصغر الغَوْثِيّ، وعلى معاوية بن كندة عبدالله المهاجر ابن أبي أمية، واشتكي المُهَاجِرُ فلم يذهب، فكان زياد بن لبيد يقوم على عمله . وبعث معاذ بن جبل معلّماً لاهل اليمن وحضرموت وكان قبل ذلك قد بعث على الصدقات عَدِيّ بن حاتم على صدقة طي، وأسد ومالك بن نويره على صدقات بني حنظلة، وقسم صدقة بني سعد بين رجلين منهم، وبعث العَلاء بن الحضرمي على

(١) في نسخة ب : الطاهر بن أبي منالة .

(٢) في نسخة ب : زياد بن يزيد .

(٣) في نسخة ب : عكاشة بن بدر.

البحرين، وبعث علي بن أبي طالب الى نجران ليجمع صدقاتهم وجزيتهم ويقدم عليه بها، فوافاه من حجة الوداع كما مرّ.

خبر العنسي

كان الأسود العنسي واسمه عَبْهَلَةُ بن كعب، ولقبه ذو الحِمار، وكان كاهناً مُشَعْوذاً يفعل الأعاجيب، ويخلب بحلاوة منطقه، وكانت داره كهف خيار [1]، بها ولد ونشأ وادعى النبوة، وكانت مذحجاً عامّة، فأجابوه واوعدوا نجران فوثبوا بها، وأخرجوا عمرو ابن حزام وخالد بن سعيد بن العاص وأقاموه في عملها. ووثب قيس بن عبد يغوث على فروة بن مسيك وهو على مراد فأجلوه. وسار الأسود في سبعمائة فارس الى شهر بن باذان بصنعاء، فلقيه شهر بن باذان، فهزمه الأسود فقتله، وغلب على ما بين صنعاء وحضرموت الى أعمال الطائف إلى البحرين من قبل عدن، وجعل يطير استطارة الحريق، وعامله المسلمون بالتقية، وارتد كثير من أهل اليمن. وكان عمرو بن معد يكرب مع خالد بن سعيد بن العاص، فخالفه واستجاب للأسود، فسار إليه خالد ولقيه، فاختلفا ضربتين، فقطع خالد سيفه الصمصامة، وأخذها ونزل عمرو عن

---

(١) في نسخة ب: كهف جناز وهو تحريف ظاهر ومقتضى السياق: وكانت داره كهف خيار الناس.

فرسه وفتك في الخيل، ولحق عمرو بن الأسود فولّاه على مذحج، وكان أمر جنده الى قيس بن عبد يغوث المرادي، وأمر الابناء الى فَيْرُوزَ وداذَوَيْهَ . وتزوّج امرأة شهر بن باذان، واستفحل أمره . وخرج معاذ بن جبل هارباً ومرّ بأبي موسى الاشعري في مأرب فخرج معه، ولحقا بحضرموت . ونزل معاذ في السكون، وأبو موسى في السكاسك، ولحق عمرو بن حزم وخالد بن سعيد بالمدينة . وأقام الطاهر بن أبي هالة ببلاد عك : جبال صنعاء . فلما ملك الأسود اليمن واستفحل استخف بقيس بن عبد يغوث، وبفيروز وداذويه، وكانت ابنة عم فيروز هي زوجة شهر بن باذان التى تزوجها الأسود بعد مقتله، واسمها أزاد . وبلغ الى النبي (ص) فكتب مع وَبْرِ بن عُنَيْسَ الى الابناء، وأبي موسى ومعاذ والطاهر يأمرهم فيه أن يعملوا في أمر الأسود بالغيلة او المصادقة . ويبلغ عنه ما يروم عنده ديناً او نجدة، وأقام معاذ والأبناء في ذلك فداخلوا قيس بن عبد يغوث في أمره فأجاب، ثم داخل فيروز بنت عمّه زوجة الأسود فواعدته قتله . وكتب النبي (ص) الى عامر بن شمر الهمداني وبعث جرير بن عبدالله الى ذي الكلاع وذي أمران وذي ظَليم من أهل ناحيته، والى أهل نجران من عربهم ونصاراهم واعترضوا الأسود ومشوا وتنحوا إلى مكان واحد، وأخبر الأسود شيطانه بغدر قيس وفيروز وداذويه، فعاتبهم وهمّ بهم ففرّوا الى امرأته، وواعدتهم أن ينقبوا البيت

من ظهره، ويدخلوا فَيُبَيِّتوه ففعلوا ذلك، ودخل فَيْرُوز ومعه قيس ففتل[(١)] عنقه ثم ذبحه، فنادى بالأذان عند طلوع الفجر، ونادى دادَوَيه بشعار الاسلام. وأقام وبر بن يُحَنِّس الصلاة، واهتاج الناس مسلهم وكافرهم، وماج بعضهم في بعض، واختطف الكثير من أصحابه صبياناً من أبناء المسلمين، وبرزوا وتركوا كثيراً من أبنائهم. ثم تراسلوا في ردّ كلٍّ ما بيده، وأقاموا يتردّدون فيما بين صنعاء ونجران، وخلصت صنعاء والجنود. وتراجع اصحاب النبي (ص) الى أعمالهم، وتنافسوا الامارة في صنعاء. ثم اتفقوا على معاذ يصلي بهم، وكتبوا الى رسول الله (ص) بالخبر، وكان قد أتاه خبر الواقعة من السماء فقال في غداتها: قتل العنسي البارحة، قتله رجل مبارك وهو فيروز. ثم قدمت الرسل وقد توفي[(٢)] النبي (ص).

بعث اسامة

ولما رجع النبي (ص) من حجّة الوداع آخر ذي الحجة، ضرب على الناس في شهر المحرّم بعثاً الى الشام، وأمّر عليهم مولاه أسامة بن زيد بن حارِثَةَ، وأمره ان يوطىء الخيل تخوم البلقاء والداروم الى الاردنّ من أرض فِلَسْطِين ومشارف الشام. فتجهز

---

(١) في نسخة ب: ففك عنقه.
(٢) في نسخة ب: وقد قدم النبي (ص).

الناس، وأوعب معه المهاجرون الاوّلون، فبينا الناس على ذلك ابتدأ النبي (ص) بشكواه التي قبضه الله فيها الى كرامته ورحمته، وتكلم المنافقون في شأن اسامة. وبلغ الخبر بارتداد الاسود ومسيلمة، وخرج رسول الله (ص) عاصباً رأسه من الصداع وقال: اني رأيت البارحة في نومي أن في عضدي سوارين من ذهب فكرهتها فنفختها فطارا فاوّلتها هذين الكذابين: صاحب اليمامة، وصاحب اليمن.

وقد بلغني ان أقواماً تكلموا في أمارة أسامة، طعنوا في امارته، لقد طعنوا في امارة ابيه من قبله، وان كان أبوه لحقيقاً بالامارة، وإنه لحقيق بها[1] انفروا. فبعث اسامة، فضرب أسامة بالجرف وتمهل، وثقل رسول الله (ص) وتوفاه الله قبل توجه أسامة.

اخبار الاسود ومسيلمة وطليحة

كان النبي (ص) بعد ما قضى حجة الوداع تحلّل به السير، فاشتكى وطارت الاخبار بذلك، فوثب الاسود باليمن كما مرّ، ووثب مسيلمة باليمامة، ثم وثب طُلَيْحَةُ بن خُوَيْلِد في بني أسد يدّعي كلهم النبوّة. وحاربهم رسول الله (ص) بالرسل والكتب الى عماله، ومن ثبت على اسلامه من قومهم أن يجدوا في جهادهم.

(١) في نسخة ب: لخليق بها.

فأصيب الاسود قبل وفاته بيوم، ولم يشغله ما كان فيه من الوجع عن أمر الله والذبِّ عن دينه، فبعث الى المسلمين من العرب في كل ناحية من نواحي هؤلاء الكذابين يأمرهم بجهادهم. وجاء كتاب مسيلمة اليه فأجابه كما مرّ. وجاء ابن أخي طليحة يطلب الموادعة، فدعا عليه (ص) حتى كان من حكم الله فيهم بعد وفاته ما كان.

مرضه (ص)

اول ما بدىء به رسول الله (ص) من ذلك ان الله نعى اليه نفسه بقوله: اذا جاء نَصْرُ اللهِ والفَتْحُ الى آخر السورة. ثم بدأه الوجع لليلتين بقيتا من صفر، وتمادى به وجعه وهو يدور على نسائه، حتى استقرّ به في بيت ميمونة، فاستأذن نساءه ان يمرض في بيت عائشة فأذِنّ له، وخرج على الناس فخطبهم، وتحلّل منهم، وصلى على شهداء أُحد واستغفر لهم ثم قال لهم: ان عبداً من عباد الله خيّره الله بين الدنيا وبين ما عنده، فاختار ما عنده. وفهمها أبو بكر فبكى فقال: بل نفديك بانفسنا وابنائنا فقال: على رسلك يا أبا بكر. ثم جمع رسول الله (ص) اصحابه فرحّب بهم وعيناه تدمعان ودعا لهم كثيراً وقال: اوصيكم بتقوى الله واوصي الله بكم، واستخلفه عليكم، واودعكم اليه، إني لكم نذير وبشير ألّا تعلوا على الله في بلاده وعباده، فانه قال لي ولكم: تلك الدارُ الآخِرَة نجعلها للذين لا يُريدون

عُلوًّا في الارض ولا فساداً والعاقِبَةُ للمتَّقين وقال : أليس في جهنم مَثوًى للمُتَـكَبِّرِين[1] ؟

ثم سألوه عن مغسله فقال : الادنَوْن من أهلي ، وسألوه عن الكفن فقال : في ثيابي هـذه او بياض مصر او حلّة يمانيّة . وسألوه عن الصلاة عليه فقال : دعوني على سريري في بيتي على شفير قبري ، ثم أخرجوا عني ساعة حتى تصلي عليّ الملائكة ، ثم ادخلوا فوجاً بعد فوج فصلُّوا وليبدأ رجال أهل بيتي ثم نساؤهم .

وسألوه عمن يُدخِلُهُ القبر فقال : أهلي ثم قال : ائتوني بدواة وقرطاس ، اكتب لكم كتاباً لا تضلُّون بعـده فتنازعوا وقال بعضهم إنه يهجر ، وقال بعضهم أهجر؟ يستفهم . ثم ذهبوا يعيدون عليه ، ثم قال : دعوني فما أنا فيه خير مما تدعونني اليه .

وأوصى بثلاث : ان يخرجوا المشركين من جزيرة العرب ، وان يجيزوا الوفد كما كان يجيزهم ، وسكت عن الثالثة او نسيها الراوي . واوصى بالانصار فقـال : انهم كَرِشي[3] وعَيْلَتي التي أويت اليها[2] فأكرموا كريمهم وتجاوزوا عن مسيئهم فقد اصبحتم يا معشر المهاجرين تزيدون ، والانصار لا يزيدون ثم قال : سدّوا

---

(١) في نسخة ب : للكافرين .
(٢) أي صار له جيش بعد الانفراد .
(٣) في نسخة ب : هم كرشي وعيني اليمنى فأكرموا كريمهم .

هذه الابواب في المسجد الا باب ابي بكر، فاني لا أعلم امرءاً أفضل يداً عندي في الصحبة من أبي بكر، ولو كنت متخذاً خليلًا لاتخذت أبا بكر خليلًا، ولكن صحبته إخاء وايمان حتى يجمعنا الله عنده.

ثم ثقل به الوجع وأغمي عليه، فاجتمع اليه نساؤه وبنوه وأهل بيته والعباس وعليّ. ثم حضر وقت الصلاة فقال: مروا أبا بكر فليصلِّ بالناس. فقالت عائشة: انه رجل أسيف لا يستطيع ان يقوم مقامك فمر عمر، فامتنع عمر وصلى ابو بكر. ووجد رسول الله (ص) خفَّة فخرج فلما أحسّ به أبو بكر تأخر فجذبه رسول الله (ص) وأقامه مكانه، وقرأ من حيث انتهى ابو بكر. ثم كان ابو بكر يصلي بصلاته والناس بصلاة ابي بكر. قيل صلوا كذلك سبع عشرة صلاة، وكان يدخل يده في القدح وهو في النزع فيمسح وجهه في الماء ويقول: اللهم أعِنّي على سكرات الموت. فلما كان يوم الاثنين وهو يوم وفاته خرج الى صلاة الصبح عاصباً رأسه، وأبو بكر يصلي فنكص عن صلاته[1] وردّه رسول الله (ص) بيده، وصلّى قاعداً على يمينه. ثم أقبل على الناس بعد الصلاة فوعظهم وذكَّرهم، ولما فرغ من كلامه قال له أبو بكر: اني اراك قد اصبحت بنعمة الله وفضله كما

(١) في نسخة ب: فنهض عن مصلّاه.

نحبَّ، وخرج الى اهله في السنح . ودخل رسول الله (ص) في بيته فاضطجع في حجرة[1] عائشة، ودخل عبد الرحمن بن ابي بكر عليه وفي يده سواك أخضر، فنظر اليه وعرفت عائشة انه يريده قالت : فمضغته حتى لان وأعطيته اياه فاستنّ به ثم وضعه . ثم ثقل في حجري فذهبت أنظر في وجهه، فاذا بصره قد شخص وهو يقول : الرفيق الأعلى من الجنة فعلمت أنه خيّر فاختار .

وفاته (ص)

وكانت تقول : قبض رسول الله (ص) بين سحري ونحري، وذلك نصف نهار يوم الاثنين لليلتين من شهر ربيع الأول ودفن من الغد نصف النهار من يوم الثلثاء، ونادى النَعِيُّ في الناس بموته، وأبو بكر غائب في أهله بالسنح، وعمر حاضر فقام في الناس فقال : ان رجالًا من المنافقين زعموا أن رسول الله (ص) مات، وانّه لم يمت وانه ذهب الى ربّه كما ذهب موسى وليرجعنّ فيقطعنّ أيدي رجال وأرجلهم، وأقبل ابو بكر وقد بلغه الخبر، فدخل على رسول الله (ص) فكشف عن وجهه وقبّله وقال : بابي أنت وأمي قد ذقت الموتة التي كتب الله عليك، ولن يصيبك بعدها موتة أبداً . وخرج الى عمر وهو يتكلم فقال : أنصت ! فأبى وأقبل على الناس يتكلم فجاءوا اليه وتركوا عمر، فحمد الله واثنى عليه وقال : أيّها الناس ! من كان يعبد محمدًا فان محمداً

(١) في نسخة ب : في حجر عائشة.

قد مات، ومن كان يعبد الله فان الله حي لا يموت، ثم تلا: وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل الآية. فكأنّ الناس لم يعلموا أنّ هذه الآية في المُنْزَلِ قال عمر: فما هو إلّا ان سمعت أبا بكر يتلوها فوقعت الى الأرض ما تحملني رجلاي، وعرفت أنه قد مات. وقيل تلا معها إنك ميت وانهم ميتون الآية. وبينما هم كذلك إذ جاء رجل يسعى بخبر الأنصار انهم اجتمعوا في سقيفة بني ساعِدَةَ يبايعوا[1] سَعْدَ بن عَبَادَةَ ويقولون: منا أمير ومن قريش أمير، فانطلق أبو بكر وعمر وجماعة المهاجرين اليهم، وأقام عليّ والعباس وابناه الفضل وقثم وأسامة ابن زيد يتولون تجهيز رسول الله (ص)، فغسله عليّ مسنده الى ظهره والعباس وابناه يقلّبونه معه، وأسامة وشقران يَصُبَّان الماء وعليّ يدلك من وراء القميص[2] لا يفضي الى بشرته بعد أن كانوا اختلفوا في تجهيزه. ثم أصابتهم سِنَةٌ فخفَقُوا وسمعوا من وراء البيت أن اغسلوه وعليه ثيابه[3] ففعلوا ثم كفنوه في ثوبين صحاريّينِ وبُرْدِ حَبِرَةٍ أدرج فيهنّ إدراجاً، واستدعوا حفارين

---

(١) كذا. وينبغي أن تكون يبايعون أو ليبايعوا.

(٢) في نسخة ب: يصبان الماء على يديه من وراء القميص.

(٣) في الكامل لابن الأثير ج ٢ ص ٢٢٥: واختلفوا في غسله في ثيابه أو مجرداً، فألقى الله عليهم النوم، ثم كلمهم مكلّم لا يُدرى من هو أن غسّلوا رسول الله (ص) وعليه ثيابه.

احدهما يلحد والآخر يشق . ثم بعث اليهما العباس رجلين وقال: اللهمّ اغفر لرسولك، فجاء الذي يلحد، وهو أبو طلحة زيد بن سهل، كان يحفر لأهل المدينة، فاحد لرسول الله (ص)، ولما فرغوا من جهازه يوم الثلثاء وضع على سريره في بيته . واختلفوا أيدفن في مسجده أو بيته فقال أبو بكر : سمعته (ص) يقول : ما قبض نبي إلا يدفن حيث قبض، فرفع فراشه الذي قبض عليه وحفر له تحته . ودخل الناس يصلون عليه افواجاً الرجال ثم النساء ثم الصبيان ثم العبيد لا يؤمّ أحدهم أحداً، ثم دفن من وسط الليل ليلة الاربعاء . وعن عائشة توفي لاثنتي عشرة ليلة من ربيع الاول فكملت سنو الهجرة عشر سنين كوامل، وتوفي وهو ابن ثلاث وستين سنة، وقيل خمس وستين سنة وقيل ستين .

خبر السقيفة

ولما قبض رسول الله (ص) ارتاع الحاضرون لفقده، حتى ظن بعضهم أنه لم يمت واجتمعت الانصار في سقيفة بني ساعدة، يبايعون سعد بن عبادة وهم يرون أن الامر لهم بما أووا ونصروا، وبلغ الخبر الى ابي بكر وعمر فجاءوا اليهم، ومعهم أبو عبيدة، ولقيهم عاصم بن عدي وعويم بن ساعدة فأرادوهم على الرجوع وخفضوا عليهم الشأن فأبوا الا أن يأتوهم، فأتوهم في مكانهم ذلك، فأعجلوهم عن شأنهم وغلبوهم عليه جماعاً وموعظة . وقال

ابو بكر: نحن أولياء النبي وعشيرته وأحق الناس بأمره، ولا ننازع في ذلك وانتم لكم حق السابقة والنصرة، فنحن الامراء وانتم الوزراء. وقال الحُبابُ بن المنذر[١] بن الجموحِ: منا أمير ومنكم أمير، وإن أبوا فاجلوهم يا معشر الأنصار عن البلاد، فبأسيافكم دان الناس لهذا الدين. وإن شئتم اعدناها جَذَعَةً[٢] أنا جُذَيْلُها المُحَكَّك[٣]، وعُذَيْقُها المُرَجَّب[٤]. وقال عُمَرُ: إنَّ رسول الله (ص) اوصانا بكم كما تعلمون، ولو كنتم الأمراء لأوصاكم بنا. ثم وقعت ملاحاة بين عمر والمنذر بن الحباب، وأبو عبيدة يخفضها ويقول: اتقوا الله يا معشر الانصار، أنتم اوّل من نصر وآزر، فلا تكونوا أوّل من بدّل وغيّر. فقام بشير بن سعد بن النُّعمانِ[٥] ابن كَعْبِ بن الخَزرَجِ فقال: ألا إنَّ محمدًا من قريش وقومه أحق وأولى، ونحن وإن كنا اولى فضل في الجهاد، وسابقة في الدين، فما اردنا بذلك إلّا رضى الله وطاعة نبيّه، فلا نبتغي به من الدنيا عِوَضاً، ولا نستطيل به على الناس. وقال الحُبّاب بن المنذر: نفست والله عن ابن عمك يا بشير فقال: لا والله! ولكن

(١) في نسخة ب: فقال المنذر بن الحباب.
(٢) كذا في الأصل والأصح: جذعاً يقال: أعدت الأمر جذعاً، أي جديداً كما بدأ.
(٣) أي الذي يحتك به كثيراً وهو مثل لمن يُلجأ إليه ويستغنى برأيه.
(٤) عذيق تصغير عَذِق وهو الذكي اللبق، والمرجّب المهاب.
(٥) في نسخة ب: بشير بن سعد والد النعمان من بني كعب بن الخزرج.

كرهت أن انازع قوماً حقهم، فاشار أبو بكر الى عمر وأبو عبيدة فامتنعا، وبايعا أبا بكر وسبقهما إليه بشير بن سعد . ثم تناجى الأوس فيما بينهم، وكان فيهم أُسَيْدُ بن حُضَيْر أحد النقباء، وكرهوا إمارة الخزرج عليهم، وذهبوا الى بيعة أبي بكر فبايعوه . وأقبل الناس من كل جانب يبايعون أبا بكر . وكادوا يطأون سعد بن عَبَادَةَ . فقال ناس من أصحابه : اتقوا سعدًا ولا تقتلوه فقال عمر : اقتلوه قتله الله وتماسكا، فقال ابو بكر : مهلًا يا عمر الرفق هنا أبلغ، فاعرض عمر، ثم طلب سعدًا في البيعة فأبى وأشار بشير بن سعد بتركه وقال : انما هو رجل واحد، فأقام سعد لا يجتمع معهم في الصلاة ولا يفيض معهم في الحديث[1] حتى هلك ابو بكر . ونقل الطبريّ ان سعدًا بايع يومئذ، وفي أخبارهم أنه لحق بالشام، فلم يزل هنالك حتى مات، وان الجن قتله . وينشدون البيتين الشهيرين وهما :

نَحْنُ قَتَلْنَا سَيِّدَ الْخَزْ ـرَجِ سَعْدَ بْن عَبَادَهْ
فَرَمَيْنَـاهُ بِسَهْـ ـمَيْنِ فَلَمْ نُخْطِ فُؤَادَهْ[2]

---

(١) في نسخة ب : ولا يفيض معهم في الحج .

(٢) رواها الدكتور طه حسين في كتابه : «الأدب الجاهلي» نقلًا عن الجزء الثالث من طبقات ابن سعد هكذا :

قد قتلنا سيد الخز رج سعد بن عباده
ورميناه بسهـ ـمين فلم نخطىء فؤاده

الخلافة الإسلامية

الخبر عن الخلافة الإسلامية في هذه الطبقة وما كان منها من الردة والفتوحات وما حدث بعد ذلك من الفتن والحروب في الإسلام ثم الاتفاق والجماعة

لما قُبِضَ رسول الله (ص) وكان أمر السقيفة كما قدمناه، أجمع المهاجرون والأنصار على بيعة أبي بكر، ولم يخالف إلا سعد إن صح خلافه، فلم يلتفت اليه لشذوذه. وكان من اول ما اعتمده انفاذ بعث أسامة، وقد ارادت العرب إما القبيلة مستوعبة وإما بعض منها. ونجم النفاق، والمسلمون كالغنم في الليلة المطرة لقلتهم وكثرة عدوهم، واظلام الجو بفقد نبيهم. ووقف أسامَةُ بالناس، ورغب من عمر التخلف عن هذا البعث والمقام مع أبي بكر شفقة من أن يدهمه أمر. وقالت له الأنصار فان أبى إلا المضيّ فليولّ علينا أسنّ من أسامة، فأبلغ عمر ذلك كله أبا بكر فقام وقعد وقال: لا أترك أمر رسول الله (ص) حتى أخرج او أنفذه. ثم خرج حتى أتاهم فأشخصهم وشيّعهم وأذن لعمر في الشخوص وقال: اوصيكم بعشر فاحفظوها عليّ: لا تخونوا ولا تَغِلّوا ولا تغدروا، ولا تمثّلوا ولا تقتلوا الطفل ولا الشيخ ولا المرأة، ولا تغرقوا نخلًا ولا تحرقوه، ولا تقطعوا شجرة مثمرة

ولا تذبحوا شاة ولا بقرة ولا بعيراً إلا للاكل . واذا مررتم بقوم فرّغوا انفسهم في الصوامع فدعوهم وما فرغوا أنفسهم له. واذا لقيتم أقواماً فحصوا اواسط رؤوسهم وتركوا حولها مثل العصايب فاضربوا بالسيف ما فحصوا عنه، فإذا قرب عليكم الطعام فاذكروا اسم الله عليه وكلوا . ترفعوا باسم الله .

يا أسامة ! اصنع ما أمرك به نبيّ الله، ابدأ ببلاد قُضَاعَةَ ثم أنت آفل ولا تقصر بشيء من أمر رسول الله (ص) ثم ودّعه من الجرف ورجع، وقد كان بعث معه من القبائل حول المدينة الذين لهم الهجرة في ديارهم، وحبس من بقي منهم، فصار مسالح حول قبائلهم ومضى أسامة مغذًّا وانتهى لما أمره به النبي (ص)، وبعث الجنود في بلاد قُضَاعَةَ وأغار على أُبنى [1] فسبى وغَنِمَ، ورجع لاربعين يوماً وقيل لسبعين ولم يحدث أبو بكر في مغيبه شيئاً، وقد جاء الخبر بارتداد العرب عامة وخاصّةً، إلا قريشاً وثقيفاً، واستغلظ أمر مُسَيْلَمَةَ واجتمع على طُلَيْحَةَ عوام طَيْء وأَسدٍ، وارتدّت غَطَفَانُ وتوقفت هوازِنُ فأمسكوا الصَدَقَةَ، وارتدّ خواص من بني سُلَيْمٍ وكذا سائر الناس بكل مكان . وقدمت رسل النبيّ (ص) من اليمن واليمامة وبني أسد من الأُمراء من كل مكان بانتقاض العرب عامة او خاصة . وحاربهم بالكتب والرسل،

(١) قوله أُبنى بضم الهمزة موضع بناحية البلقاء اهـ .

وانتظر بمصادمتهم قدوم أسامَةَ، فعاجلته عَبْسٌ وذُبْيَانُ ونزلوا في الأَبْرَقِ، ونزل آخرون بذي القِصَّةِ ومعهم خَبالُ من بني أسد ومن انتسب اليهم من بني كِنَانَة..

وبعثوا وفداً الى أبي بكر نزلوا على وجوه الناس يطلبون الاقتصار على الصلاة دون الزكاة، فأبى أبو بكر من ذلك وجعل على أنقاب المدينة علياً والزبير وطلحة وعبدالله بن مسعود، وأخذ أهل المدينة بحضور المسجد، ورجع وفد المرتدين وأخبروا قومهم بقلّة أهل المدينة، فأغاروا على من كان بأنقاب المدينة، فبعثوا الى أبي بكر فخرج في أهل المسجد على النواضح فهربوا والمسلمون في اتباعهم إلى ذي خَشَب. ثم نَفَّروا إبل المسلمين بِلُعَبات اتخذوها فنفرت ورجعت بهم وهم لا يملكونها الى المدينة، ولم يصبهم شيء. وظنّ القوم بالمسلمين الوَهْنَ فبعثوا الى اهل ذي القِصَّةِ يستقدمونهم. ثم خرج ابو بكر في التعبية وعلى ميمنته النُعْمَانُ ابن مُقَرّنَ وعلى ميسرته عبدالله بن مقرن [1] وعلى الساقة سويد ابن مقرن وطلع عليهم مع الفجر واقتتلوا، فما ذرّ قرن الشمس إلا وقد هزموهم وغنموا ما معهم من الظَهْرِ، وقتل خبال واتبعهم أبو بكر الى ذي القِصَّةِ، فجهز بها النعمان بن مقرن في عدد ورجع الى المدينة. ووثب بنو ذُبيانَ وعبس على من كان فيهم من

(١) في نسخة ب: معرور.

المسلمين فقتلوهم، وفعل ذلك غيرهم من المرتدين، وحلف أبو بكر ليقتلنّ من المشركين مثل من قتلوهم من المسلمين وزيادة.

واعتزّ المسلمون بوقعة ابي بكر، وطرقت المدينة صدقات . وقدم أسامة فاستخلفه أبو بكر على المدينة، وخرج في نفر الى ذي خشب[1] والى ذي قِصَّة . ثم سار حتى نزل على اهل الرَبَذَةِ بالأَبْرَقِ، وبها عَبْسٌ وذُبيان وبنو بكر من كِنَانَةَ وثَعْلَبَةُ بن سعدٍ ومن يليهم من مُرَّةَ، فاقتتلوا وانهزم القوم وأقام أبو بكر على الأبرق وحرّم تلك البلاد على بني ذبيان، ثم رجع إلى المدينة.

ردة اليمن

توفي رسول الله (ص) وعلى مكة وبني كنانة عِتابُ بن أَسَيدٍ، وعلى الطائف وارضها عثمان بن ابي العاص علـى المَدَرِ، ومالك بن عوف على الوَبَرِ، وعلى عجز هوازنَ عِكْرِمَةُ بن ابي جَهْلٍ، وعلى نجران وأرضها عمرو بن حزام على الصلاة، وأبو سُفْيَانَ ابن حربٍ على الصدقات، وعلى ما بين زَمَعٍ وزُبَيْدَ الى نجران خالد بن سعيد بن العاص، وعلى همدان كلها عامر بن شمر الهَمْدَانِيّ، وعلى صنعاء فيروز الدَيْلَمِيُّ ومُسانِدُهُ داذويه وقيس بن مكشوح المرادي . ورجعوا اليها بعد مقتل الأسود، وعلى الجند يعلى بن أمية، وعلى مأرب ابو موسى الأشعري، وعلى الاشعريين وعكّ

(١) في نسخة ب: ذي حسا.

الطاهر بن أبي هالة، وعلى حضرموت زياد بن لبيد البياض وعُكاشَةُ ابن ثور بن أصفر الغوثي، وعلى كِنْدَة المهاجر بن ابي أميَّة . وقد كان رسول الله (ص) غضب عليه في غزوة تبوك فاسترضته له أم سلمة وولّاه على كندة، ومرض فلم يصل اليها . وأقام زياد ابن لبيد ينوب عنه، وكان معاذ بن جبل يعلّم القرآن باليمن يتنقّل على هؤلاء وعلى هؤلاء في أعمالهم .

وثار الأسود في حياة رسول الله (ص)، وحاربه بالرسل وبالكتب فقتله الله، وعاد الاسلامْ في اليمن كما كان، فلما بلغه الموت انتَقَضَت اليَمَنُ وارتدّ اهلها في جميع النواحي، وكانت الغالة [1] من جند العَنْسِيّ بين نجران وصنعاء لا يأوون إلى أحد، ورجع عمرو بن حِزام الى المدينة واتبعه خالد بن سعيد . وكان عمرو بن معد يَكرِبَ بالجبال حيال فروة بن مسيك وابن مكشوح، وتحيل في قتل الابناء فيروز وداذويه وخشنش، والاستبداد بصنعاء . وبعث الى الغالة من جيش الأسود يُغْريهم بالابناء ويعدهم بالمُظَاهَرَةِ عليهم فجاءوا إليه، وخشي الابناء غائلتهم وفزعوا اليه، فاظهر لهم المناصحة وهيأ طعاماً فجمعهم له ليغدر بهم، فظفر منهم بداذويه، وهرب فيروز وخشنش، وخرج قيس

(١) لم نجد لهذه الكلمة معنى . ولعلها جمع «غائل» ولكنا لم نجد هذا الجمع فيما بين أيدينا من كتب اللغة .

في أثرهما، فامتنعا بخولان أخوال فيروز، وثار قيس بصنعاء وجبى ما حولها وجمع الفالّة من جنود الأسود اليه . وكتب فيروز إلى أبي بكر بالخبر فكتب له بولاية صنعاء، وكتب الى الطاهر بن أبي هالة باعانته، والى عُكاشَةَ بن ثَوْرٍ بأن يجمع أهل تِهَامَةَ ويقيم بمكانه، وكتب الى ذي الكلاع سُمَيْفَعٍ وذي ظَليمَ حَوْشَبَ وذي تَبانَ شَهرٍ باعانة الابناء وطاعة فيروز، وان الجند يأتيهم . وأرسل اليهم قيس بن مكشوح يغريهم بالابناء، فاعتزل الفريقان، واتبعت عوامّهم قيس بن مكشوح في شأنه، وعمد قيس الى عيلات الابناء الذين مع فيروز فغَرَّ بهم وأخرجهم من اليمن في البر والبحر وعرضهم للنهب .

فأرسل فيروز الى بني عقيل بن ربيعة والى عك يستصرخهم فاعترضوا عيال فيروز والابناء الذين معه فاستنقذوهم، وقتلوا من كان معه، وجاؤوا الى فيروز فقاتلوا معه قيس بن مكشوح دون صنعاء فهزموه، ورجع الى المكان الذي كان به مع فالّة الأسود العنسي . وانضاف قيس الى عمرو بن معد يكرب وهو مرتدّ منذ تنبّأ الاسود العنسي، وقام حيال فروة بن مسيك، وقد كان فروة وفد واسلم وكذلك قيس، واستعمل رسول الله (ص) قيساً على صدقات مراد، وكان عمرو قد فارق قومه سعد العشيرة مع بني زبيد وأحلافها وانحاز اليهم فأسلم معهم، وكان فيهم . فلما انتقض الأسود واتبعه عوام مذحج كان عمرو فيمن اتبعه،

وأقام فروة فيمن معه على الاسلام فولّى الأسود عمراً وجعله بحياله .

وكانت كِنْدَةُ قد ارتدّوا وتابعوا الأسود العَنْسِيّ بسبب ما وقع بينهم وبين زياد الكِنْدِيّ، في أمر فريضة من فرائض الصدقة أطلقها بعض بني عمرو بن معاوية بعد أن وقع عليها ميسم الصدقة غلطاً، فقاتلهم زياد وهزمهم، فاتفق بنو معاوية على منع الصدقة والرِدَّةِ إلا شُراحيلُ بن السمْط وابنه . وأشير على زياد بمعاجلتهم قبل أن ينضم اليهم بعض السكاسِكِ وحضرموت وأبْضِعَةَ وجَمَدٍ ومشرح ومخوس وأختهم العمرَّدة . وهرب الباقون، ورجع زياد بالسُبِيّ والغنائم، ومرّ بالأشعث بن قيس وبني الحرث بن معاوية، واستغاث نساء السبيّ فسار الأشعث وتنقَّذهم . ثم جمع بني معاوية كلّهم ومن أطاعه من السكاسك وحضرموت وأقام على ردّته . وكان أبو بكر قد حارب أهل الردة اوّلا بالكتب والرسل، كما حاربهم رسول الله (ص) الى أن رجع أسامة بن زيد، ثم كان اول مصادم فخرج الى الابرق واستنفر من لم يرتدّ إلى من ارتدّ . وابتدأ بالمهاجرين والانصار، ثم استنفر كلًّا على من يليه، حتى فرغ من آخر أمور الناس لا يستعين بمرتدّ . وكتب إلى عتاب بن أسيد بمكّة، وعثمان بن ابي العاص بالطائف بركوب من ارتدّ بمن لم يرتدّ، وثبت على الاسلام من أهل عملها . وقد كان اجتمع بتهامة وشباب من مدلج وخزاعة فبعث عتاب اليهم

ففرّقهم وقتلهم، واجتمع بشنوءة جمع من الأزد وخثعم وبجيلة، فبعث إليهم عثمان بن أبي العاص من فرّقهم وقتلهم . واجتمع بطريق الساحل من تِهَامَةَ جموع من عكٍّ والأشعَرِيينَ، فسار اليهم الطاهر بن أبي هالة ومعه مسروق العَكِّي فهزموهم وقتلوهم، وأقام بالأجناد ينتظر أمر أبي بكر ومعه مسروق العَكِّي، وبعث اهل نجران من بني الأفعى الذين كانوا بها قبل بني الحرث، وهم في اربعين الف مقاتل، وجاء وفدهم يطلبون إمضاء العهد الذي بايديهم من النبي (ص)، فامضاه أبو بكر إلّا ما نسخه الوحي بان لا يترك دينان بارض العرب . ورجعت رسل النبيّ (ص) الذين كان بعثهم عند انتقاض الأسود العنسي، وهم جرير بن عبدالله والأقرع ووبر بن مخنس، فردّ أبو بكر جريراً ليستنفر من ثبت على الاسلام على من ارتدّ، ويقاتلوا خثعم الذين غضبوا لهدم ذي الخُلَيْفَةِ فيقتلهم ويقيم بنجران، فنفذ ما أمره به ولم يمرّ به أحد إلا رجال قليل تَتَبَّعَهُم بالقتل، وسار الى نجران .

وكتب أبو بكر الى عثمانَ بن أبي العاص أن يضرب البعوث على مخاليف أهل الطائف، فضرب على كل مخلافٍ عشرين، وأمّر عليهم أخاه، وكتب الى عِتَابِ بن ابي أَسِيْد أن يضرب على مكّة وعملها خمسمائة بعث، وأمّر عليهم أخاه خالداً وأقاموا ينتظرون . ثم أمر المهاجر بن أبي أمية بان يسير إلى اليمن ليصلح من أمره ثم ينفذ الى عمله وأمره بقتال من بين نجران واقصى اليمن ففعل

ذلك . ومرّ بمكّة والطائف فسار معهم خالد بن أَسَيْدَ وعبد الرحمن ابن أبي العاص بمن معهما، ومرّ بجرير بن عبدالله وعُكاشَةَ بن ثور فضمّهما إليه . ثم مرّ بنجران وانضمّ إليه فروة بن مُسَيْكٍ وجاءه عمرو بن معد يكَرِبَ وقيس بن مَكْشُوحٍ فاوثقهما وبعث بهما الى أبي بكر وسار الى لقائه . فتبعهم بالقتل ولم يؤمنهم، فقتلوا بكل سبيل . وحضر قيس عند أبي بكر فحظر قتل داذويه، ولم يجد أمراً جلياً في أمره، وتاب عمرو بن معد يكرب واستقالا فاقالهما وردّهما . وسار المُهَاجِرُ حتى نزل صنعاء وتتبّع ارتداد القبائل، فقتل من قدر عليه، وقبل توبة من رجع اليه . وكتب الى أبي بكر بدخوله صنعاء . فجاءه الجواب بأن يسير الى كِنْدَةَ مع عِكْرِمَةَ بن أبي جهل، وقد جاءه من ناحية عمان ومعه خلق كثير من مَهْرَةَ والازدِ وناجِيَةَ وعبدِ القَيْسِ، وقوم من مالك ابن كِنَانَةَ وبني العَنْبَرِ. وقدم أَبْيَنَ وأقام بها لاجتماع النَّخعِ وحِمْيَرٍ . ثم سار مع المهاجر الى كندة . وكتب زياد إلى المهاجر يستحثه فلقيه الكتاب بالمفازة بين مأرب وحضرموت . فاستخلف عكرمة على الناس وتعجّل الى زياد ونهدوا الى كندة، وعليهم الأشعث ابن قيس فهزموهم وقتلوهم، وفرّوا الى النُّجَيْرِ حِصْنٍ لهم فتحصّنوا فيه مع من استغووه من السكاسك وشذّاد السكون[1]

---

(١) في نسخة ب: وشذاذ الكون.

وحضرموت . وسدّوا عليهم الطرق إلّا واحدة جاء عكرمة بعدهم فسدّها، وقطعوا عنهم المدد وخرجوا مستميتين في بعض الأيام فغلبوهم وأخرجوهم . واستأمن الأَشْعَثُ الى عِكْرِمَةَ بما كانت أسماء بنت النُعْمان بن الجَوْنِ تحته، فخرج إليه وجاء به إلى المهاجر وأمّنه في أهله وماله وتسعة من قومه، على أن يفتح لهم الباب، فاقتحمه المسلمون وقتلوا المقاتلة وسبوا الذرّية، فكان في السُبيِ ألف امرأة . فلما فرغ من النجير دعا بكتاب الأمان من الأشعث، واذا هو قد كتب غرض نفسه في التسعة رجال من اصحابه فأوثقه كتافاً، وبعث به الى أبي بكر ينظر في أمره. فقدم مع السبايا والأسرى فقال له أبو بكر : أقتلك؟ قال : إني راودت القوم على عشرة واتيناهم بالكتاب مختومة فقال أبو بكر : إنما الصلح على من كان في الصحيفة، واما غير ذلك فهو مردود[1] . فقال يا أبا بكر : احتسب فيَّ وأقلني وأقبل اسلامي وردّ عليّ زوجتي، وقد كان تزوّج أم فروة أخت أبي بكر حين قدم على رسول الله (ص) وأخرها الى أن يرجع فاطلقه أبو بكر وقبل اسلامه وردّ عليه زوجته وقال : ليبلغني عنك خير . ثم خلّى على القوم فذهبوا وقسم الانفال .

(١) في نسخة ب : وأما قبل ذلك فهو مراودة.

بعث الجيوش للمرتدة

لما قدم أُسامَةُ ببعث الشام على أبي بكر، استخلفه على المدينة ومضى الى الرَبَذَةِ، فهزم بني عبس وذبيان وكنانة بالأبرق، ورجع الى المدينة كما قدّمناه، حتى اذا استجمّ جند أسامة، وتاب مَنْ حوالي المدينة، خرج الى ذي القِصَّة على بريد من تلقاء نجد عقد فيها أحد عشر لواءً على أحد عشر جنداً لقتال أهل الردّة، وأمر كل واحد باستنفار من يليه من المسلمين من كل قبيلة، وترك بعضها لحماية البلاد، فعقد لخالد بن الوليد وأمره لطليحة، وبعده لمالك بن نويرة بالبطاح، ولعكرمة بن أبي جهل وأمره بمسيلمة واليمامة. ثم أردفه بشرحبيل بن حسنة وقال له: اذا فرغت من اليمامة فسر الى قتال قضاعة، والمهاجرين الى أمية وأمره بالغالة من جنود العنسي باليمن، وباعانة الابناء على قيس بن مكشوح ومن معه. ثم تمضي الى كندة بحضرموت. ولخالد بن سعيد بن العاص وقد كان قدم بعد الوفاة الى المدينة من اليمن، وترك عماله فبعثه إلى مشارف الشام، ولعمرو بن العاص الى قتال المرتدّة من قضاعة، ولحذيفة بن محصن وعرفجة بن هرثمة. فَحُذَيْفَةُ لأَهل دُبا، وعَرْفَجَةُ لِمَهْرَةَ، وكل واحد منهما أمير في عمله على صاحبه.

ولطَرَيْفَةَ بن حاجِزَ وبعثه الى بني سُلَيم ومن معهم من هوازن،

ولسويد بن مقرن وبعثه الى تهامة اليمن، وللعلاء بن الحضرمي وبعثه الى البحرين، وكتب الى الامراء عهودهم بنص واحد :

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا عهد من ابي بكر : خليفة رسول الله (ص) لفلان حين بعثه فيمن بعثه لقتال من رجع عن الاسلام، وعهد إليه أن يتقي الله ما استطاع في أمره كله سره وجهره، وأمره بالجدّ في أمر الله ومجاهدة من تولى عنه ورجع عن الاسلام الى أماني الشيطان، بعد أن يعذر إليهم فيدعوهم بدعاية الاسلام، فان أجابوه أمسك عنهم وإن لم يجيبوه شنّ الغارة عليهم حتى يقرُّوا له . ثم يُنَبِّئُهُمْ بالذي عليهم والذي لهم، فيأخذ ما عليهم ويعطيهم الذي لهم لا يُنْظِرُهُمْ، ولا يردّ المسلمين عن قتال عدوّهم . فمن أَجاب الى أمر الله عزّ وجلّ وأقرّ له قَبِلَ ذلك منه وأعانَهُ عليه بالمعروف . وانما يقاتل من كفر بالله على الاقرار بما جاء من عند الله، فاذا أجاب الدعوة لم يكن عليه سبيل وكان الله حسيبه بعد فيما استسر به، ومن لم يجب الى داعية الله ,قتل وقوتل حيث كان، وحيث بلغ مراغمة، لا يقبل الله من أحد شيئاً مما أعطى إلّا الاسلام . فمن أجابه وأقرّ قبل منه وأعانه، ومن أبى قاتله فان أظهره الله عليه عزّ وجلّ قتلهم فيهم كل قتلة بالسلاح والنيران . ثم قسم ما أفاء الله عليه إلا الخمس فانه يبلغناه، ويمنع

أصحابه العجلة والفساد، وأن يدخل فيهم حشواً حتى يعرفهم ويعلم ما هم لئلا يكونوا عيوناً، ولئلا يؤتى المسلمون من قبلهم . وأن يقتصد بالمسلمين ويرفق بهم في السير والمنزل، ويتفقّدهم ولا يعجل بعضهم عن بعض، ويستوصي بالمسلمين في حسن الصحبة ولين القول انتهى .

وكتب الى كل من بعث اليه الجنود من المرتدّة كتاباً واحداً في نسخ كثيرة على يد رسل تقدّموا بين أيديهم نصُّه بعد البسملة : هذا عهد من أبي بكر خليفة رسول الله (ص) الى من بلغه كتابي هذا من عامّة أو خاصّة، أقام على الاسلام او رجع عنه، سلام على من اتبع الهدى ولم يرجع الى الضلالة والهوى[1]، فاني أحمد اليكم الله الذي لا إله إلا هو وحده لا شريك له، وأشهد أنّ محمداً عبده ورسوله وأومن بما جاء به وأكفر من أبى وأجاهده . أمّا بعد : ثم قرّر أمر النبوّة ووفاة الرسول (ص) وأطنب في الموعظة ثم قال : وإني بعثت اليكم فلاناً في جيش من المهاجرين والأنصار والتابعين باحسان، وأمرته أن لا يقاتل أحداً ولا يقتله حتى يدعوه إلى داعية الله، فمن استجاب له وأقرّ وكفّ وعمل صالحاً قَبِلَ منه وأعانه، ومن أبى أمرته أن يقاتله على ذلك ثم لا يبقي على أحد منهم هدر عليه، فمن اتبعه فهو خير له،

(١) في نسخة ب: إلى الضلالة والعمى .

ومن تركه فلن يعجز الله . وقد أمرت رسولي أن يقرأ كتابي في كل مجمع لكم، والداعية للاذان، فاذا أذّن المسلمون فأذنوا كفّوا عنهم، وان لم يؤذّنوا فاسألوهم بما عليهم فان أبوا عاجلوهم، وإن أقرّوا قبل منهم وحملهم على ما ينبغي لهم انتهى . فنفذت الرسل بالكتب أمام الجنود، وخرجت الأمراء ومعهم العهود وكان أوّل ما بدأ به خالد طليحة وبني أسد.

خبر طليحة

كان طُلَيْحَةُ قد ارتدّ في حياة رسول الله (ص)، وكان كاهناً فادّعى النبوّة، واتبعه أفاريق من بني إسرائيل [1] ونزل سُمَيْراء . وبعث رسول الله (ص) ضِرارَ بن الأَزْوَرِ الى قتاله مع جماعة، فاجتمع عليهم المسلمون، وهمّ ضرار بمناجزته فاتى الخبر بموت النبيّ (ص)، فاستطار أمر طلحية، واجتمعت إليه غَطَفانُ وهَوازِنُ وَطَيِّءٌ، وفرّ ضِرارُ ومن معه من العمّال الى المدينة وقدمت وفودهم على أبي بكر في الموادعة على ترك الزكاة، فأبى من ذلك وخرج كما قدّمناه الى غطفان، واوقع بهم بذي القَصَّة، فانضمّوا بعد الهزيمة إلى طليحة وبني أسد بالبزاخة وكذلك فعلت طيء، وأقامت بنو عامر وهوازن ينتظرون، صَمَدَ خالد الى طليحة، ومعه عُيَيْنَةُ بن حصن على بَزَاخَةَ من مياه بني أسد،

(١) في نسخة ب: بني أسد.

وأظهر أنّه يقصد خيبر ثم ينزل الى سَلْمَى وأجأ فيبدأ بطيء. وكان عديّ بن حاتم قد خرج معه في الجيش فقال له: أنا اجمع لك قبائل طيء يصحبونك إلى عدوِّك وسار اليهم فجاء بهم، وبعث خالد عُكاشَةَ بن مُحْصِنٍ وثابت بن أقرم من الأنصار طليعةً ولقيهما طليحة وأخوه فقتلاهما، ومرّ بهما المسلمون. فعظم عليهم قتلهما. ثم عبّى خالد كتائبه، وثابت بن قيس على الانصار، وعديّ ابن حاتم على طيء ولقي القوم فقاتلهم، وعيينة بن حصن مع طليحة في سبعمائة منَ غطفان، واشتدّ المجال بينهم وطليحة في عباءة يتكذّب لهم في انتظار الوحي، فجاء عيينة بعدما ضجر من القتال [1] وقال: هل جاءك أحد بعد؟ قال لا! ثم راجعه ثانية ثم ثالثة فقال جاء. وقال ان لك رحى كرحاه وحديثاً لا تنساه. فقال عيينة: يا بني فزارة الرجل كذّاب وانصرف. فانهزموا وقتل من قتل، وأَسْلَمَ الناسُ طُلَيْحَةَ فوثب على فرسه واحتقب امرأته فنجا بها إلى الشام، ونزل في كَلْبٍ [2] من قُضَاعَةَ على النَّقْعِ حتى أسلمت أَسَدٌ وغَطَفَانُ، فأسلم ثم خرج مُعْتَمِراً أيام عُمَرَ ولقيه بالمدينة فبايعه، وبعثه في عساكر الشام فأبلى في الفتح ولم يصب من عيالات بني أسد في واقعة بزاخة شيء، لأنهم كانوا أخرجوهم في الحصون عند واسط وأسلموا خشية على ذراريهم.

(١) في نسخة ب: عندما ظهر القتال.
(٢) أي في بني كلب.

خبر هوازن وسليم وبني عامر

كان بنو عامر ينتظرون أمر طليحة وما تصنع أسدٌ وغَطَفَانُ حتى أحيط بهم، وكان قُرَّةُ بن هُبَيْرَةَ في كَعْبٍ وعَلْقَمَةُ بن عِلاقَةَ في كلاب، وكان علقمة قد ارتدّ بعد فتح الطائف. ولما قبض النبي (ص) رجع الى قومه وبلّغ أبا بكر خبره فبعث اليه سَرِيَّةً مع القَعْقَاعِ بن عمرو من بني تميم، فأغار عليهم فافلت وجاء بأهله وولده وقومه فأسلموا. وكان قُرَّةُ بن هُبَيْرَةَ قد لقي عمرو بن العاص منصرفه من عمان بعد الوفاة وأضافه وقال له: اتركوا الزكاة فان العرب لا تدين لكم بالأتاوَة، فغضب لها عمرو وأسمعه وأبلغها أبا بكر، فلما أوقع خالد ببني أسد وغطفان وكانت هوازن وسليم وعامر ينتظرون أمرهم فجاءوا إلى خالد وأسلموا، وقبل منهم الاسلام، إلا من عدا على أحد من المسلمين ايام الردّة فانه تتبعهم، فأحرق وقمط ورضخ بالحجارة، ورمى من رؤوس الجبال. ولما فرغ من أمر بني عامر أوثق عيينة بن حصين وقرّة ابن هبيرة، وبعث بهما الى أبي بكر فتجاوز لهما وحقن دماءهما.

ثم اجتمعت قبائل غطفان الى سلمى بنت مالك بن حذيفة ابن بدر بن ظَفَرٍ في الحَوْأَبِ فنزلوا اليها وتذامروا، وكانت سلمى هذه قد سبيت قبل واعتقتها عائشة، وقال لها النبيّ (ص) يوماً وقد دخل عليها وهي في نسوة ببيت عائشة فقال: إن إحداكنّ

تستنبح كلاب الحوأب، وفمات ذلك سلمى حين ارتدت . واجتمعت إليها الفلال من غطفان وهوازن وسليم وطيء وأسد، وبلغ ذلك خالداً وهو يتبع الثأر ويأخذ الصدقات، فسار اليهم وقاتلهم وسلمى واقفة على جملها حتى عُقِدَ وقُتِلَتْ وقتل حول هودجها مائة رجل فانهزموا، وبعث خالد بالفتح على أثره بعده بعشرين ليلة . وأما بنو سُلَيْمٍ فكان الفُجَاءَةُ بن عبد ياليل قدم على أبي بكر ليستعينه بسلاح مدّعياً اسلامه ويضمن له قتال أهل الردّة، فأعطاه وأمره وخرج الى الجون وارتدّ وبعث نَجَبَةَ بن أبي المُثَنَّى من بني الشريد، وأمره بشنّ الغارة على المسلمين في سليم وهوازن، فبعث أبو بكر الى طريفة بن حاجز قائده على جرهم، وأعانه بعبدالله بن قيس الحاسي، فنهضا اليه ولقياه، فقتل نجبة، وهرب الفجاءة فلحقه طريفة فأسره، وجاء به الى أبي بكر فاوقد له في مصلّى المدينة حطباً، ثم رمى به في النار مقموطاً، وفاءت بنو سليم كلّهم، وفاء معهم ابو شجرة بن عبد العزّى ابو الخنساء وكان فيمن ارتدّ .

خبر بني تميم وسجاح

قبض رسول الله (ص) وعمّاله في بني تميم الزِّبْرِقَانُ بن بدر على الرِّبَابِ وعَوْفٍ والأَبْناء، وقيس بن عاصم على المقاعِسِ والبُطونِ، وَصَفْوَانُ بن صفوانٍ وسَبْرَةُ بن عمرو على بني عمرو، ووكيع بن مالك على بني مالك، ومالك بن نُوَيْرَةَ على بني حنظلة.

فجاء صفوان الى أبي بكر حين بلغته الوفاة بصدقات بني عمرو، وجاء الزبرقان بصدقات اصحابه، وخالفه قيس بن عاصم في المقاعس والبطون لأنه كان ينتظره . وبقي من أسلم منهم متشاغلاً بمن تربص او ارتاب . وبينما هم على ذلك فجأتهم سجاح[(١)] بنت الحارث بن سويد من بني عقفان أحد بطون تغلب، وكانت تنبأت بعد الوفاة، واتبعها الهُذَيْلُ بن عمران من بني تغلب، وعقبة بن هلال في النمر، والسليل بن قيس في شيبان، وزياد بن بلال . وكان الهذيل نصرانياً فترك دينه الى دينها، وأقبلت من الجزيرة في هذه الجموع قاصدة المدينة لتغزو أبا بكر والمسلمين، وانتهت الى الحرف، فدهم بني تميم أمر عظيم لما كانوا عليه من اختلاف الكلمة، فوادعها مالك بن نويرة وثناها عن الغزو، وحرَّضها[(٢)] على بني تميم ففرّوا أمامها، ورجع اليها وكيع بن مالك، واجتمعت الربابُ وضُبَّةُ فهزموا أصحاب سجاح وأسروا منهم . ثم اصطلحوا وسارت سجاح فيمن معها تريد المدينة، فبلغت النِّبَاجَ فاعترضهم بنو النُّجَيْمِ فيمن تَأَشَّبَ[(٣)] اليهم من بني عمرو وأغاروا عليهم، فأسروا الهذيل وعقبة، ثم تحاجزوا على أن تطلق أسراهم، ويرجعوا

---

(١) في نسخة ب: شجاح، وفي نسخة طبع بولاق: سجاح، وفي الطبري ج ٣ ص ٢٣٦: سجاح.

(٢) في نسخة ب: فحملها على بني تميم.

(٣) تأشب القوم: اختلطوا.

(قاموس)

ولا يجتازوا عليهم، ورجع عن سجاح مالك بن نويرة، ووكيع ابن مالك الى قومهم ويئست سجاح واصحابها من الجواز عليهم، ونهدت الى بني حنيفة. وسار معها من تميم الزبرقان بن بدر[١] وعطارد بن حاجب وعمرو بن الأهتم وغيلان بن حريث[٢] وشبث ابن رَبعي ونظراؤهم. وصانعها مُسَيْلِمَةُ بما كان فيه من مزاحمة ثُمَامَةَ بن إثال له في اليمامة. وزحف شَرَحبِيلُ بن حَسَنَةَ والمسلمون إليه فاهدى لها واستأمنها، وكانت نصرانيّة أخذت الدين من نصارى تغلب. فقال لها مسيلمة: نصف الارض لنا ونصف الأرض لقريش، لكنهم لم يعدلوا فقد جعلت نصفهم لك. ويقال إنها جاءت إليه واستأمنته وخرج إليها من الحصن إلى قبّة ضربت لها بعد أن جمرها[٣] فدخل إليها، وتحرك الحرث حوالي القبّة، وسجع لها وسجعت له من اسجاع الفرية. فشهدت له بالبنوّة وخطبها لنفسه فتزوجته، وأقامت عنده ثلاثاً ورجعت الى قومها، فعذلوها في التزويج على غير صداق، فرجعت اليه فقال لها: نادي في اصحابك اني وضعت عنهم صلاة الفجر والعتمة مما فرض عليهم محمد، وصالحته على أن يحمل لها النصف من غلّات اليمامة، فأخذته وسألت أن يسلّفها النصف للعام القابل، ودفعت الهذيل

---

(١) في نسخة ب: بن زيد.
(٢) في نسخة ب: بن حرشه.
(٣) أي بخرها وطيبها، وفي نسخة ب: خمرها.

وعقّة لقبضه، فهمّ على ذلك، وإذا بخالد بن الوليد وعساكره قد أقبلوا، فانفضّت جموعهم وافترقوا ولحقت سجاح بالجزيرة، فلم تزل في بني تغلب حتى نقل معاوية عام الجماعة بني عقفان عشيرتها الى الكوفة، وأسلمت حينئذ سجاح وحسن إسلامها .

ولما افترق وفد الزبرقان والأقرع على أبي بكر وقالا : اجعل لنا خراج البحرين ونحن نضمن لك أمرها، ففعل وكتب لهم بذلك . وكان طلحة بن عبيدالله يتردّد بينهم في ذلك، فجاء الى عمر ليشهد في الكتاب فمزّقه ومحاه، وغضب طلحة وقال لأبي بكر رضي الله عنه : أنت الأمير أم عمر (رض)؟ فقال عمر : غير أن الطاعة لي! وشهد الأقرع والزبرقان مع خالد اليمامة والمشاهد كلها . ثم مضى الأقرع مع شرحبيل الى دومة .

خبر البطاح ومالك بن نويرة

لما انصرفت سجاح الى الجزيرة وراجع بنو تميم الاسلام أقام مالك بن نويرة متحيّرًا في أمره، واجتمع إليه من تميم بنو حنظلة واجتمعوا بالبطاح، فسار إليهم خالد بعد أن تقاعد عنه الأنصار يسألونه انتظار كتاب أبي بكر، فأبى إلّا انتهاز الفرصة من هؤلاء، فرجعوا إلى اتباعه ولحقوا به . وكان مالك بن نويرة لم تردّد في أمره فرق بني حنظلة في أموالهم ونهاهم عن القتال ورجع الى منزله . ولما قدم خالد بعث السرايا يدعون إلى الاسلام

ويأتون بمن لم يُجب وأن يقتلوه، فجاءوا بمالك بن نويرة في نفر معه من بني ثعلبة بن يربوع، واختلفت السريّة فيهم فشهد أبو قتادة أنهم أذّنوا وصلّوا. فحبسهم عند ضرار بن الأزور وكانت ليلة ممطرة، فنادى مناديه أن ادفئوا اسراكم، وكانت في لغته كناية عن القتل، فبادر ضرار بقتلهم وكان كنانيًّا. وسمع خالد الداعية، فخرج متأسّفاً وقد فرغوا منهم. وانكر عليه أبو قتادة، فزجره خالد فغضب ولحق بأبي بكر، ويقال انهم لما جاءوا بهم إلى خالد خاطبه مالك بقوله: فعل صاحبكم شأن صاحبكم، فقال له خالد: اوليس لك بصاحب؟ ثم قتله[1] واصحابه كلهم. ثم قدم خالد على أبي بكر، واشار عمر أن يقيد منه بمالك بن نويرة أو يعزله فأبى وقال: ما كنت أشيم سيفاً سلّه الله على الكافرين وودى مالكاً وأصحابه، وردّ خالداً الى عمله.

خبر مسيلمة واليمامة

لما بعث أبو بكر (رض) عكرمة بن أبي جهل إلى مسيلمة الكذاب واتبعه شرحبيل استعجل عكرمة، فانهزم وكتب الى أبي بكر بالخبر، فكتب إليه لا ترجع فتوهن الناس، وامض

---

(١) ورثاه أخوه بقصيدة من أشجا الشعر وأحزنه. منها:

لقد لامني عند القبور على البكا	رفيقي لتذراف الدموع السوافك
وقال أتبكي كل قبر رأيته	لقبر ثوى بين اللوى؛ فالدكادك؟
فقلت له: إن الشجا يبعث الشجا	فدعني فهذا كله قبر مالك

إلى حذيفة وعرفجة فقاتلوا مَهَرَةَ وأهل عُمان، فاذا فرغتم[1] فامض أنت وجنودك واستنفروا من مررتم عليه حتى تلقوا المهاجر بن أمية باليمن وحضرموت . وكتب الى شرحبيل أن يمضي الى خالد، فاذا فرغتم فامض أنت الى قضاعة فكن مع عمرو بن العاص على من ارتدّ منهم . ولما فرغ خالد من البطاح ورضي عنه أبو بكر بعثه نحو مسيلمة وأوعب معه الناس، وعلى المهاجرين أبو حذيفة وزيد وعلى الأنصار ثابت بن قيس والبرّاء بن عازب . وتعجّل خالد إلى البطاح، وانتظر البعوث حتى قدمت عليه، فنهض الى اليمامة وبنو حنيفة يومئذ كثير، يقال أربعون ألف مقاتل متفرقين في قراها وحجرها . وتعجّل شرحبيل كما فعل عكرمة بقتال مسيلمة، فنكب وجاء خالد فلامه على ذلك .

ثم جاء خليط من عند أبي بكر مدداً لخالد ليكون ردءاً له من خلفه، ففرّت جموع كانت تجمّعت هنالك من فلال سجاح، وكان مسيلمة قد جعل لهم جعلاً . وكان الرَّجّالُ[2] بن عَنفُوَةَ من أشراف بني حنيفة شهد لمسيلمة بأن رسول الله (ص) أشركه معه في الأمر، لأن الرجال كان قد هاجر وأقام مع رسول الله

---

(١) في نسخة ب: وإن سلع.
(٢) الرجّال بوزن شدّاد بالجيم، قال في القاموس: ووهم من ضبطه بالحاء. واسمه على ما في البداية: نهار. ـ قاله نصر، وفي نسخة ب: الرحال.

(ص) وقرأ القرآن وتفقَّه في الدين. فلما ارتد مسيلمة بعثه النبي (ص) معلّماً لاهل اليمامة، ومشغباً على مسيلمة، فكان أعظم فتنة على بني حنيفة منه. واتبع مُسَيْلِمَةَ على شأنه وشهد له وكان يُؤَذِّن لمسيلمة، ويشهد له بالرسالة بعد النبي صلى الله عليه وسلم، فعظم شأنه فيهم. وكان مسيلمة ينتهي الى أمره، وكان مسيلمة يَسْجَعُ لهم بأسجاعٍ كثيرة يزعم أنها قرآن يأتيه، ويأتي بخارق يزعم أنها معجزات، فيقع منها ضدّ المقصود. ولما بلغ مسيلمة وبني حنيفة دنوّ خالد خرجوا وعسكروا في منتهى ريف اليمن [1]، واستنفروا الناس فنفروا إليهم، وأقبل خالد ولقيه شَرَحْبِيلُ بن حَسَنَةَ فجعله على مقدمته، حتى إذا كان على ليلة من القوم هجموا على مجاعة في سريّة اربعين او ستين راجعين من بلاد بني عامر، وبني تميم يثأرون فيهم، فوجدوهم دون ثَنِيَّةِ اليمَامَةِ فقتلوهم أجمعين. وقيل له استبقِ مجاعة بن مرارة ان كنت تريد اليامة، فاستبقى.

ثم سار خالد ونازل بني حنيفة ومُسَيْلِمَةَ، والرَّحالُ على مقدّمة مسيلمة، واشتدّت الحرب وانكشف المسلمون حتى دخل بنو حنيفة خِباءَ خالد، ومجاعةُ بها اسير مع أم متمم [2] زوجة خالد،

---

(١) في نسخة ب: ريف اليمامة.
(٢) في رواية: غير أم تميم، وفي نسخة ب: مع أم تميم.

فدافعهم عنها مجاعة وقالت : نعمت الحرة . ثم تراجع المسلمون وكرّو على بني حنيفة . فقال المحكم بن الطفيل : ادخلوا الحديقة يا بني حنيفة فاني أمنع أدباركم، فقاتل ساعة ثم قتله عبد الرحمن ابن أبي بكر، ثم تدامر المسلمون، وقاتل ثابت بن قيس فقتل، ثم زيد بن الخطاب، ثم أبو حذيفة ثم سالم مولاه، ثم البرّاء أخو أَنس ِ بن مالك . وكان تأخذه عند الحرب رعدةٌ حتى ينتفض ويقعد عليه الرجال حتى يبول . ثم يثور كالأَسَدِ فقاتل وفعل الأفاعيل .

ثم هزم الله العدوّ وألجأهم المسلمون الى الحديقة وفيها مسيلمة. فقال البرّاء : القوني عليهم من أعلى الجدار، فاقتحم وقاتلهم من أعلى [1] الحديقة، ودخل المسلمون عليهم . وقتل مسيلمة، وهو مزبد متساند لا يعقل من الغيظ . وكان زيد بن الخطّاب قتل الرّحال بن عَنفُوَةَ . وكان خالد لما نزل بني حنيفة ومسيلمة ودارت الرّحى عليه طلب البراز فقتل جماعة، ثم دعا مسيلمة للبراز والكلام، فحادثه فحاول فيه غِرّةً وشيطانه يوسوس اليه . ثم ركبه خالد فارهقه وأدبروا وزالوا عن مراكزهم . وركبهم المسلمون، فانهزموا .

وتطاير الناس عن مسيلمة بعد أن قالوا : اين ما كنت تعدنا ؟

---

(١) في نسخة ب : على باب الحديقة.

فقال : قاتلوا على أحسابكم . وأتاه وَحْشِيٌّ فرماه بحربة فقتل . واقتحم الناس عليه حديقة الموت من حيطانها وابوابها، فقتل فيها سبعة عشر ألف مقاتل من بني حنيفة . وجاء خالد بمجاعة وهو وقفه على القتلى ليريه مسيلمة فر يُحَكَّم فقال : هوذا ! فقال مجاعة : هذا والله خير منه . ثم أراه مسيلمة وهو رجل ذميم أُخَيْنِس، فقال خالد : هذا الذي فعل فيكم ما فعل، فقال مجاعة : قد كان ذلك وانه والله ما جاءك إلا سرعان الناس، وإنّ جماهيرهم في الحصون، فهلمّ أصالحك على قومي .

وقد كان خالد التقط من دون الحصون ما وجد من مال ونساء وصبيان، ونادى بالنزول عليها . فلما قال له مجاعة ذلك قال له أصالحك على ما دون النفوس وانطلق يشاوره . فافرغ السلاح على النساء ووقفن بالسور، ثم رجع اليه وقال : أبوا أن يجيزوا ذلك . ونظر خالد الى رؤوس الحصون وقد اسودّت، والمسلمون قد نهكتهم الحرب، وقد قتل من الانصار ما ينيف على الثلاثمائة والستين، ومن المهاجرين مثلها، ومن التابعين لهم مثلها او يزيدون، وقد فشت الجراحات فيمن بقي، فجنح الى السلم، فصالحه على الصفراء والبيضاء، ونصف السُبِيّ والحَلْقَةِ وحائط ومزرعة من كل قرية فأبوا، فصالحهم على الربع فصالحوه، وفتحت الحصون فلم يجد فيها إلّا النساء والصبيان .

فقال خالد : خدعتني يا مجاعة فقال : قومي ! ولم استطع الا ما صنعت فعقد لهم وخيّرهم ثلاثاً . فقال له سَلَمَةُ بن عُمَيْرٍ لا نقبل صلحاً ! ونعتصم بالحصون، ونبعث الى أهل القرى، فالطعام كثير والشتاء قد حضر، فتشاءم مجاعة برأيه وقال لهم : لولا أني خدعت القوم ما أجابوا الى هذا فخرج معه سبعة من وجوه القوم وصالحوا خالداً وكتب لهم، وخرجوا الى خالد للبيعة والبراءة مما كانوا عليه .

وقد اضمر سلمة بن عمير الفتك بخالد فطرده حين وقعت عينه عليه، واطلع اصحابه على غدره فأوثقوه وحبسوه، ثم أفلت فأتبعوه وقتلوه . وكان أبو بكر بعث الى خالد مع سلمة بن وقش إن اظفره الله أن يقتل من جرّت عليه الموسى من بني حنيفة، فوجده قد صالحهم، فأتم عقده معهم . ووفى لهم وبعث وفداً منهم الى أبي بكر باسلامهم فقبلهم وسألهم عن اسجاع مسيلمة فقصُّوها عليه، فقال : سبحان الله هذا الكلام ما خرج إلّا من إلّ أو برّ، فاين يذهب بكم عن أحلامكم وردّهم الله الى قومهم .

ردة الحطم واهل البحرين

لما فرغ خالد من اليمامة ارتحل الى وادٍ من أوديتها، وكانت عبد القيس وبكرِ بن وائل وغيرهم من أحياء ربيعة قد ارتدّوا بعد الوفاة، وكذلك المنذر بن ساوى من بعدها بقليل . فأما

عبد القيس فردّهم الجارود بن المُعلّى، وكان قد وفد وأسلم ودعا قومه فأسلموا فلما بلغهم خبر الوفاة ارتدّوا وقالوا: لو كان نبيّاً ما مات. فقال لهم الجارود: تعلمون أن لله أنبياء من قبله ولم تروهم، وتعلمون أنّهم ماتوا، ومحمد صلى الله عليه وسلم قد مات. ثم تشهد فتشهّدوا معه وثبتوا على اسلامهم وخلّوا بين سائر ربيعة وبين المنذر بن ساوه والمسلمين.

وقال ابن اسحاق: كان أبو بكر بعث العَلاءَ بن الحَضْرَميّ الى المنذر، وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ولّاه، فلما كانت الوفاة وارتدّت ربيعة ونصبوا المنذر بن النعمان بن المنذر، ـ وكان يسمّى المغرور ـ فأقاموه مَلِكاً كما كان قومه بالحيره، وثبت الجارود وعبد القيس على الاسلام. واستمرّ[1] بكر بن وائل على الرِدّة، وخرج الحطمُ بن ربيعة أخو بني قيس بن ثعلبة حتى نزل بين القطيف وهَجَر، وبعث الى دارين فأقاموا فجعل عبد القيس بينه وبينهم، وأرسل الى المغرور بن سويد أخي النعمان بن المنذر، وبعثه الى جواثى[2] وقال: اثبت فان ظفرت ملّكتك بالبحرين حتى تكون كالنُعْمان بالحيرة، فحاصره المسلمون[3] بجواثى.

(١) في نسخة ب: واستفحل أمر بكر.
(٢) في نسخة ب: إلى جوله.
(٣) في نسخة ب: فحاصر المسلمين.

وجاء العلاء بن الحضرمي لقتال أهل الرِدّة بالبحرين ومر باليمامة، فاستنفر ثُمَامَة بن أثال في مسلمة بني حنيفة وكان متردّدًا، وألحقَ عِكْرِمَةَ بِعُمانَ ومَهْرَة وأمر شرحبيل بالمقام حيث هو يغاور مع عمرو بن العاص اهل الردّة من قُضاعَة، عمرو يغاور سعداً وبلق، وشرحبيل يغاور كلباً ولفها .

ثم مرَّ ببلاد بني تميم فاستقبله بنو الرِّباب وبنو عُمَرَ ومالك ابن نُوَيْرَةَ بالبِطاح يقاتلهم، ووكيع بن مالك يواقف عمرو بن العاص وقيس بن عاصم من المقاعس، والبطون يواقفون الزِّبْرِقَانَ بن بدر والأبناء وعَوْفٍ، وقد أطاعوه على الاسلام، وحنظلة متوقفون . فلما رأى قيس بن عاصم يلقى الرباب وعمرو العلاء وقدم وجاء بالصدقات إلى العلاء، وخرج معه لقتال البحرين، فسار مع العلاء من بني تميم مثل عسكره، ونزل هجر وبعث الى الجارود أن يتازل بعبد القيس الحُطَمَ وقومه مما يليه .

فاجتمع المشركون الى الحطم إلّا أهل دارين، والمسلمون الى العلاء، وخندقوا واقتتلوا، وسمعوا في بعض الليالي ضوضاءً شديدة ــ أي جلبة وصياحاً ــ وبعثوا من يأتيهم بخبرها، فجاءهم بأن القوم سُكارى، فبيتوهم ووضعوا السيوف فيهم، واقتحموا الخندق وفرّ القوم هراباً فتمرِّد وناج ومقتول ومأسور . وقتل قيس بن عاصم الحطم بن ربيعة ولحق جابر بن بجير وضربه فقطع عصبه ومات، وأسر عفيف بن المنذر المغرور بن سويد وقال

للعلاء : أجرني فقال له العلاء : أنت غرّرت بالناس ! فقال : لكني أنا مغرور ! ثم أرسل وأقام بهجر .

ويقال إن المغرور اسمه وليس هو بلقب . وقتل المغرور بن سويد بن المنذر ، وقسّم الانفال بين الناس ، واعطى عفيف بن المنذر وقيس بن عاصم وثمامة بن أثال من أسلاب القوم وثيابهم ، وقصد الفلال الى دارين وركبوا السفين اليها ، ورجع الآخرون الى قومهم . فكتب العلاء الى من أقام على اسلامه من بكر بن وائل بالقعود لأهل الردّة في السبل ، والى خصفة التميمي والمثنى ابن حارثة بمثل ذلك ، فرجعوا الى دارين وجمعهم الله بها . ثم لما جاءته كتب بكر بن وائل وعلم حسن اسلامهم أمر أن يؤتى من خلفه على أهل البحرين .

ثم ندب الناس الى دارين ان يستعرضوا البحر ، فارتحلوا واقتحموا البحر على الظهر ، وكلهم يدعوا : يا أرحم الراحمين يا كريم يا حليم يا أحد يا صمد يا محيي الموتى يا حي يا قيّوم لا إله إلّا أنت يا ربّنا . ثم أجازوا الخليج يمشون على مثل رمل مشياً فوقها ما يغمر أخفاف الابل في مسيرة يوم وليلة ، فلقوا العدوّ واقتتلوا ، وما تركوا بدارين مخبّراً ، وسبوا الذراري واستاقوا الاموال ، وبلغ نفل الفارس ستّة آلاف ، والراجل ألفين . ورجع العلاء الى البحرين وضرب الاسلام بجرانه .

ثم ارجف المرجفون بأن أبا شيبان وثعلبة والحرّ قد جمعهم

مفروق الشيباني على الرِدّة . فوثق العلاء بان اللهازم تفارقهم وكانوا مجمعين على نصره ، واقبل العلاء بالناس فرجعوا الى من أحب المقام ، وقفل ثمامة بن أثال فيهم ومرّوا بقيس بن ثعلبة بن بكر بن وائل ، فرأوا خميصة الحَطَم عليه فقالوا : هو قتله فقال : لم أقتله ولكن الامير نفلنيها فلم يقبلوا وقتلوه . وكتب العلاء الى ابي بكر بهزيمة أهل الخندق وقتل الحطم قتله زيد ومسمع . فكتب اليه أبو بكر ان بلغك عن بني ثعلبة ما خاض فيه المرجفون فأبعث اليهم جنداً وأوصهم وشرّد بهم من خلفهم .

ردة اهل عمان ومهرة واليمن[1]

نبغ بعُمانَ بعد الوفاة رجل من الأَزْدِ يقال له لقيط بن مالك الأزدي يسامى في الجاهلية الجُلَنْدِي ، فدفع عنها الملكين اللذين كانا بها وهما جَيْفَرُ وعَبّادُ ابنا الجلندي ، فارتدّ وادعى النبوّة وتغلّب على عمان ودفع عنها الملكين ، وبعث جيفر إلى أبي بكر بالخبر ، فبعث أبو بكر حُذَيفَةَ بن مُحْصِن من حِمْيَرٍ وعَرْفَجَةَ البارِقيّ . حُذَيفَةُ الى عُمان وعَرْفَجَةُ الى مَهْرَةَ ، وإن اجتمعا فالأمير صاحب العمل ؛ وأمرهما أن يكاتبا جيفر او يأخذا برأيه . وقد كان بعث عِكْرِمَةَ إلى اليمامة ومُسَيْلِمَةَ ووقعت عليه النكبة كما مرّ ، فأمره بالمسير الى حذيفة وعرفجة ليقاتل معهما عمان ومهرة ، ويتوجّه إذا فرغ من ذلك إلى اليمن .

(١) في نسخة ب : والنمر ، في الكامل لابن الأثير ج ٢ ص ٢٥٣ ردة اليمن .

فمضى عكرمةُ فلحق بهما قبل أن يصلا الى عُمان وقد عهد إليهم أبو بكر أن ينتهوا إلى رأي عكرمة فراسلوا جَيفَرَ وعباداً وبلغ لقيطاً مجيء الجيوش فعسكر بمدينة دَبا وعسكر جيفر وعباد بصحار. واستقدموا عكرمة وحذيفة وعرفجة وكاتبوا رؤساء الدين مع لقيط، فقدموا بجيوشهم[1] ثم صمدوا إلى لقيط واصحابه فقاتلوهم، وقد أقام لقيط عياله وراء صفوفه، وهمَّ المسلمون بالهزيمة حتى جاءهم مددهم من بني ناجية وعليهم الخِرِّيتُ بن راشد، ومن عبد القيس وعليهم سيحان بن صوحان، فانهزم العدوّ وظفر[2] المسلمون، وقتلوا نحواً من عشرة آلاف وسبوا الذراري والنساء وتم الفتح، وقسموا الانفال وبعثوا بالخمس الى ابي بكر مع عرفجة، وكان الخمس ثمانمائة رأس.

وأقام حُذَيْفَةُ بِعُمان وسار عكْرِمَةُ الى مَهْرَةَ، وقد استنفر أهل عمان ومن حولها من ناحية الازد وعبد القيس وبني سعيد من تميم، فاقتحم على مهرة بلادهم وهم على فرقتين يتنازعان الرياسة، فأجابه أحد الفريقين، وسار الى الآخرين فهزمهم وقتل رئيسهم. ثم أصابوا منهم ألفي نجيبة. وأفاد المسلمون قوة بغنيمتهم، وأجاب أهل تلك النواحي الى الاسلام، وهم أهل نجد والروضة والشاطيء والجزائر والمُرّ واللُبان، وأهل جيرة

(١) في نسخة ب: فارفضوا إليهم.
(٢) في نسخة ب: وأثخن.

وظهور الشِمْر والفرات[1] وذات الخيم، فاجتمعوا كلهم على الاسلام . وبعث الى أبي بكر بذلك مع البشير، وسار هو الى اليمن للقاء المهاجر بن أبي أمية كما عهد اليه أبو بكر .

بعوث العراق وصلح الحيرة

ولما فرغ خالد من أمر اليمامة بعث إليه أبو بكر في المحرّم من سنة اثنتي عشرة، فأمره بالمسير إلى العراق ومرج الهند وهي الأُبلة منتهى بحر فارس في جهة الشمال قرب البصرة، فيتألّف أهل فارس ومن في مملكتهم من الأمم . فسار من اليمامة وقيل قدم على أبي بكر، ثم سار من المدينة وانتهى الى قرية بالسواد وهي بانِقيا وباروسما واللّيس وكانت لابن صَلوبا، فصالحهم على عشرة آلاف دينار، فقبضها خالد ثم سار إلى الحيرة، وخرج إليه أشرافها مع إياس بن قُبَيْصَةَ الطائي الأمير عليها بعد النُعْمان بن المنذر، فدعاهم إلى الاسلام أو الجزية أو المناجزة . فصالحوه على تسعين ألف درهم، وقيل انما أمره أبو بكر أن يبدأ بالأُبُلَّةِ ويدخل من أسفل العراق .

وكتب الى عِياضِ بن غَنْمٍ أن يبدأ بالمضيخ ويدخل من أعلى العراق، وأمر خالداً بالقعقاع بن عمرو التيمي، وعياضاً بن عوف الحميري . وقد كان المُثَنّى بن حارِثَةَ الشَيْبانِيُّ استأذن أبا

(١) في نسخة ب: الفرات أيضاً، وفي الطبري ج ٣ ص ٢٦٤ : والصبّرات.

بكر في غزو العراق فأذن له، فكان يغزوهم قبل قدوم خالد. فكتب ابو بكر اليه وإلى حَرْمَلَة ومدعور وسلمان ان يلحقوا بخالد بالأبلّة، وكانوا في ثمانية آلاف فارس، ومع خالد عشرة آلاف. فسار خالد في اوّل مقدمته المثنى وبعده عديّ بن حاتم. وجاء هو بعدهما على مسيرة يوم بين كل عسكر، وواعدهما الْحُفَيْر ليجتمعوا به ويصادموا عدوّهم، وكان صاحب ذلك المرْج من أساورة الفرس اسمه هرمز، وكان يحارب العرب في البرِّ والهند في البحر.

فكتب الى اردشير كسرى بالخبر وتعجّل هو الى الكواظم في سرعان اصحابه حتى نزل الحفير، وجعل على مُجَنِّبَتَيْهِ قباذ وانو شجان يناسبانه في اردشير الاكبر، واقترنوا بالسلاسل لئلا يفرّوا. وأروا خالداً انهم سبقوا الى الحفير، فمال الى كاظمة، فسبقه هُرْمُزُ اليها ايضاً. وكان للعرب على هرمز حنق لسوء مجاورته. وقدم خالد فنزل قبالتهم على غير ماء وقال: ليعيدن الماء فان الله جاعله لأصبر الفريقين. ثم ارسل الله سحابة فاغدرت من ورائهم. ولما حطّوا اثقالهم قدم خالد ودعا الى النزال[1]، فبرز اليه هرمز وترّجل ثم اختلفا ضربتين، فاحتضنه خالد، وحمل اصحاب هرمز للغدر به، فلم يشغله ذلك عن قتله. وحمل القعقاع بن عمرو فقتلهم، وانهزم أهل فارس وركبهم المسلمون.

(١) في نسخة ب: إلى البراز.

وسميت الواقعة ذات السلاسل . وأخـذ خالد سلب هرمز، وكانت قلنسوته بمائة الف، وبعث بالفتح والأخماس الى أبي بكر. وسار فنزل بمكان البصرة وبعث المثنى بن حارثة في آثار العدو، فحاصر حِصنَ المرأة وفتحه واسلمت فـتزوجها، وبعث معقل بن مُقَرِّن الى الأُبُلَّةِ ففتحها وقيل إنما عُقْبَةُ بن غزوان أيام عمر سنة اربع عشرة . ولم يتعرَّض خالد واصحابه الى الفلاحين، وتركهم وعمارة البلاد كما أمر أبو بكر به .

وكان كسرى أردشير لما جاءه كتاب هُرمُزَ بمسير خالد، أمره بقارن بن قريانس فسار من المدائن، ولما انتهى الى الدار لقيه المنهزمون عن هرمز ومعهم قَبَّاذُ وانوشِجان، فتذامروا ورجعوا ونزلوا النهر، وسار اليهم خالد واقتتلوا وبرزقان، فقتله معقل ابن الأعشَى بن النباش وقتل عاصم أبو شجان وقتل عدي قباذ . وانهزمت الفرس وقتل منهم نحو ثلاثين الفاً سوى من غرق، ومنعت المياه المسلمين من طلبهم . وكانت الغنيمة عظيمة وأخذ الجزية في الفلاحين، وصاروا في ذمّة . ولم يقاتل المسلمين من الفرس بعد قارن اعظم منه، وتسمى هذه الوقعة بالثِنِيّ وهو النهر .

ولما جاء الخبر الى اردشير بالهزيمة بعد الأندرزغر وكان فارساً من مولد السواد . فارسل في أثره مع بُهمَن حاذوَيه وحشد الأندرزغر ما بين الحيرة وكَسْكَر من عرب الضاحية والدهاقين،

وعَسْكَرَ بالولجة، وسار اليهم خالد فقاتلهم وصبروا . ثم جاءهم كمين من خلفهم فانهزموا ومات الأندرزغر عطشاً . وبذل خالد الأمان للفلاحين فصاروا ذمة، وسبى ذراري المقاتلة ومن اعانهم، وأصاب اثنين من نصارى بكر بن وائل . أحدهما جابر بن بُجَير والآخر ابن عبد الأسود من عِجْل، فاسرهما وغضب بكر بن وائل لذلك .

فاجتمعوا على الليث وعليهم عبد الأسود العِجْليّ، فكتب أردشيرُ الى بُهْمَنَ جاذَوَيه، وقد أقام بعد الهزيمة بقَسيناثا يأمره بالمسير الى نصارى العرب بالليس فيكون معهم الى أن يَقْدُمَ عليهم جابان من المَرَازِبَةِ، فقدم بهمن على أردشير ليشاوره، وخالفه جابان الى نصارى العرب من عِجْلٍ وتَيْمِ اللات وضُبَيْعَةَ وعرب الضاحِيَةِ من الحيرة، وهم مجتمعون على الليث . وسار اليهم خالد حين بلغه خبرهم ولا يشعر بجابان .

فلما حطّ الأثقال سار اليهم وطلب المبارزة، فبرز اليه مالك ابن قيس فقتله خالد واشتد القتال بينهم، وسائر المشركين ينتظرون قدوم بهمن . ثم انهزموا واستأسر الكثير منهم، وقتلهم خالد حتى سال النهر بالدم وسمّي نهر الدم، ووقف على طعام الاعاجم وكانوا قعوداً للأكل، فنفله المسلمون. وجعل العرب يتساءلون عن الرِقاقِ يحسبونه رقاعاً، وبلغ عدد القتلى سبعين ألفاً . ولما

فرغ من الليس سار الى أمعيشيا فغزا اهلها وأعجلهم أن ينقلوا اموالهم فغنم جميع ما فيها وخرّبها .

فتح الحيرة

ثم سار خالد الى الحيرة، وحمل الرجال والأنفال في السفن . وخرج مرزبان الحيرة وهو الأزادبة فعسكر عند الغريّين، وأرسل ابنه ليقاطع الماء على السفن فوقفت على الأرض، وسار اليه خالد فلقيه على فرات بازقلة فقتله وجميع من معه وسار نحو أبيه على الحيرة، فهرب بغير قتال لما كان بلغه من موت أردشير كسرى وقتل ابنه . ونزل خالد منزله بالغريّين، وحاصر قصور الحيرة وافتتح الديور، وصاح القسيسون والرهبان بأهل القصور، فرجعوا على الاباية وخرج إياس ابن قبيصة من القصر الأبيض وعمرو بن عبد المسيح بن قيس بن حيان بن بقيلة ـ وكان معمّرًا ـ وسأله خالد عن عجيبة قد رآها، فقال رأيت القرى ما بين دمشق والحيرة تسافر بينهما المرأة فلا تتزود إلا رغيفاً واحداً.

ثم جاءه واستقرب منه، ورأى مع خادمه كيساً فيه سم، فأخذه خالد ونثره في يده وقال ما هذا ؟ قال خشيت أن تكونوا على غير ما وجدت، فيكون الموت أحب اليّ من مكروه أدخله على قومي . فقال له خالد لن تموت نفس حتى تأتي على أجلها . ثم قال : باسم الله الذي لا نصير مع اسمه شيء وابتلع

السم، فوعك ساعة ثم قام كأنما نشط من عقال. فقال عبد المسيح لتبلغنّ ما اردتم ما دام أحد منكم هكذا. ثم صالحهم على مئة او مئتين وتسعين الفاً وعلى كرامة[1] بنت عبد المسيح لشريك كان النبي صلى الله عليه وسلم وعده بها اذا فتحت الحيرة، فأخذها شريك وافتدت منه بألف درهم وكتب لهم بالصلح، وذلك في اول سنة اثنتي عشرة.

فتح ما وراء الحيرة

كان الدهاقين يتربصون بخالد ما يصنع باهل الحيرة، فلما صالحهم واستقاموا له جاءته الدهاقين من كل ناحية، فصالحوه عما يلي الحيرة من الفلاليج وغيرها على ألف ألف، وقيل على ألفي ألف سوى جباية كسرى. وبعث خالد ضرارَ بن الأزور، وضرارَ ابن الخطابِ والقعقاعَ بن عمرو والمُثنّى بن حارثة وعيينةَ بن الشماس فكانوا في الثغور وأمرهم بالغارة فخروا السواد كله الى شاطيء دجلة. وكتب الى ملوك فارس:

أما بعد فالحمد لله الذي حلّ نظامكم، ووهن كيدكم، وفرّق كلمتكم، ولو نفعل ذلك كان شرّاً لكم. فادخلوا في أمرنا ندعكم وأرضكم، ونجوزكم الى غيركم، والا كان ذلك وانتم كارهون على ايدي قوم يحبون الموت كما تحبون الحياة.

---

(١) رواية الدميري الشيماء، والصحابي هو أوس بن خزيمة أنظر ترجمة البغلة ـ قاله نصر.

وكتب الى المرازبة : أما بعد فالحمد لله الذي فضّ حذقكم، وفرق كلمتكم، وفلّ حدّكم، وكسر شوكتكم فأسلموا تسلموا وإلّا فاعتقدوا مني الذمة وأدّوا الجزية والا فقد جئتكم بقوم يحبون الموت كما تحبون شرب الخمر انتهى .

وكان العجم مختلفين بموت أردشير، وقد ازالوا بهمن حاذويه فيمن سيّره في العساكر، فجبى خالد خراج السواد في خمسين ليلة، وغلب العجم عليه وأقام بالحيرة سنة يصعد ويصوّب، والفرس يخلعون ويملكون، ولم يجدوا من يجتمعون عليه لان سيرين كان قتل جميع من تناسب الى بهرام جور .

فلما وصلهم كتاب خالد تكلم نساء آل كسرى وولّوا الفرّخزاد ابن البندوان الى ان يجدوا من يجتمعون عليه، ووصل جرير ابن عبدالله البجلي الى خالد بعد فتح الحيرة . وكان مع خالد بن سعيد بن العاص بالشام . ثم قدم على ابي بكر فكلمه ان يجمع له قومه كما وعد النبي صلى الله عليه وسلم وكانو اوزاعاً [١] متفرقين في العرب . فسخط ذلك منه ابو بكر فقال تكلمني [٢] بما لا يعني وأنت ترى ما نحن فيه من فارس والروم، وأمره بالمسير الى خالد فقدم عليه بعد فتح الحيرة .

---

(١) الأوزاع : الجماعات ولا واحد لها. (قاموس)

(٢) في نسخة ب: تكلفني.

فتح الانبار وعين التمر
وتسمى هذه الغزوة ذات العيون

ثم سار خالد على تَعْبِيَتِهِ الى الانبار وعلى مقدّمته الاقرَع بن حابس، وكان بالانبار شيرزاد صاحب ساباط فحاصرهم ورشقوهم بالنبال حتى فقأوا منهم ألف عين. ثم نحر ضعاف الابل والقاها في الخندق حتى ردمه بها، وجاز هو وأصحابه فوقها. فاجتمع المسلمون والكفار في الخندق، وصالح شيرزاد على ان يلحقوه بأمنه، ويخلي لهم عن البلد وما فيها، فلحق بهمن جادويه.

ثم استخلف خالد على الأنبار الزِّبْرِقَانَ بن بدر، وسار إلى عين التمر، وبها مهران بن بهرام جوبين في جمع عظيم من العجم، وعقّة ابن ابي عقة في جمع عظيم من العرب، وحولهم طوائف من النمر وتغلب وإياد وغيرهم من العرب. وقال عقبة لبهرام دعنا وخالداً، فالعرب أعرف لقتال العرب. فدفعه لذلك واتقى بـه، وسار عقة الى خالد، وحمل خالد عليه وهو يقيم صفوفه فاحتضنه وأخذه أسيراً.

وانهزم العسكر عن غير قتال وأسر اكثرهم، وبلغ الخبر الى مهران فهرب وترك الحصن، وتحصن به المنهزمون واستأمنوا لخالد فأبى، فنزلوا على حكمه فقتلهم أجمعين وعقة معهم. وغنم ما في الحصن وسبى أهليهم واولادهم وأخذ من البيعة وهي

الكنيسة غلماناً كانوا يتعلمون الأنجيل فقسمهم في الناس، منهم سيرين ابو محمد ونصير ابو موسى وحمران مولى عثمان، وبعث الى ابي بكر بالفتح والخمس، وقتل من المسلمين عمير بن رباب السهمي من مهاجرة الحبشة وبشير بن سعد والد النعمان .

مطلب وقعة دومة الجندل

ولما فرغ خالد من عين التمر وافق وصول كتاب عياض بن غنم وهو على من بازائه من نصارى العرب بناحية دومة الجندل وهم بَهْرَا وكَلْب وغسّان وتنوخ والضَّجَاعِم . وكانت رياسة دومة لأُكَيْدِرَ بن عبد الملك والجوديّ بن ربيعه يقتسمانها ، وأشار أكيدر بصلح خالد فلم يقبلوا منه فخرج عنه ، وبلغ خالد مسيره فارسل من اعترضه فقتله وأخذ ما معه . وسار خالد فنزل دومة وعياض عليها من الجهة الأخرى ، وخرج الجوديُّ لقتال خالد ، وأخرج طائفة أخرى لقتال عياض، فانهزموا من الجهتين الى الحصن فاغلق دونهم ، وقتل الجودي وافتتح الحصن عَنْوَةً ، فقتل المقاتلة وسبى الذرية .

الوقائع بالعراق

وأقام خالد بدومة الجندل وطمع الاعاجم في الحيرة ، وملأهم عرب الجزيرة غضباً لعقة ، فخرج اسواران الى الانبار وانتهيا الى حصيد والخنافس ، فبعث القَعْقَاعُ من الحيرة عسكرين حالا

بينهما وبين الريف . ثم جاء خالد الى الحيرة ، فعجل القعقاع بن عمرو وأبو ليلى بن فدكى الى لقائهما بالحصيد، فقتل من العجم مقتلة عظيمة ، وقتل الاسواران ، وغنم المسلمون ما في الحصيد، وانهزمت الاعاجم الى الخافس وبها البهبوذان من الاساورة . وسار ابو ليلى في اتباعهم فهزم البهبوذان الى المصيخ ، وكان بها الهُذَيْلُ بن عِمْران وربيعة بن بُجَيْر من عرب الجزيرة، غضباً لعقة وجاآ مدداً لأهل الحصيد ، فكتب خالد الى القعقاع وابي ليلى واودعهما المصيخ . وسار اليهم فتوافوا هنالك وأغاروا على الهذيل ومن معه من ثلاثة أوجه، فاكثروا فيهم القتل، ففرّ الهذيل في قليل، وكان مع الهذيل عبد العزيز بن أبي رهم من أوس مناة ولبيد بن جرير، وكانا اسلما، وكتب لهما ابو بكر باسلامهما، فقتلا في المعركة فوَداهما أبو بكر وأوصى باولادهما .

وكان عمر يعتمد بقتلهما وقتل مالك بن نويرة على خالد ، ولما فرغ خالد من الهذيل بالمصيخ واعد القعقاع وأبا ليلى الى الثني شرقي الرصافة ليغير على ربيعة بن بُجَيْرِ التغلبيّ صاحب الهذيل الذي جاء معه لِمَدَدِ الفُرس وتبييتهم ، فلم يفلت منهم أحداً . ثم اتبع الهذيل بعد مَفَرّهِ من المصيخ الى اليسير وقد لحق هنالك بعتاب بن أسَيْد فبيَّتهم خالد قبل أن يصل إليهم خبر ربيعة، فقتل منهم مقتلة عظيمة، وسار الى الرصافة وبها هلال بن عقة فتفرّق عنه اصحابه، وهرب فلم يلق بها خالد أحداً . ثم سار خالد من

الرِضاب الى الفِراضِ وهي تخوم الشام والعراق والجزيرة، فحميت الروم واستعانوا بمن يليهم من مسالح فارس ، واجتمعت معهم تغلب وإياد والنمر ، وصاروا الى خالد وطلبوا منه العبور فقال اعبروا اسفل منا فعبروا ، وامتاز الروم من العرب . فانهزمت الروم ذلك اليوم ، وقتل منهم نحواً من مئة ألف .

وأقام خالد على الفراض الى ذي القعدة . ثم أذن للناس بالرجوع الى الحيرة، وجعل شَجَرَة بن الأغرِّ على الساقة ، وخرج من الفراض حاجاً مكتتماً بحجه وذهب ليتعسَّف البلاد حتى أتى مكة فحجَّ ورجع ، فوافى الحيرة مع جنده ، وشجرة بن الاغرّ معهم ، ولم يعلم بحجّه الا من اعلمه به وعتب به أبو بكر في ذلك لما سمعه ، وكانت عقوبته إياه أن صرفه من غزو العراق الى الشام . ثم شنّ خالد بن الوليد الغارات على نواحي السواد ، فاغار هو على شرق بغداد وعلى قَطْرَبُل وعَقَرْقُوف ومسكن وبادروبا . وحجَّ أبو بكر في هذه السنة ، واستخلف على المدينة عثمان بن عفّان .

بعوث الشام

وكان من أول عمل أبي بكر بعد عوده من الحج أن بعث خالد بن سعيد بن العاص في الجنود الى الشام اول سنة ثلاث عشرة ، وقيل انما بعثه الى الشام لما بعث خالد بن الوليد الى العراق أول السنة التي قبلها ، ثم عزله قبل أن

يسير لأنه كان لما قدم من اليمن عند الوفاة تخلّف عن بيعة أبي بكر أياماً، وغدا علي علّيٍ وعثمان فعذلهما على الاستكانة لِتَيمٍ، وهما رؤوس بني عبد مناف، فنهاه عليٌّ وبلغت الشيخين. فلما ولّاه أبو بكر عقد له عمر فعزله وأمره أن يقيم بتيماء، ويدعو من حوله من العرب الى الجهاد حتى يأتيه أمره. فاجتمعت اليه جموع كثيرة وبلغ الروم خبره، فضربوا البعث على عرب الضاحية بالشام من بهرا وسليح وكلب وغسان ولخم وجذام، وسار اليهم خالد فغلبهم على منازلهم وافترقوا. وكتب له ابو بكر بالاقدام فسار متقدماً ولقيه البطريك ماهان من بطاركة الروم، فهزمه خالد واستلحم الكثير من جنوده.

وكتب الى ابي بكر يستمده، ووافق كتابه المستنفرين وفيهم ذو الكلاع ومعه حِمْيَرُ وعِكرِمَةُ بن أبي جهل ومن معه من تِهَامَةَ والسُرُوَ وعُمان والبحرين فبعثهم إليه. وحينئذٍ اهتم أبو بكر بالشام، وكان عمرو بن العاص لما بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم تسليماً الى عمان وعده أن يعيده الى عمله عند فراغه من أمر عمان، فلما جاء بعد الوفاة اعاده اليها أبو بكر انجازاً لوعده صلى الله عليه وسلم وهي صدقات سعد هُذَيْم وبني عُذْرَةَ. فبعث اليه لأن يأمره باللحاق بخالد بن سعيد لجهاد الروم وأن يقصد فِلَسْطِين، وبعث ايضاً الى الوليد بن عقبة وكان على صدقات قُضاعَةَ وولاه الأردن، وأمّر يزيد بن أبي سفيان على جمهور من انتدب إليه

منهم : سهيل بن عمرو وأشباهه، وأمّر أبا عبيدة بن الجراح على جميعهم وعين له حمص واوصي كل واحد منهم . ولما وصل المدد إلى خالد بن سعيد وبلغه توجّه الأمراء تعجل للقاء الروم قبلهم، فاستطرد له ماهان ودخل دمشق .

واقتحم خالد الشام ومعه ذي الكلاع [1] وعِكرِمَةُ والوليد حتى نزل مرج الصُفّرِ [2] عند دمشق فانطوت مسالح ماهان عليه، وسدوا الطريق دونه، وزحف اليه ماهان ولقي ابنه سعيداً في طريقه فقتلوه . وبلغ الخبر أباه خالداً فهرب فيمن معه وانتهى إلى ذي المروة قرب المدينة . وأقام عكرمة ردءاً من خلفهم، فرد عنهم الروم، فأقام قريباً من الشام . وجاء شرحبيل بن حسنة الى أبي بكر وافداً من العراق من عند خالد، فندب اليه الناس وبعثه مكان الوليد الى أردن . ومرّ بخالد ففصل ببعض اصحابه .

ثم بعث أبو بكر معاوية وأمره باللحاق بأخيه يزيد، وأذن لخالد بن سعيد بدخول المدينة . وزحف الأمراء في العساكر نحو الشام، فعبّى هرقل عساكر الروم، ونزل حمص بعد أن أشار على الروم بعدم قتال العرب، ومصالحتهم على ما يريدون فأبوا ولُجّوا ثم فرقهم على أمراء المسلمين، فبعث شقيقه تذارق [3] في تسعين

(١) كذا. وينبغي «ذو الكلاع».
(٢) بوزن سكر، مشدد.
(٣) هو فره دريك.

ألفاً نحو عمرو بن العاص بفلسطين . وبعث جرجة بن توذر نحو يزيد بن ابي سفيان، وبعث الدراقص نحو شرحبيل بن حسنة بالاردن وبعث القيقار بن نسطورس في ستين ألفاً نحو ابي عبيدة بالجابية . فهابهم المسلمون ثم رأوا أن الاجتماع أليق بهم، وبلغهم كتاب أبي بكر بذلك، فاجتمعوا باليرموك في بضعة وعشرين ألفاً . وأمر هرقل ايضاً باجتماع جنوده ووعدهم بوصول ملحان إليهم ردءاً [1] فاجتمعوا بحيال المسلمين والوادي خندق بينهم . فاقاموا بازائه ثلاثة أشهر واستمدوا أبا بكر، فكتب الى خالد بن الوليد أن يستخلف على العراق المثنى بن حارثة ويلحق بهم وأمره على جند الشام .

ولما استمد المسلمون أبا بكر بعث اليهم خالد بن الوليد من العراق واستحثه في السير اليهم، فنفذ خالد لذلك ووافى المسلمين مكانهم عندما وافى ماهان الروم ايضاً . وولى خالد قباله، وولى الأمراء قبل الآخرين أزاءهم، فهزم ماهان وتتابع الروم على الهزيمة، وكانوا مائتين وأربعين ألفاً وتقسموا بين القتل والطرق في الواقوصة والهوي في الخندق، وقتل صناديد الروم وفرسانهم، وقتل تدارق أخو هرقل وانتهت الهزيمه إلى هرقل وهو دون

(١) في نسخة ب: مدداً.

حمص فارتحل وأجاز إلى ما وراءها لتكون بينه وبين المسلمين ، وأمّر عليها وعلى دمشق .

ويقال : إن المسلمين كانوا يومئذ ستة وأربعين ألفاً ؛ سبعة وعشرين [1] منها مع الأمراء وثلاثة آلاف من بلال مع خالد بن سعيد قد أمر عليهم ابو بكر معاوية بن ابي سفيان وشرحبيل ابن حسنة وعشرة آلاف من امداد أهل العراق مع خالد بن الوليد، وستة آلاف ثبتوا مع عكرمة ردءاً بعد خالد بن سعيد . وان خالد بن سعيد عبّأهم كراديس ستة وثلاثين كردوساً لما رأى الروم تعبّوا كراديس ، وكان كل كردوس ألفاً ، وكان ذلك في شهر جمادى وأن أبا سفيان بن حرب أبلى يومئذ بلاءً حسناً بسعيه وتحريضه .

قالوا : وبينما الناس في القتال قدم البريد من المدينة بموت أبي بكر وولاية عمر فاسرّه الى خالد وكتمه عن الناس . ثم خرج جرجه من أمراء الروم فطلب خالداً وسأله عن أمره وأمر الاسلام، فوعظه خالد فاستنصر وأسلم، وكانت وهناً على الروم . ثم زحف خالد بجماعة من المسلمين فيهم جرجه فقتل من يومه ، واستشهد عكرمة بن أبي جهل وابنه عمر، وأصيبت عين ابي

---

(١) كذا. ولعلها «وعشرون».

سفيان، واستشهد سلمة بن هشام وعمرو وأبان ابنا سعيد وهشام ابن العاص وسَيّارُ بن سفيان والطُفَيْلُ بن عمرو، وأثبت خالد بن سعيد فلا يعلم ابن مات بعد. ويقال استشهد في مرج الصُفَّرِ في الوقعة الاولى، ويقال إن خالداً لما جاءه من العراق مدداً للمسلمين بالشام طلب من الأدِلّاء أن يغوروا به حتى يخرج من وراء الروم، فسلك به رافع بن عمرو الطائي من فزارة في بلاد كلب حتى خرج الى الشام ونحر فيها الابل وأغار على مصيخ فوجد به[1] رفقة فقتلهم وأسلبهم.

وقعة مرج راهط

وكان الحرث بن الأيهم وغسّان قد اجتمعوا بمرج راهط، فسلك اليهم واستباحهم، ثم نزل بصرى فافتتحها. ثم سار منها الى المسلمين بالواقوصة فشهد معهم اليرموك، ويقال: إن خالداً لما جاء من العراق الى الشام لقي أمراء المسلمين ببصرى فحاصروها جميعاً حتى فتحوها على الجزية. ثم ساروا جميعاً الى فلسطين مدداً لعمرو بن العاص، وعمرو بالغور والروم بجلق مع تدارق أخي هرقل، وانكشفوا عن جلّق الى أجنادين وراء الرملة شرقاً.

ثم تزاحف الناس فاقتتلوا، وانهزم الروم، وذلك في منتصف

(١) في نسخة ب: فصبح به رفعة.

جمادى الأولى من السنة وقتل فيها تدارق، ثم رجع هرقل ولقي المسلمين بالفاقوصة عند اليرموك فكانت واقعة اليرموك كما قدمنا في رجب بعد أجنادين، وبلغت المسلمين وفاة أبي بكر وانها كانت لثمان بقين من جمادى الآخرة.

خلافة عمر (رض)

ولما احتضر ابو بكر عهد الى عمر رضي الله عنهما بالأمر من بعده، بعد أن شاور علياً وطلحة وعثمان وعبد الرحمن بن عوف وغيرهم وأخبرهم بما يريد فيه، فاثنوا على رأيه فأشرف على الناس وقال: إني قد استخلفت عمر لم آل لكم نصحاً فاسمعوا له واطيعوا. ودعا عثمان فأمره فكتب:

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا ما عهد به ابو بكر خليفة محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم عند آخر عهده بالدنيا وأول عهده بالآخرة، في الحالة التي يؤمن فيها الكافر ويتقي فيها الفاجر، إني استعملت عليكم عمر ابن الخطاب ولم آل لكم خيراً، فان صبر وعدل فذلك علمي به ورأيي منه، وان جار وبدّل فلا علم لي بالغيب والخير اردت ولكل امرىء ما اكتسب، وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون.

فكان أول ما انفذه من الامور عزل خالد عن امارة الجيوش بالشام وتولية ابي عبيدة، وجاء الخبر بذلك والمسلمون مواقفون

عدوهم في اليرموك، فكتم ابو عبيدة الامر كله فلما انقضى امر اليرموك كما مرّ سار المسلمون الى فِحْل من أرض الاردن وبها واقعة الروم، وخالد على مقدمة الناس فقاتلوا الروم.

فتح دمشق

واقتحموها عنوة وذلك في ذي القعدة ولحقت فواقعت الروم بدمشق[1]، وعليها ماهان من البطارقة، فحاصرهم المسلمون حتى فتحوا دمشق وأظهر أبو عبيدة أمارته وعزل خالد. وقال سببه ان أبا بكر كان يُسْخِطُ خالد بن سعيد والوليد بن عُقْبَةَ من أجل فرارهما كما مرّ، فلما وَلِيَ عمر (رض) اباح لهما دخول المدينة، ثم بعثهما مع الناس الى الشام. ولما فرغ أمر اليرموك وساروا الى فِحْل، وبلغ عمر خبر اليرموك، فكتب بعزل خالد بن الوليد وعمرو ابن العاص حتى يصير الحرب الى فلسطين، فتولاها عمر. وان خالداً قدم على عمر بعد العزل وذلك بعد فتح دمشق، وانهم ساروا الى فحل فاقتحموها ثم ساروا الى دمشق، وعليها نِسطاس ابن نَسْطُورُسَ فحاصروها سبعين ليلة، وقيل ستة أشهر من نواحيها الأربع. خالد وأبو عبيدة ويزيد وعمرو كل واحد على ناحية، وقد جعلوا بينهم وبين هرقل مدينة حمص، ومن دونها ذو الكلاع في جيش من المسلمين.

(١) في كتاب فتوح الشام للواقدي ج ١ ص ١٦٦ : وساروا يريدون الشام.

وبعث هرقل المدد الى دمشق، وكان فيهم ذو الكلاع، فَسُقِطَ في أيديهم وقدموا على دخول دمشق، وطمع المسلمون فيهم . واستغفلهم خالد في بعض الليالي فتسور سورهم من ناحيته وقتل الوليد وفتح الباب واقتحم البلد وكبّرَ وكبّروا فقتلوا جميع من لقوه . وفزع أهل النواحي الى الأمراء الذين يلونهم فنادوا لهم بالصلح والدخول، فدخلوا من نواحيهم صلحاً، فاجريت ناحية خالد على الصلح مثلهم .

قال سيف : وبعثوا الى عمر بالفتح، فوصل كتابه بأن يصرف جند العراق الى العراق، فخرجوا وعليهم هاشم بن عُتْبَةَ وعلى مُقَدَّمَتِهِ القعقاع، وخرج الأمراء الى فِحلٍ وأقام يزيد بن ابي سفيان بدمشق . وكان الفتح في رجب سنة اربع عشرة . وبعث يزيد دِحْيَةَ الكَلْبِيّ الى تدمر، وابا الزهراء القشيري الى حوران والبُثَيْنَةِ فصالحوهما وولي عليهما . ووصل الامراء الى فِحْل فبيتهم الروم، فظفر المسلمون بهم وهزموهم، فقتل منهم ثمانون ألفاً . وكان على الناس في وقعة فحل شرحبيل بن حسنة، فسار بهم الى بيسان وحاصرها فقتل مقاتلتها، وصالحه الباقون، فقبل منهم .

وكان أبو الاعور السلمي على طَبَرِيّة محاصراً لها، فلما بلغهم شأن بيسان صالحوه، فكمل فتح الأردن صلحاً . ونزلت القوّاد في مدائنها وقراها، وكتبوا الى عمر بالفتح .

وزعم الواقدي : ان اليرموك كانت سنة خمسة عشرة ، وان هرقل انتقل فيها من انطاكية الى قسطنطينية ، وان اليرموك كانت آخر الوقائع . والذي تقدم لنا من رواية سيف أن اليرموك كانت سنة ثلاث عشرة ، وان البريد بوفاة ابي بكر قدم يوم هربت الروم فيه ، وان الامراء بعد اليرموك ساروا الى دمشق ففتحوها، ثم كانت بعدها وقعة فِحْل ثم وقائع أخرى قبل شخوص هرقل والله أعلم .

خبر المثنى بالعراق بعد مسير خالد الى الشام

لما وصل كتاب أبي بكر الى خالد بعد رجوعه من حَجّهِ بان ينصرف إلى الشام أميراً على المسلمين بها، ويخرج في شطر الناس ويرجع بهم اذا فتح الله عليه الى العراق، ويترك الشطر الثاني بالعراق مع المثنى بن حارثة . وفعل [1] ذلك خالد ومضى لوجهه، وأقام المثنى بالحيرة، ورتب المصالح، واستقام أهل فارس بعد خروج خالد بقليل على شَهْرِيار بن شيرين بن شهريار ممن يناسبه الى كِسْرى ابي سابور وذلك سنة ثلاث عشرة . فبعث الى الحيرة هُرْمُزَ. فاقتتلوا هنالك قتالا شديداً بِعُدْوَةِ الصَّراء . وغار الفيل بين الصفوف فقتله المُثَنَّى وناس معه، وانهزم اهل فارس واتبعهم المسلمون يقتلونهم حتى انتهوا الى المدائن ومات

---

(١) كذا. ولعلها: فعل بدون واو لأنها جواب لما.

شهريار إثر ذلك، وبقي مادون دجلة من السواد في ايدي المسلمين. ثم اجتمع أهل فارس من بعد شهريار على آزَرْميدَخْتَ ولم ينفذ لها أمر فَخُلِعَتْ، وملك سابور بن شهريار، وقام بأمره الفَرُّخزاذ بن البَنْدَوان وزوجة آزرميدخت، فغضبت وبعثت الى سِيَاوَخْش الوازن، وكان من كبار الأساوِرَة وشكت إليه، فاشار عليها بالقبول. وجاء ليلة العرس فقتل الفرخزاذ ومن معه، ونهض الى سابور فحاصره، ثم اقتحم عليه فقتله، وملكت آزرميدخت وتشاغلوا بذلك عن ملكها.

انتهى شأن أبي بكر، وشق السواد في سلطانه، وتشاغل أهل فارس عن دفاع المسلمين عنه. ولما ابطأ خبر ابي بكر على المثنى، استخلف المثنى على الناس بِشْرَ بن الخصَاصِيَةِ، وخرج نحو المدينة. يستعلم ويستأذن، فقدم وابو بكر يجود بنفسه. وقد عهد الى عمر وأخبره الخبر، فاحضر عمر واوصاه أن يندب الناس مع المثنى، وان يصرف اصحاب خالد من الشام الى العراق. فقال عمر: يرحم الله أبا بكر علم إنّه تسترفي امارة خالد، فأمرني بصرف أصحابه ولم يذكره.

ولاية أبي عبيد بن مسعود على العراق ومقتله

ولما وَلِيَ عُمَرُ ندب الناس مع المثنى بن حارثة أياماً وكان أول منتدب أبو عبيد بن مسعود. فقال عمر للناس: إن الحجاز ليس

لكم بدار الا على النَّجْعَةِ، ولا يقوى عليه أهله الا بذلك. أين المهاجرون عن موعد الله؟ سيروا في الارض التي وعدكم الله في الكتاب أن يُورِثَكُمُوهَا فقال: لِيُظْهِرَهُ على الدين كُلّه، فالله مُظْهِرٌ دينه ومُعِزٌّ ناصره ومولي أهله مواريث الامم. أين عباد الله الصالحون؟ فانتدب ابو عُبَيْد الثَّقَفِيّ ثم سعد بن عبيد الانصاري ثم سَليط بن قيس، فولى أبا عبيد على البعث لسبقه وقال: اسمع من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وأشْرِكْهُمْ في الأمر ولا تجتهد مسرعاً بل اتئد فانها الحرب، والحرب لا يُصلِحُها إلا الرجل المكيث الذي يعرف الفرصة والكف. ولم يمنعني ان اؤمّر سليطاً الا لسرعته الى الحرب، وفي السرعة إلى الحرب ـ الا عن بيان ـ ضياع، والله لولا سرعته لأمّرته. فكان بعث أبي عبيد هذا اول بعث بعثه عمر، ثم بعث بعده بعليّ بن أمية الى اليمن وأمره باجلاء أهل نجران، لوصيّة رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك في مرضه. وقال: أخبرهم بانا نجليهم بأمر الله ورسوله أن لا يترك دينان بأرض العرب، ثم نعطيهم أرضاً كارضهم وفاءً بذمتهم كما أمر الله.

قالوا: فخرج أبو عبيد مع المُثَنّى بن حارثة وسعد وسليط إلى العراق. وقد كانت بوران بنت كسرى كلما اختلفت الناس بالمدائن عدلت بينهم حتى يصطلحوا. فلما قتل الفرخزاذ بن البندوان وملكت آزرميدخت، اختلف اهل فارس واشتغلوا عن المسلمين

غيبة المثنى كلها، فبعثت بوران إلى رستم تستحثه للقدوم، وكان على فرج[1] خراسان. فأقبل في الناس إلى المدائن، وعزل الفرخزاذ وفقأ عين آزرميدخت، ونصَّب بوران فملكته وأحضرت مَرازِبَةَ فارس فأسلموا له ورضوا به وتوَّجَتْه، وسبق المُثَنَّى إلى الحيرة ولحقه أبو عبيد ومن معه.

وكتب رستم إلى دهاقين السواد أن يثوروا بالمسلمين، وبعث في كل رِسْتاقٍ رجلًا لذلك. فكان في فرات باذقلا جابان، وفي كسكر نرسي. وبعث جند المصادمة المثنى فساروا وتألفوا واجتمعوا أسفل الفرات. وخرج المثنى من الحيرة خوفاً أن يؤتى من خلفه فقدم عليه أبو عبيد ونزل جابان النمارق ومعه جمع عظيم، فلقيه أبو عبيد هنالك، وهزم الله أهل فارس. وأسر جابان ثم أطلق، وساروا في المنهزمين حتى دخلوا كسكر وكان بها نرسي ابن خالة كسرى، فجمع الفالة إلى عسكره وسار اليهم أبو عبيد من النمارق في تعبيته وكان على مجنبتي نرسي نفدويه وشيرويه[2] ابنا بسطام خال كسرى، واتصلت هزيمة جابان ببوران ورستم، فبعثوا الجالينوس مدداً لنرسي وعاجلهم أبو عبيد فالتقوا اسفل

---

(١) الفرج: الخلل بين الشيئين، الثغر، فرج الوادي بطنه، فرج الطريق متنه.
(٢) في نسخة ب: وكان على مجنبتي نرسي بندويه وتيرويه ابنا بسطام.

من كسكر، فاشتد القتال وانهزمت الفرس وهرب نرسي، وغنم المسلمون ما في عسكره .

وبعث أبو عبيد المثنى وعاصماً فهزموا من كان تجمَّعَ من أهل الرساتيق، وخربوا وسبوا وأخذوا الجزية من أهل السواد، وهم يتربصون قدوم الجالنوس. ولما سمع به أبو عبيد سار اليه على تعبيته، فانهزم الجالنوس وهرب ورجع أبو عبيد فنزل الحيرة، وقد كان عمر قال له : إنك تقدم على أرض المكر والخديعة والخيانة والخزي، تقدم على قوم تجرأوا على الشر فعلموه، وتناسوا الخير فجهلوه، فانظر كيف تكون . واحرز لسانك ولا تفش سرك فان صاحب السر ـ ما ضبط ـ متحصن لا يؤتى من وجه يكرهه، واذا ضيعه كان بمضيعة .

ولما رجع الجالينوس الى رستم بعث بهمن حادويه ذا الحاجب الى الحيرة، فأقبل ومعه درفش كابيان راية كسرى عرض ثمانية أذرع في طول اثني عشر من جلود النمر، فنزل في قِسِيّ الناطف على الفرات . وأقبل ابو عبيد فنزل عدوته وقعد الى أن نصبوا للفريقين جسراً على الفرات، وخيرهم بهمن حادوية في عبوره او عبورهم، فاختار أبو عبيد العبور، وأجاز اليهم وماجت الارض بالْمُقَاتِلَةِ، ونفر جنود المسلمين وكراديسهم من الفِيَلَة . وأمر بالتخفيف عن الخيل، فترجل أبو عبيد والناس وصافحوا العدوّ

بالسيوف، ودافعتهم الفيلة، فقطعوا وُضُنَها [(١)] فسقطت رحالها، وقتل من كان عليهم. وقابل ابو عبيد فيلًا منهم فوطئه بيده، وقام عليه فأهلكه.

وقاتلهم الناس ثم انهزموا عن المثنى، وسبقه بعض المسلمين الى الجسر [(٢)] فقطعه وقال: موتوا او تظفروا. وتواثب بعضهم الفرات فغرقوا وأقام المثنى وناس معه مثل عروة بن زيد الخيل وابي مِحْجن الثَّقَفيّ وأنظارهم، وقاتل ابو زيد الطائي، كان نصرانياً وقدم الحيرة لبعض أمره، فحضر مع المثنى وقاتل حينئذ حَمِيَّةً، ونادى المثنى الذين عبروا من المسلمين فعقدوا الجسر وأجاز بالناس، وكان آخر من قتل عند الجسر سليط بن قيس فانفضّ أصحابه الى المدينة، وبقي المثني في فلّه جريحاً، وبلغ الخبر الى عمر فشق [(٣)] عليه وعذر المنهزمين. وهلك من المسلمين يومئذ اربعة آلاف قتلى وغرقى وهرب ألفان وبقي الثلاثة آلاف وقتل من الفرس ستة آلاف. وبينما بهمن حادويه يروم العبور خلف المسلمين أتاه الخبر بأن الفرس ثاروا برستم مع الفيرزان، فرجع إلى المدائن، وكانت الوقعة في مدائن سنة ثلاث عشرة. ولما رجع بهمن حادويه اتبعه جابان ومعه مردان شاه. وخرج المثنى في أثرهما،

---

(١) جمع وضين، الوضين للهودج بمنزلة الحزام للسرج. (قاموس)
(٢) في نسخة ب: إلى الحصن.
(٣) في نسخة ب: فاشتد عليه.

فلما أشرف عليهما أتياه يظنان أنه هارب فأخذهما اسيرين، وخرج أهل الليس على اصحابهما فأتوه بهم أسرى، وعقدوا معه مهادنة وقتل جميعَ الأسرى .

ولما بلغ عمر (رض) عن وقعة ابن عبيد بالجسر ندب الناس إلى المثنى وكان فيمن ندب بَجِيلَة وأمرهم إلى جرير بن عبدالله الذي جمعهم من القبائل بعد أن كانوا مفترقين، ووعده النبي صلى الله عليه وسلم بذلك وشغل عن ذلك ابو بكر بأمر الردّة ووفى له عمر به، وسيّره مدداً للمثنى بالعراق . وبعث عصمة بن عبدالله الضبيّ، وكتب الى أهل الردّة بان يوافوا المثنى . وبعث المثنى الرسل فيمن يليه من العرب فوافوا[1] في جموع عظيمة، حتى نصارى النمر جاءوه وعليهم أَنَسُ بن هلال، وقالوا نقاتل مع قومنا . وبلغ الخبر الى رستم والفيرزان فبعثا مهران الهمداني الى الحيرة والمثنى بين القادسية وخفان .

فلما بلغه الخبر استبقى فرات باذقلا وكتب بالخبر الى جرير وعصمة أن يقصدوا العُذَيْبَ مما يلي الكوفة، فاجتمعوا هنالك ومهران قبالتهم عدوة الفرات، وتركوا له العبور فاجاز اليهم . وسار اليه المثنى في التعبية، وعلى مجنبتيه مهران مرزبان الحيرة ابن الازاذبة ومردارشاه، ووقف المثنى على الرايات يحرض الناس فاعجلتهم فارس وخالطوهم وركدت حربهم واشتدت .

(١) في نسخة ب: فوافقه .

ثم حمل المثنى على مهران فازاله عن مركزه، واصيب مسعود أخو المثنى، وخالط المثنى القلب ووثب المجنبات على المجنبات قبالتهم، فانهزمت الفرس وسبقهم[1] المثنى الى الجسر فهربوا مصعدين ومنحدرين، واستلحمهم خيول المسلمين، وقتل فيها مئة ألف او يزيدون. وأُحصِيَ مئة رجل من المسلمين قتل كل واحد منهم عشرة، وتبعهم المسلمون إلى الليل. وأرسل المثنى في آثار الفرس فبلغوا ساباط فغنموا وسبوا ساباط[2] واستباحوا القرى، وسخروا السواد بينهم وبين دجلة لا يلقون مانعاً.

ورجع المنهزمون إلى رستم فاستهانوا ورضوا أن يتركوا ما وراء دجلة. ثم خرج المثنى من الحيرة واستخرج بشير بن الخَصاصِيَة، وسار نحو السواد، ونزل الليث من قرى الأنبار فسميت الغزاة غزاة الأنبار الآخرة وغزاة الليس الآخرة.

وجاءت الى المُثَنّى عيون فدلّوه على سوق الخنافس وسوق بغداد، وان سوق الخنافس أقرب ويجتمع بها تجار المدائن والسواد وخفراؤهم من ربيعة وقضاعة، فركب إليها وأغار عليها يوم سوق، فاشتفّ السوق وما فيها، وسلب الخفراء ورجع إلى الأنبار فأتوه بالعلوفة والزاد، وأخذ منهم أدلّاء تظهر له المدائن

---

(١) في نسخة ب: وساقهم.
(٢) في نسخة ب: فبلغوا السيب فغنموا وسبوا وبلغوا ساباط.

وسار بهم إلى بغداد ليلاً ، وصبح السوق فوضع فيهم السيف ، وأخذ ما شاء من الذهب والفضة والجيّد من كل شيء .

ثم رجع إلى الأنبار، وبعث المُضارِبَ العِجْليَّ إلى الكَبَاثِ وبه جماعة من تغلب فهربوا عنه ولحقهم المضارب، فقتل في أخرياتهم وأكثر، ثم سَرَّحَ فراتَ بن حَيَّان التَغْلِبيّ وعُتَيْبَةَ بن النَهَّاسِ للاغارة على أحياء من تغلب بصفين . ثم اتبعهم المثنى بنفسه فوجدوا أحياء صفين قد هربوا عنها، فعبر المثنى الى الجزيرة . وفني زادهم وأكلوا رواحلهم وأدركوا عيراً من أهل خفان [1] فحضر نفر من تغلب فأخذوا العير ودلهم أحد الخفراء على حيّ من تغلب ، ساروا إليه يومهم وهجموا عليهم فقتلوا المقاتلة وسبوا الذرّية واستاقوا الأموال، وكان هذا الحيّ بوادي الرويحلة . فاشترى اسراهم من كان هنالك من ربيعة بنصيبهم من الفيء وأعتقوهم، وكانت ربيعة لا تسبي في الجاهلية .

ولما سمع المثنى أن جميع من يملك البلاد قد انتجع شاطىء دجلة خرج في اتباعهم فادركهم بتكريت، فغنم ما شاء وعاد إلى الانبار، ومضى عتيبة وفرات حتى أغارا على النمر وتغلب بصفين، وتمكن رعب المسلمين من قلوب أهل فارس، وملكوا ما بين الفرات ودجلة .

---

(١) في الكامل لابن الأثير ج ٢ ص ٣٠٧ : من أهل دبا.

أخبار القادسيّة

ولما دهم أهل فارس من المسلمين بالسواد ما دهمهم وهم مختلفون بين رُسْتُمَ والفَيْرَزانِ واجتمع [(١)] عظماؤهم وقالوا لهما: إما أن تجتمعا وإلا فنحن لكما حرب فقد عرّضتمونا للهَلَكَةِ، وما بعد بغداد وتكريت إلى المدائن فاطاعا لذلك. وفزعوا إلى بوران يسألونها في ولد من آل كسرى يولّونه عليهم، فأحضرت لهم النساء والسراري وبسطوا عليهنّ العذاب، فذكروا لهم غلاماً من ولد شَهْرَيار بن كسرى اسمه يَزْدَجُرْد، أخذته أمه عندما قتل شيرويه أبناء أبيه. فسألوا أمه عنه فدلتهم عليه عند أخواله كانت اودعته عندهم حينئذ، فجاءوا به ابن احدى وعشرين سنة فملكوه واجتمعوا عليه.

وتبارى المرازِبَةُ في طاعته وعيّنَ المسالح والجنود لكل ثغر، ومنها الحيرة والأُبُلّةُ والأنبار، وخرجوا إليها من المدائن. وكتب المثنى بذلك إلى عمر، وبينما هو ينتظر الجواب انتقض أهل السواد وكفروا، وخرج المثنى الى ذي قار ونزل الناس في عسكر واحد. ولما وصل كتابه الى عمر قال والله لأضربَنّ ملوك العجم بملوك العرب، فلم يدع رئيساً ولا ذا رأي وشرف وبسطة

---

(١) كذا. وينبغي: اجتمع بإسقاط حرف العطف.

ولا خطيباً ولا شاعراً إلا رماهم به . فرماهم بوجوه الناس بل وغررهم، وكتب إلى الْمُثَنَّى يأمره بخروج المسلمين من بين العجم والتفرق في المياه بحيالهم، وأن يدعو الفرسان وأهل النجدات من رَبِيعَةَ ومُضَرٍ ويحضرهم طوعاً وكرهاً، فنزل المسلمون بالجل وسروا [١] إلى عَصِيّ وهو جبل البصرة متناظرين .

وكتب الى عماله على العرب أن يبعثوا إليه من كانت له نجدة او فرس او سلاح أو رأي، وخرج إلى الحج، فحجّ سنة ثلاث عشرة ورجع فجاءته افواجهم إلى المدينة، ومن كان أقرب إلى العراق انضم إلى المثنى، فلما اجتمعت عنده أمراء العرب خرج من المدينة واستخلف عليها علياً، وعسكر على صرار من ضواحيها، وبعث على المقدّمة طلحة، وجعل على الَمجْنَبَتَيْن عبد الرحمن والزُبَيْرَ وانْبَهَمَ أمره على الناس ولم يُطِقْ أحدٌ سؤاله، فسأله عثمان فاحضر الناس واستشارهم في المسير إلى العراق فقال العامة : سر نحن معك، فوافقهم ثم رجع الى اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأحضر عَلِيّاً وطَلْحَةَ والزبير وعبد الرحمن واستشارهم فأشاروا بمقامه وأن يبعث رجلاً بعده آخر من الصحابة بالجنود، حتى يفتح الله على المسلمين ويُهْلِكَ عدوهم، فقبل ذلك ورأى فيه الصواب .

---

(١) في نسخة ب: وسراق.

وعين لذلك سعد ابن أبي وقّاص وكان على صدقات هوازن، فاحضره وولّاه حرب العراق وأوصاه، وقال: يا سعد ابن أم سعد! لا يغرنك من الله أن يقال خال رسول الله وصاحب رسول الله، فان الله لا يمحو السيء بالسيّء، ولكنه يمحو السيء بالحسن وليس بين الله وبين أحد نسب إلا بطاعته، فالناس في دين الله سواء، الله ربهم وهم عباده يتفاضلون بالعافية ويدركون ما عنده بالطاعة. فانظر الأمر الذي رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يلزمه فالزمه، وعليك بالصبر.

ثم سرّحه في أربعة آلاف ممّن اجتمع إليه، فيهم حُمَيضَةُ بن النُعمانِ بن حَمِيضَةَ على بارق، وعمرو بن مَعْديكرب وأبو سبرة بن أبي رُهمٍ على مَذحِج، ويزيد بن الحرث الصدائي على عُذْرَة وخبب، ومَسْلِيَةُ وبشير بن عبدالله الهِلاَلِيّ على قَيس عيلان، والحُصَيْنُ بن نُمَيْر ومعاوية بن خَدِيج على السكون وكِنْدَة. ثم أمره بعد خروجه بالفي يماني وألفي فخري.

وسار سعد وبلغه في طريقه بِزَرْوَرْدَ ان المُثَنّى مات من جراحة انتقضت، وانه استخلف على الناس بشير بن الخَصاصِيَة. وكانت جموع المثنى ثلاثة آلاف وكذلك أربعة آلاف من تميم والرباب، وأقاموا. وعمر ضرب على بني أسد أن ينزلوا على حد أرضهم، فنزلوا في ثلاثة آلاف وأقاموا بين سعد

والمثنى، وسار سعد إلى سيراف فنزلها . واجتمعت اليه العساكر، ولحقه الأشعث بن قيس ومعه ثلاثون ألفاً، ولم يكن أحد أجرأ على الفرس من ربيعة .

ثم عبّأ سعد كتائب من سيراف وأمرّ الإمراء، وعرّف على كل عشرة عريفاً، وجعل الرايات لأهل السابقة، ورتب المقدّمة والساقة والمجنباتِ والطلائع، وكل ذلك بأمر عمر ورأيه . وبعث في المقدّمة زُهرَةَ بن عبدالله بن قَتادَةَ الحَيَوِيّ من بني تميم، فانتهى الى العُذَيْبِ، وعلى الميمنة عبدالله بن المعتمر وعلى الميسرة شَرْحَبِيلُ ابن السِمْطِ، وخليفة بن خالد بن عَرْفَطَةَ حليفُ بني عبد شمس، وعاصم بن عمر التميمي على الساقة وسواد بن مالك التميمي على الطلائع، وسلمان بن ربيعة الباهلي على المجردة . ثم سار على التعبية ولقيه المعنّى بن حارثة الشيباني بسيراف . وقد كان بعد موت أخيه المثنى سار بذي قار الى قابوس بن قابوس بن المنذر بالقادسية . وقد بعثه الفرس اليها يستنفرون العرب، فبيته المعنى واستلحمه ومن معه، ورجع الى ذي قار .

وجاء الى سعد بالخبر ليعلمه بوصية المثنى اليه أن لا تدخلوا بلاد فارس وقاتلوهم على حدود أرضهم بادىء حجر من أرض العرب . فأن يظهر الله المسلمين فلهم ما وراءهم وإلا رجعتم الى فئة، ثم تكونوا أعلم بسبيهم، وأجرأ على أرضهم، إلى أن يردّ الله الكرب . فترحم سعد ومن معه على المثنى، وولى أخاه المعنى على

عمله، وتزوج سلمى زوجته، ووصله كتاب عمر بمثل رأي المثنى يسأله عن سيراف ونزل العرب، ثم أتى القادسية فنزلها بحيال القنطرة بين العتيق والخندق .

ووصله كتاب عمر يؤكد عليهم في الوفاء بالأنبار ولو كان اشارة او ملاعبة . وكان زهرة في المقدمة، فبعث سرية للاغارة على الحيرة؛ عليها بكر بن عبدالله الليثي، واذا أخت مرزبان الحيرة تزفّ الى زوجها، فحمل بكير على ابن الأزادية فقتله وحملوا الأثقال والعروس في ثلاثين امرأة ومئة من التوابع، ومعهم ما لا يعرف قيمته، ورجعوا بالغنائم، فصبح سعد بالعذيب فقسمه في المسلمين .

ولما رجع سعد الى القادسية أقام بها شهراً يشن الغارات بين كسكر والأنبار، ولم يأته خبر عن الفرس، وقد بلغت أخبارهم الى يزدجرد . وان ما بين الحيرة والفرات نُهبَ وخرّب، فاحضر رستم ودفعه لهذا الوجه فتقاعد عنه وقال : ليس هذا من الرأي، وبعث الجيوش يعقب بعضها بعضاً اولى من مصادمة مرّة، فأبى يزدجرد الا مسيره لذلك .

فعسكر رستم بساباط، وكتب سعد بذلك الى عمر، فكتب اليه لا يكترثنك ما يأتيك عنهم، واستعن بالله وتوكل عليه، وابعث رجالاً من أهل الرأي والجلد يدعونه، فان الله جاعل ذلك

وهناً لهم . فارسل سعد نفراً منهم النعمان بن مقرّن وبشر بن أبي أدهم وجملة من حيوة وحنظلة بن الربيع وعدي بن سهيل وعطارد ابن حاجب والحرث بن حسان والمغيرة بن زرارة والأشعث بن قيس وفرات بن حبان وعاصم بن عمرو وعمرو بن معديكرب والمغيرة بن شعبة والمعنى بن حارثة فقدموا على يزدجرد وتركوا رستم، واجتمعوا بل واجتمع الناس ينظرون اليهم والى خيولهم وبرودهم .

فاحضرهم يزدجرد وقال لترجمانه : سلهم ما جاءكم وما اولعكم بغزونا وبلادنا؟ من أجل انا تشاغلنا عنكم اجترأتم علينا ! فتكلم النُعْمانُ بن مُقَرّن بعد أن استأذن اصحابه وقال ما معناه : ان الله رحمنا وأرسل الينا رسولاً صفته كذا يدعونا الى كذا ووعدنا بكذا، فاجابه منا قوم وتباعد قوم . ثم أمر أن نجاهد من خالفه من العرب، فدخلوا معه على وجهين : مكره اغتبط وطائع ازداد حتى اجتمعنا عليه وعرفنا فضل ما جاء به . ثم أمرنا بجهاد من يلينا من الأمم ودعائهم الى الانصاف، فان ابيتم فأمر اهون من ذلك فهو الجزية، فان ابيتم فالمناجزة .

فقال يزدجرد لا أعلم في الأرض أمة كانت أشقى ولا أقل عدداً ولا اسوأ ذات بين منكم، وقد كان أهل الضواحي يكفوننا أمركم، ولا تطمعوا أن تقوموا للفرس، فان كان بكم جهد أعطيناكم

قوتاً وكسوناكم وملّكنا عليكم ملكاً يرفق بكم . فقال المغيرة بن زرارة : هؤلاء أشراف العرب ويستحيون من الأشراف، وأنا اكلمك وهم يشهدون . فأما ما ذكرت من سوء الحال فكما وصفت وأشدّ، ثم ذكر من عيش العرب ورحمة الله بهم بارسال النبي صلى الله عليه وسلم مثلما قال النعمان الخ .

ثم قال له : اختر إما الجزية عن يد وأنت صاغر او السيف وإلّا فنجّ نفسك بالاسلام . فقال يزدجرد : لو قَتَلَ أحدٌ الرُّسُل قبلي لقتلتكم [1] ثم استدعى بوقر من تراب وحمل على أعظمهم وقال : ارجعوا الى صاحبكم واعلموه أني مرسل رستم حتى يدفنكم أجمعين في خندق القادِسيَّةِ، ثم يُدَوِّخُ بلادكم اعظم من تدويخ سابور . فقام عاصم بن عمرو فحمل التراب على عنقه وقال : انا أشرف هؤلاء : ولما رجع الى سعد فقال : ابشر فقد أعطانا الله تراب ارضهم . وعجب رستم من محاورتهم، وأخبر يزدجرد بما قاله عاصم بن عمر، فبعث في أثرهم الى الحيرة فأعجزوهم .

ثم أغار سواد بن مالك التميمي بعد مسير الوفد الى يزدجرد على الفِراض، فاستاق ثلاثمائة دابة بين بغل وحمار وثور وآخرها سمكة . وصبح بها العسكر، فقسمه سعد في الناس، وواصلوا

---

(١) في الكامل لابن الأثير ج ٢ ص ٣١٦ : «لولا أن الرسل لا تقتل لقتلتكم» .

السرايا والبعوث لطلب اللحم، وأما الطعام فكان عندهم كثيراً. وسار رستم الى ساباط في ستين ألفاً، وعلى مقدمته الجالنوس في أربعين ألفاً، وساقَتُهُ عشرون ألفاً، وفي المَيْمَنَةِ الهُرْمُزان، وفي الميسرة مَهرانُ بن بَهْرَامَ الرازي. وحمل معه ثلاثة وثلاثين فيلاً، ثمانية عشر في القلب وخمسة عشر في الجَنْبَيْن. ثم سار حتى نزل كوثى، فأتى برجل من العرب فقال له رستم: ما جاء بكم وما تطلبون؟ فقال نطلب وعد الله بارضكم وبلادكم وابنائكم ان لم تسلموا. قال رستم: فان قُتلتم دون ذلك؟ قال: من قُتِلَ دخل الجَنَّةَ، ومن بقي انجزه الله وعده.

قال رستم: فنحن اذا وضعنا في ايديكم. فقال اعمالكم وضعتكم واسلمكم الله بها، فلا يغرنك من ترى حولك، فلست تحاول الناس[1] انما تحاول القضاء والقَدَرَ. فغضب وأمر به فضربت عنقه، وسار فنزل الفرس، وفشا في عسكره المنكر وغصبوا الرعايا أموالهم وابناءهم حتى نادى رستم منهم بالويل. فقال: صدق والله العربي، وأتى ببعضهم فضرب عنقه، ثم سار حتى نزل الحيرة، ودعا اهلها فعزرهم[2] وهمّ بهم فقال له ابن بُقَيْلَةَ: لا تجمع علينا ان تعجز عن نُصْرَتِنَا وتلومنا على الدفع عن انفسنا.

---

(١) في نسخة ب: الانس.
(٢) في نسخة ب: فهددهم.

وارسل سعد السرايا الى السواد، وسمع بهم رستم فبعث لاعتراضهم الفرس، وبلغ ذلك سعداً فأمدهم بعاصم بن عمر فجاءهم، وخيل فارس تحتوشهم . فلما رأوا عاصماً هربوا .

وجاء عاصم بالغنائم، ثم أرسل سعد عمرو بن معد يكرب وطُلَيْحَةَ الأَسَدِيّ طليعة، فلما ساروا فرسخاً وبعضه لقوا المسالح، فرجع عمرو ومضى طليحة حتى دخل عسكر رستم وبات فيه، وهتك اطناب خيمة او خيمتين، واقتاد بعض الخيل وخرج يعدو به فرسه . ونذر به الفرس فركبوا في طلبه الى ان اصبح وهم في أثره، فكرّ على فارس فقتله ثم آخر، ثم آخر، وأسر الرابع، وشارف عسكر المسلمين فرجعوا عنه . ودخل طليحة على سعد بالفارسي ولم يخلف بعده فيهم مثلهم بل مثله فاسلم ولزم طليحة .

ثم سار رستم فنزل القادسية بعد ستة اشهر من المدائن، وكان يطاول خوفاً وتَقِيَّةً والملك يستحثه . وكان رأى في منامه كأنّ ملكاً نزل من السماء ومعه النبي صلى الله عليه وسلم وعمر، وأخذ الملك سلاح أهل فارس فختمه ثم دفعه الى النبي صلى الله عليه وسلم ودفعه النبي الى عمر فحزن لذلك اهل فارس في سيره. ولما وصل القادسية وقف على العُتَيْقِ حيال عسكر المسلمين، والناس يتلاحقون حتى اغْتَمُّوا من كثرتهم، وركب رستم غداة تلك الليلة وصعد مع النهر وصوّت حتى وقف على القنطرة . وأرسل الى زهرة فوافقه وعرض له بالصلح . وقال : كنتم

جيراننا وكنا نحسن إليكم ونحفظكم، ويقرر صنيعهم مع العرب، ويقول زهرة ليس أمرنا من أولئك وانما طلبنا وهمنا الآخرة.

وقد كنا كما ذكرت، الى ان بعث الله فينا رسولًا دعانا الى دين الحق فاجبناه. وقال: قد سلطتكم على من لم يَدِنْ به وأنا منتقم بكم منهم، وأجعل لكم الغلبة! فقال رستم: وما هو دين الحق؟ فقال الشهادتان، وإخراج الناس من عبادة الخلق الى عبادة الله وانهم اخوان في ذلك. فقال رستم: فان اجبنا الى هذا ترجعون؟ فقال أي والله! فانصرف عنه رستم، ودعا رجال فارس. وذكر ذلك لهم فأنفوا. وأرسل الى سعد ان ابعث لنا رجلًا نكلمه ويكلمنا. فبعث اليه ربعي بن عامر، وحبسوه على القنطرة حتى أعلموا رستم، فجلس على سرير من ذهب – وبُسط النمارق والوسائد منسوجة بالذهب – واقبل ربعي على فرسه وسيفه في خرقة – ورمحه مشدود بعصب – وقدم حتى انتهى الى البساط ووطئه بفرسه، ثم نزل وربطها بوسادتين شقهما وجعل الحبل فيهما، فلم يحفلوا بذلك واظهروا التهاون. ثم أخذ عباءة بعيره فاشتملها.

وأشاروا اليه بوضع سلاحه، فقال: لو اتيتكم فعلت كذا بامركم، وانما دعوتموني. ثم أقبل يتوكأ على رمحه ويقارب خطوه، حتى أفسد ما مرّ عليه من البسط. ثم دنا من رستم وجلس على الارض، وركز رمحه على البساط وقال: إنا لا نقعد على زينتكم! فقال له الترجمان: ما جاء بكم؟ فقال الله بعثنا لنخرج عباده من

ضيق الدنيا الى سعتها ، ومن جور الأديان الى عدل الاسلام ، وأرسلنا بدينه الى خلقه، فمن قبله قبلنا منه وتركناه وأرضه ، ومن أبى قاتلناه حتى نفيء الى الجنة والظفر . فقال رستم : هل لكم ان تؤخروا هذا الامر حتى ننظر فيه ؟ قال نعم ! كم احب اليك يوماً او يومين ! قال لا ! بل حتى نكاتب أهل رأينا ورؤساء قومنا . فقال ان مما سنّ لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لا نمكن الاعداء اكثر من ثلاث، فانظر في أمرك وأمرهم واختر إما الاسلام وندعك وأرضك واما الجزية فنقبل ونكف عنك ، وان احتجت الينا نصرناك، والمنابذة في الرابع الا ان تبذلوا كفيلاً بهذا عن أصحابي .

قال : أسيّدهم أنت ؟ قال لا ! ولكن المسلمون كالجسد الواحد يجيز بعضهم عن بعض، يجيز أدناهم على أعلاهم فخلا رستم بروساء قومه وقال : رأيتم كلاماً قط مثل كلام هذا الرجل؟ فأروه الاستخفاف بشأنه وثيابه . فقال ويحكم انما انظروا الى الرأي والكلام والسيرة ، والعرب تستخف اللباس وتصون الاحساب. ثم أرسل الى سعد ان ابعث الينا ذلك الرجل، فبعث اليهم حذيفة بن مُحصِن[1] ففعل كما فعل الاول ، ولم ينزل عن فرسه وتكلم وأجاب مثل الاول . فقال له ما قَعَدَ بالأول عنا؟ فقال

(١) في نسخة ب : ابن حصن.

اميرنا يعدل بيننا في الشِدّة والرخاء، وهذه نوبتي. فقال رستم: والمواعدة الى متى؟ فقال الى ثلاث من أمس وانصرف وخلا رستم باصحابه يُعْجِبُهُم من شأن القوم، وبعث من الغد عن آخر، فجاءه المُغِيرَةُ بن شُعْبَةَ.

فلما وصل اليهم وهم على زيّهم وبسطهم على غَلوَةٍ من مجلس رستم، فجاء المغيرة حتى جلس معه على سريره فأنزلوه فقال: لا أرى قوماً أسفه منكم انا معشر العرب لا يستعبد بعضنا بعضاً فظننتكم كذلك. وكان احسن بكم ان تخبروني ان بعضكم ارباب بعض مع اني لم آتكم وانما دعوتموني. فقد علمت أنكم مغلوبون، ولم يقم مَلِكٌ على هذه السيرة. فقالت السَفَلَةُ: صدق والله العَرَبِيُّ. وقالت الاساطين[1] والله لقد رمانا بكلام لا تزال عبيدنا ينزعون اليه، قاتل الله من يُصَغِّر أمر هذه الامة. ثم تكلم رستم فعظم من أمر فارس بل من شأن فارس وسلطانهم، وصغر امر العرب وقال: كانت عيشتكم سيئة وكنتم تقصدوننا في الجدب فنردكم بشيء من التمر والشعير، ولم يحملكم على ما صنعتم الا ما بكم من الجهد، ونحن نعطي أميركم كسوة وبغلاً وألف درهم، وكل رجل منكم حمل تمر وتنصرفون، فلست اشتهي قتلكم.

(١) في نسخة ب: الدهاقين.

فتكلم المغيرة وخطب فقال : أما الذي وصفتنا به من سوء الحال والضيق والاختلاف فنعرفه ولا ننكره، والدنيا دُوَلٌ والشدّةُ بعدها الرخاء، ولو شكرتم ما آتاكم الله لكان شكركم قليلاً على مما اوتيتم، وقد اسلمكم الله بضعف الشكر الى تغيّر الحال، وان الله بعث فينا رسولاً، ثم ذكر مثلما تقدم الى التخيير بين الاسلام او الجزية او القتال ثم قال : وان عيالنا ذاقوا طعام بلادكم فقالوا لا صبر لنا عنه . فقال رستم : إذاً تموتون دونها . فقال المغيرة : يدخل من قتل منا الجنة ويظفر من بقي منا بكم، فاستشاط غضباً وحلف أن لا يقع الصلح ابداً حتى اقتلكم اجمعين .

وانصرف المغيرة وخلا رستم باهل فارس، وعرض عليهم مصالحة القوم وَحَذَّرَهُمْ عاقبة حربهم فلجُّوا، وبعث اليه سعد يعرض عليه الاسلام ويرغبّ، فاجابه بمثل مـا كان يقول لأولئك من الامتنان على العرب والتعريض بالمطامع، فلم يتفق شيء من رأيهم . فقال رستم : تعبرون الينا أم نعبر إليكم ؟

فقالوا : بل اعبروا ! وأرسل اليهم سعد بذلك وارادوا القنطرة، فقال سعد: لا ولا كرامة، لا نردّ عليكم شيئاً غلبناكم عليه فابى، فباتوا يُسَكِّرُون العتيق بالتراب والقصب والبرادع حتى جعلوا جسراً . ثم عبر رستم ونُصِبَ له سريره وجلس عليه

وضرب طيّارة عليه وعبر عسكره، وجعل الفِيَلَةَ في القلب والمَجْنَبَتَيْنِ عليها الصناديق والرجال والرايات أمثال الحصون. وجعل الجالنوس بينه وبين الميمنة والفَيْرَزانِ بينه وبين الميسرة.

ورتّبَ يزدجرد الرجال بين المدائن والقادسية، وما بينه وبين رستم رجلًا على كل دعوة تنتقل اليه ينبئهم أخبار رستم في أسرع وقت. ثم أخذ المسلمون مصافّهم، واختط سعد قَصْرَةً، وكان به عِرْقُ النِساء، وأصابته معه دماميل لا يستطيع معها الجلوس، فصعد على سطح القصر راكباً على وسادة في صدره وأشرف على الناس. وعاب ذلك عليه بعض الناس، فنزل واعتذر اليهم واراهم القروح في جسده فعذروه.

واستخلف خالد بن عَرْفَطَةَ على الناس، وحبس من شغب عليه في القصر وقيّدهم، وكان فيهم أبو مِحجنِ الثَقَفِيُّ، وقيل إنما حبسه بسبب الخمر. ثم خطب الناس وحثّهم على الجهاد وذكرهم بوعد الله، وذلك في المحرم سنة اربع عشرة، وأخبرهم أنه استخلف خالد بن عَرْفَطَةَ. وأرسل جماعة من أهل الرأي لتحريض الناس على القتال مثل المُغِيرَة وحُذَيْفَة وعاصم وطُلَيْحَة وقَيس وغالب وعمرو. ومن الشعراء الشمّاخَ والحُطَيْئَةَ والعَبْدِيّ بل وعبدة بن الطيّب وغيرهم ففعلوا.

ثم أمر بقراءة سورة الجهاد وهي الأنفال فهشت قلوب الناس

وعيونهم وعرفوا السكينة مع قراءتها، فلما فرغت القراءة قال سعد الزموا مواقفكم، فاذا صليتم الظهر فاني مكبر تكبيرة فكبّروا واستعدّوا، فاذا سمعتم الثانية فكبروا وأتموا عدتكم، فاذا سمعتم الثالثة فكبّروا ونشِّطوا الناس، فاذا سمعتم الرابعة فازحفوا حتى تخالطوا عدوّكم، وقولوا : لا حول ولا قوّة إلا بالله .

فلما كبّر الثالثة برز أهل النجدان فانشبوا القتال، وخرج أمثالهم من الفرس فاعتوروا الطعن والضرب وارتجزوا الشعر وأول من أسر في ذلك اليوم هُرمُز من ملوك الباب، وكان متوّجاً أسره غالب بن عبدالله الأزديّ، فدفعه الى سعد ورجع الى الحرب . وطلب البراز اسوارٌ منهم فبرز اليه عمرو بن معد يكرب، فأخذه وجلد به الأرض، فذبحه وسلب سِوارَيهِ ومنطقته . ثم حملوا الفِيَلَةَ على المسلمين، وأمالوها على بَجِيلَةَ فثقلت عليهم، فأرسل سعد الى بني أسد أن يدافعوا عنهم، فجاءه طُلَيحَةُ بن خُوَيلِدٍ وحمل ابن مالك فردّوا الفيلة، وخرج الى طليحة عظيم منهم فقتله طليحة .

وعيّر الأشعث بن قيس كندة بما يفعله بنو أسد، فاستشاطوا ونهدوا معه، فأزالوا الذين بازائهم . وحين رأى الفرس ما لقي الناس والفيلة من بني أسد حملوا عليهم جميعاً، وفيهم ذو الحاجب والجالنوس، وكبّر سعد الرابعة، فزحف المسلمون وثبت بنو أسد . ودارت رحى الحرب عليهم، وحملت الفيول على الميمنة والميسرة ونفرت خيول المسلمين منها، فارسل سعد الى عاصم بن عمرو هل

من حيلة لهذه الفيلة؟ فبعث الرماة يرشقونها بالنبل واشتدّ بِرَدِّها آخرون يقطعون الوُضُنَ.

وخرج عاصم بجميعهم ورحى الحرب على أسد، واشتدّ عواء الفيلة ووقعت الصناديق فهلك أصحابها، ونفس عن أسد أن أصيب منهم خمسمئة، وردّوا فارس الى مواقفهم. ثم اقتتلوا الى هدء من الليل، وكان هذا اليوم الاول وهو يوم الرماة. ولما اصبح سعد دفن القتلى واسلم الجرحى الى نساء يقمن عليهم، واذا بنواحي الخيل طالعة من الشام، كان عمر بعد فتح دمشق عزل خالد بن الوليد عن جند العراق، وأمر أبا عبيدة ان يؤمّر عليهم هاشم بن عُتبَة يردّهم الى العراق. فخرج بهم هاشم وعلى مقدّمتِهِ القعقاعُ بن عمرو، فقدم القعقاع على الناس صبيحة ذلك اليوم وهو يوم أغواث. وقد عهد الى اصحابه ان يقطعوا أعشاراً بين كل عشرين مدّ البصر وكانوا ألفاً. فسلّم على الناس وبشرهم بالجنود وحرضهم على القتال.

وطلب البراز فخرج إليه ذو الحاجب فعرفه القعقاع ونادى بالثأر لأصحاب الجسر، وتضاربا فقتله القعقاع وسرّ الناس بقتله، ووهنت الأعاجم لذلك. ثم طلب البراز، فخرج اليه الفيرزان والبندوان. واكثر المسلمون القتل في الفرس وأخذوا الفيلة عن القتال لان توابيتها تكسّرت بالأمس، فاستأنفوا عملها. وجلّل القعقاع ابلًا وجعل عليها البراقع، وأركبها عشرة عشرة، وأطاف

عليها الخيول تحميها، وحملها على خيل الفرس فنفرت منها، وركبتهم خيول المسلمين . ولقي الفرس من الابل اعظم مما لقي المسلمون من الفيلة . وبرز القعقاع يومئذ في ثلاثين فارساً في ثلاثين حملة فقتلهم، كان آخرهم بُزُرْجَمَهر الهمداني . وبارز الأعور بن قطنة[1] شَهْرَيَارَ سِجِسْتانَ فقتل كل واحد منهما صاحبه .

ولما انتصف النهار تزاحف الناس فاقتتلوا الى انتصاف الليل، وقتلوا عامة أعلام فارس . ثم اصبحوا في اليوم الثالث على مواقفهم بين الصفين من المسلمين ألف جريح وقتيل، ومن المشركين عشرة آلاف . فدفن المسلمون موتاهم وأسلموا الجرحى الى النساء، ووكلوا النساء والصبيان بحفر القبور، وبقي قتلى المشركين بين الصفين . وبات القعقاع يسرب أصحابه الى حيث فارقهم بالأمس ، وأوصاهم اذا طلعت الشمس أن يقبلوا مئة مئة ، يجدّد بذلك الناس، وجاء بينهما يلحق هاشم بن عتبة .

فلما ذرّ قرن الشمس أقبل أصحاب القعقاع، فتقدموا والمسلمون يُكبّرون . فتزاحفت الكتائب طعناً وهرباً . وما جاء آخر أصحاب القعقاع حتى لحق هاشم فعبّى أصحابه سبعين سبعين، وكان فيهم قيس بن المكشوح، فلما خالط القلب كبّر وكبّر المسلمون، ثم كبّر فخرق الصفوف إلى العتيق . ثم عاد وقد أصبح الفرس على

(١) في نسخة ب : بن خطبة .

مواقفهم، وأعادوا الصناديق على الفيلة، وأحدقوا الرجال بها يحمونها أن تقطع وضنها، وأقام الفرسان يحمون الرجالة، فلم تنفر خيل المسلمين منها. وكان هذا اليوم يوم عماس، وكان شديداً إلا ان الطائفتين فيه سواء. وأبلى فيه قيس بن المكشوح وعمرو بن معد يكرب. ثم زحفت الفِيَلَةُ وفُرِقت بين الكتائب، وأرسل سعد إلى القعقاع وعاصم أن اكفياني الأبيض وكان بازائهما. والى حمل والدّميل ان أكفياني الأجرب وكان بازائهما.

فحملوا على الفيلين فقتل الأبيض ومن كان عليه، وقطع مشفر الأجرب، وفقئت عينه، وضرب سائسة الدّميل بالطبر زين، فافلت جريحاً. وتحيّر الأجرب بين الصفين وألقى نفسه في العتيق، واتبعته الفيلة وفرقت صفوف الأعاجم في أثره، وقصدت المدائن بوثوبها، وهلك جميع من فيها.

وخلص المسلمون والفرس فاختلفوا على سواء الى المساء، واقتتلوا بقية ليلتهم وتسمى ليلة الهرير. فارسل سعد طليحة وعمر الى مخاضة أسفل العسكر يقومون عليها خشية أن يؤتى المسلمون منها، فتشاوروا أن يأتوا الاعاجم من خلفهم، فجاء طليحة وراء العسكر وكبّر. فارتاع أهل فارس فأغار عمر أسفل المخاضة ورجع، وزاحفهم الناس دون اذن سعد. وأول من زاحفهم من الناس دون اذن سعد زاحفهم القعقاع وقومه فحمل عليهم ثم حمل بنو أسد ثم النخع من بجيلة ثم كندة، وسعد يقول في كل واحدة اللهم

اغفر لهم وانصرهم . وقد كان قال لهم اذا كبرت ثلاثاً فاحملوا ، فلما كبّر الثالثة لحق الناس بعضهم بعضاً بعد صلاة العشاء ، واختلطوا وصليل الحديد كصوت القرن الى الصباح .

وركدت الحرب وانقطعت الاخبار والاصوات عن سعد ورستم . واقبل سعد على الدعاء وسمع نصف الليل صوت القعقاع في جماعة من الرؤساء الى رستم ، حتى خالطوا صفّه مع الصبح ، فحمل الناس من كل جهة على من يليهم ، واقتتلوا الى قائم الظهيرة . فناجز الفَيْرَزَانُ والهُرْمُزان بعض الشيء ، وانفرج القلب وهبّت ريح عاصف فقلبت طيارة رستم عن سريره فهوت في العتيق . وانتهى القعقاع ومن معه الى السرير وقد قام رستم عنه فاستظل في ظل بغل فحمله ، وضرب هلال بن عَلْقَمَةَ الحمل ، فوقع أحد العِدْلَيْن على رستم فكسر ظهره ، وضربه هلال ضربةً نفحت مسكاً ، وهرب نحو العتيق ورمى بنفسه فيه . فاقتحم هلال عليه وجَرَّهُ برجله فقتله وصعد السرير وقال : قتلت رستم ورب الكعبة . إليّ ! إليّ ! فاطافوا به وكبّروا .

وقيل : إن هلالاً لما قصد رستم رماه بسهم فاثبت قدمه بالركاب ، ثم حمل عليه فقتله واحتز رأسه ونادى في الناس قتلت رستم ! فانهزم قلب المشركين . وقام الجالنوس على الردم ، ونادى الفرس إلى العبور وتهافت المقترنون بالسلاسل في العتيق وكانوا ثلاثين ألفاً هلكوا . وأخذ ضِرارُ بن الخطاب رايةَ الفرس العظيمة

وهي درفش كابيان فعوّض منها ثلاثين الفاً، وكانت قيمتها ألف ألف ومئة ألف . وقتل ذلك اليوم من الأعاجم عشرة آلاف في المعركة، وقتل من المشركين في ذلك اليوم ستة آلاف دفنوا في الخندق حيال مسرق سوى ألفين وخمسمائة قتلوا ليلة الهرير، وجمع من الأسلاب والأموال ما لم يجمع قبله ولا بعده مثله .

ونفل سعد هلال بن علقمة سلب رستم، وأمر القعقاع وشرحبيل باتباع العدوّ، وقد كان خرج زهرة بن حيوة قبلها في أثره فلحق الجالنوس بجمع المنهزمين فقتله وأخذ سلبه . فتوقف سعد من عطائه وكتب الى عمر فكتب اليه : تعمد الى مثل زهرة وقد صلّي بمثل ما صلّي به وقد بقي عليك من حربك ما بقي نفسد قلبه . امضِ له سلبه وفضله على أصحابه في العطاء بخمس مئة . ولحق سليمان بن ربيعة الباهلي وأخوه عبد الرحمن بطائفة من الفرس قد استماتوا فقتلوهم، واستمات بعد الهزيمة بضعة وثلاثون رئيساً من المسلمين فقتلوهم اجمعين .

وكان ممن هرب من امراء الفرس الهرمزان والفرزاد بن بيهس وقارن . وممن استمات فقتل شهريار بن كبارَ . وأسِرَ المدمّرُون والفِرّدان الأهوازيّ وخَشَرْشوم الهمداني . وكتب سعد الى عمر بالفتح وبمن أصيب من المسلمين . وكان عمر يسأل الركبان حين يصبح إلى انتصاف النهار ثم يرجع الى أهله.

فلما لقي البشير قال من أين؟ فاخبره فقال حدثني فقال: هزم الله المشركين . ففرح بذلك واقام المسلمون بالقادسية ينتظرون كتاب عمر، الى ان وصلهم بالاقامة وكانت وقعة القادسية سنة اربع عشرة وقيل خمس عشرة وقيل ست عشرة .

فتح المدائن وجلولاء بعدها

ولما انهزم أهل فارس بالقادسية انتهوا الى بابل وهديل وفيهم بقايا الرؤساء النَخِيزَجَانُ ومَهرانَ الأَهوازي والهرمزان واشباههم، واستعملوا عليهم الفيرزان . وأقام سعد بعد الفتح شهرين، وسار بأمر عمر الى المدائن، وخلف العيال بالعتيق في جند كثيف حامية لهم، وقدم بين يديه زهرة بن حياة وشرحبيل بن الصمت وعبدالله بن المُعتَمِر [1] ولقيهم بعض عساكر الفرس فهزموهم حتى لحقوا ببابل . ثم جاء سعد وسار في التبيعة ونزلوا على الفيرزان ومـن معه ببابل، فخرجوا وقاتلوا المسلمين فانهزموا وافترقوا فرقتين . ولحق الهرمزان بالأَهواز والفيرزان بنهاوند، وبها كنوز كسرى .

وسار النخيزجان ومهران إلى المدائن فتحصنوا وقطعوا الجسر . ثم سار سعد من بابل على التعبية وزهرة في المقدمة ، وقدم بين

(١) في نسخة ب: ابن المعتز.

يديه بكير بن عبدالله الليثيّ وكُثَيّر بن شهاب السبيعي[١] حتى عبرا ولحقا بأخريات القوم فقتلا في طريقهما اسوارين من أساورتهم ثم تقدموا إلى كوثي[٢] وعليها شهريار، فخرج لقتالهم فقتل وانهزم اصحابه فافترقوا في البلاد، وجاء سعد فنفل قاتله سلبه.

وتقدم زهرة الى ساباط فصالحه اهلها على الجزية وهزم كتيبة كسرى ثم نزلوا جميعاً على بهرشير من المدائن، ولما عاينوا الايوان كبّروا وقالوا: هذا أبيض كسرى، هذا ما وعد الله. وكان نزولهم عليها ذا الحجة سنة خمس عشرة. فحاصروها ثلاثة اشهر ثم اقتحموها، وكانت خيولهم تغير على النواحي، وعهد اليهم عمر ان من اجاب من الفلاحين ولم يعن عليهم فذلك امانه، ومن هرب فأُدرِكَ فشأنكم به، ودخل الدهاقين من غربي دجلة واهل السواد كلهم في امان المسلمين، واغتبطوا بملكهم واشتد الحصار على بهرشير ونصبوا عليها المجانيق، واستلحموهم في المواطن، وخرج بعض المرازبة يطلب البراز، فقاتله زهرة بن حيوة فقتلا معاً. ويقال: إنّ زهرة قتله شبيب الخارجي ايام الحجاج.

ولما ضاق بهم الحصار وركب اليهم الناس بعض الأيام، فلم

---

(١) في نسخة ب: السعدي.
(٢) في نسخة ب: كوتا.

يروا على الاسوار أحداً إلا رجلًا يشير اليهم فقال : ما بقي بالمدينة أحد، وقد صاروا إلى المدينة القصوى التي فيها الايوان . فدخل سعد والمسلمون وأرادوا العبور إليهم فوجدوهم جمعوا المعابر عندهم، فأقام أياماً من صبر، ودلّه بعض العلوج على مخاضة في دجلة فتردد فقال له : أقدم فلا تأتي عليك ثلاثة إلا ويزدجرد قد ذهب بكل شيء فيها . فعزم سعد على العبور وخطب الناس وندبهم الى العبور ورغّبهم، وندب من يجيز أن لا يجيء الفِراضَ حتى يجيز اليه الناس . فانتدب عاصم بن عمرو في ستمائة، واقتحموا دجلة فلقيهم أمثالهم من الفرس عند الفراض، وشدّوا عليهم فانهزموا وقتل أكثرهم وعوّروا من الطعن في العيون . وعاينهم المسلمون على الفراض، فاقتحموا في أثرهم يصيحون : نستعين بالله ونتوكل عليه، حسبنا الله ونعم الوكيل ولا حول ولا قوّة إلا بالله العلي العظيم .

وساروا في دجلة وقد طبقوا ما بين عَدْوَتَيْها وخيلهم سابحة بهم، وهم يهيمنون تارة ويتحادثون أخرى، حتى أجازوا البحر ولم يفقدوا شيئاً إلا قدحاً لبعضهم غلبت صاحبه عليه جرية الماء، وألقته الريح الى الشاطيء . ورأى الفرس عساكر المسلمين قد أجازوا البحر فخرجوا هاربين الى حُلوان . وكان يزدجرد قدّم اليها قبل ذلك عياله، ورفعوا ما قدروا عليه من عرض المتاع وخفيفه، ومن بيت المال والنساء والذراري، وتركوا بالمدائن من

الثياب والامتعة والآنية والألطاف ما لا تحصى قيمته . وكان في بيت المال ثلاثة آلاف ألف ألف ألف مكرّرة ثلاث مرات، تكون جملتها ثلاثمائة ألف قنطار من الدنانير . وكان رستم عند مسيره الى القادسية حمل نصفها لنفقات العساكر وابقى النصف، واقتحمت العساكر المدينة يجولون في سككها لا يلقون بها أحداً . وأرز سائر الناس إلى القصر الأبيض حتى توثقوا لأنفسهم على الجزية .

ونزل سعد القصر الابيض، واتخذ الايوان به مصلّى، ولم يغيّر ما فيه من التماثيل . ولما دخله قرأ : ﴿كَمْ تَرَكُوا مِن جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ﴾ الآية . وصلّى فيه صلاة الفتح ثماني ركعات لا يفصل بينهنّ، وأتم الصلاة بنية الاقامة . وسرح زهرة بن حيوة في آثار الأعاجم إلى النهروان وقراها من كل جهة . وجعل على الأخماس عمرو بن عمرو بن مُقَرّن، وعلى القسم سلمان بن ربيعة الباهلي، وجمع ما كان في القصر والايوان والدور، وما نهبه أهل المدائن عند الهزيمة . ووجدوا حلية كسرى : ثيابه وخرزاته وتاجه ودرعه التي كان يجلس فيها للمباهاة، أخذ ذلك من أيدي الهاربين على بغلين، وأخذ منهم أيضاً وقر بغل من السيوف وآخر من الدروع والمغافر منسوبة كلها درع هرقل، وخاقان ملك الترك، وداهر ملك الهند، وبهرام جور وسياوخش والنعمان ابن المنذر، وسيف كسرى وهُرْمُز

وقَبّاذ وفَيروز وهِرَقل وخاقان وداهِر وبَهْرام وسِياوخش والنعمان أحضرها القعقاع .

وخيره في الاسياف ، فاختار سيف هِرَقل ، وأعطاه دِرْعَ بهرام ، وبعث الى عمر سيف كسرى والنعمان وتاج كسرى وحليته وثيابه ليراها الناس . وقسم سعد الفيء بين المسلمين بعدما خمّسه وكانوا ستين ألفاً ، فاصاب للفارس اثنا عشر ألفاً ، وكلهم كان فارساً ليس فيهم راجل . ونفل من الاخماس في أهل البلاد وقسم المنازل بين الناس واستدعى العيلات من العتيق فانزلهم الدور ، ولم يزالوا بالمدائن حتى تم فتح جلولاء وحلوان وتكريت والموصل . واختطت الكوفة فتحولوا اليها . وارسل سعد في الخمس كل شيء يعجب العرب منهم أن يصنع اليهم ، وحضر اليهم نهار كسرى وهو القطف ، وهو بساط طوله ستون ذراعاً في مثلها مقدار مزرعة جريب في أرضه ، وهي منسوجة بالذهب طرقاً كالانهار ، وتماثيل خلالها بصدف الدر والياقوت ، وفي حافاتها كالأرض المزدرعة والمقبلة بالنبات ، ورقها من الحرير على قضبان الذهب ، وَزَهرُهُ حَبّاتُ الذهب والفِضّة ، وثَمَرُهُ الجوهر ، كانت الأكاسرة يبسطونه في الايوان في فصل الشتاء عند فقدان الرياحين يشربون عليه ، فلما قدمت الأخماس على عمر قسمها في الناس ثم قال : اشيروا علي في هذا القطف ، فاختلفوا وأشاروا على نفسه

فقطعه بينهم، فاصاب عليّ قطعة منه باعها بعشرين ألفاً، ولم تكن بأجودها.

وولّى عمر سعد بن أبي وقّاص على الصلاة والحرب فيما غلب عليه، وولّى حُذَيْفَةَ بن اليمان على سقي الفرات، وعثمان بن حنيف على سقي دجلة . ولما انتهى الفرس بالهرب الى جلولاء، وافترقت الطرق من هنالك بأهل أذربيجان والباب وأهل الجبال وفارس وقضُوا هنالك خشية الافتراق، واجتمعوا على مهران الرازي، وخندقوا على أنفسهم وأحاطوا الخندق بحسره الحديد، وتقدم يزدجرد الى حلوان وبلغ ذلك سعداً، فكاتب عمر بذلك يأمره أن يسرح الى الفرس بجلولاء هاشماً بن أخيه عتبة في اثني عشر ألفاً، وعلى مقدمته القعقاع بن عمرو، وأن يولّى القعقاع بعد الفتح ما بين السواد والجبل .

فسار هاشم من المدائن لذلك في وجوه المسلمين واعلام العرب حتى قدم جلولاء، فاحاط بهم وحاصرهم في خنادقهم، وزاحفوهم ثمانين يوماً ينصرون عليهم في كلها، والمدد متصل من هاهنا وهاهنا . ثم قاتلوهم آخر الأيام فقتلوا منهم اكثر من ليلة الهرير، وأرسل الله عليهم ريحاً وظلمة فسقط فرسانهم في الخندق وجعلوه طرقاً مما يليهم، ففسد حصنهم، وشعر المسلمون بذلك، فجاءه القعقاع الى الخندق فوقف على بابه .

وشاع في الناس أنه أخذ في الخندق، فحمل الناس حملة واحدة انهزم المشركون لها، وافترقوا ومرّوا بالجسرة التي تحصّنوا بها، فعقرت دوابهم فترجلوا ولم يفلت منهم إلا القليل . يقال : إنه قتل منهم يومئذ مئة ألف، واتبعهم القعقاع بالطلب إلى خانقين، واجفل يزدجرد من حلوان إلى الريّ، واستخلف عليها خشرشوم[1] وجاء القعقاع الى حلوان فبرز إليه خشرشوم وعلى مقدمته الرمى فقتله القعقاع وهرب خشرشوم من ورائه، وملك القعقاع حلوان وكتب الى عمر بالفتح واستأذنه في اتباعهم فأبى وقال : وددت أن بين السواد والجبل سدًّا حصيناً من ريف السواد، فقد آثرت سلامة المسلمين على الأنفال، وأُحصِيَت الغنيمة فكانت ثلاثين ألف ألف، فقسمها سلمان بن ربيعة . يقَال إنه أصاب الفارس تسعة آلاف وتسعة من الدواب، وبعثوا بالأخماس إلى عمر مع زياد ابن أبيه .

فلما قدم الخمس قال عمر : والله لا يُجِنُّهُ سقف حتى أقسمه فجعله في المسجد، وبات عبد الرحمن بن عوف وعبدالله بن الأرقم يحرسانه، ولما اصبح جاء في الناس ونظر الى ياقوتة وجوهرة فبكى . فقال عبد الرحمن بن عوف : مايبكيك يا أمير المؤمنين، وهذا موطن شكر؟ قال : والله ما أعطي الله هذا قوماً إلّا

(١) في نسخة ب: خسر شوم وفي الطبري ج ٤ ص ١٣٦ خسر وشنوم.

تحاسدوا وتباغضوا فيلقي الله بأسهم بينهم، ومنع عمر من قسمة السواد ما بين حلوان والقادسية فاقرّه حبساً، واشترى جرير بعضه بشاطىء الفرات فردّ عمر الشراء.

ولما رجع هاشم من جلولاء الى المدائن بلغهم أن أُدَيْنَ بن الهرامون جمع جمعاً وجاء بهم الى السهل، فبعث اليه ضِرَار بن الخطّاب في جيش فلقيهم بماسَبْذَان فهزمهم، وأسر أدين فقتله، وانتهى في طلبه الى النهروان وفتح ماسبذان عَنْوَةً، وردّ اليها أهلها ونزل بها، فكانت أحد فروج الكوفة، وقيل كان فتحها بعد نهاوند والله سبحانه أعلم.

ولاية عتبة بن غزوان على البصرة

كان عمر عندما بعث المُثَنّى الى الحيرة بعث قَتَبَةَ بن قتادَةَ السَلوسِيّ الى البصرة، فكان يغير بتلك الناحية. ثم استمد عمر فبعث اليه شُرَيْح بن عامر بن سعد بن بكر، فأقبل الى البصرة ومضى الى الأهواز ولقيه مسلحة الاعاجم فقتلوه. فبعث عمر عتبة بن غزوان والياً على تلك الناحية، وكتب الى العلاء بن الحضرمي أن يمدّه بعرفَجَةَ بن هَرْثَمَةَ، وأمره ان يقيم بالتخم بين أرض العرب وأرض العجم. فانتهى الى حيال الجسر وبلغ صاحب الفرات خبرهم، فاقبل في أربعة آلاف وعتبة في خمسمائة، والتقوا فقتلوا الأعاجم أجمعين، وأسروا صاحب الفرات.

ثم نزل البصرة في ربيع سنة اربع عشرة، وقيل: إن البصرة بصرت سنة ست عشرة بعد جلولاء وتكريت. أرسل سعد اليها عتبة فأقام بها شهراً وخرج اليه اهل الأُبلّة، وكانت مرفأ للسفن من الصين فهزمهم عتبة واحجرهم في المدينة، ورجع الى عسكره ورعب الفرس فخرجوا عن الابلّة وحملوا ما خف وخلوا المدينة وعبروا النهر ودخلها المسلمون، فغنموا ما فيها واقتسموه. ثم اختطّ البصرة وبدأ بالمسجد فبناه بالقصب وجمع له أهل دست ميان، فلقيهم عتبة فهزمهم وأخذ مرزبانها أسيراً، وأخذ قتادة منطقته فبعث بها الى عمر. وسأل عنهم فقيل له انثالت عليهم الدنيا، فهم يهيلون الذَهبَ والفِضَّةَ، فرغب الناس في البصرة وأتوها.

ثم سار عتبة الى عمر بعد أن بعث مُجَاشِعَ بن مسعود في جيش إلى الفرات واستخلف المغيرة بن شعبة على الصلاة الى قدوم مجاشع[(١)] وجاء ألف بيكان من عظماء الفرس الى المسلمين، ولقيهم المغيرة ابن شُعْبَةَ بالمِرْغَابِ، وبينما هم في القتال إذ لحق بهم النساء وقد اتخذن خُمُرَهُنّ رايات، فانهزم الأعاجم وكتبوا بالفتح الى عمر، فردّ عتبة إلى عمله فمات في طريقه. وقيل: إن امارة عتبة كانت سنة خمس عشرة وقيل ست عشرة، فوليها ستة أشهر، واستعمل

(١) في نسخة ب: مشاجع.

عمر بعده المغيرة بن شعبة سنتين . فلما رمي بما رمي بـه عزله ، واستعمل أبا موسى وقيل استعمل بعده عتبة أبا سبرة وبعده المغيرة .

وقعة مرج الروم وفتوح مدائن الشام بعدها

لمـا انهزم الروم بِفِحْلٍ سار أبو عبيدة وخالد الى حمص واجتمعوا بذي الكلاع في طريقهم، وبعث هرقل توذر البطريق للقائهم فنزلوا جميعاً بمرج الروم وكان توذر بازاء خالد وشمر بطريق اخر بازاء أبي عبيدة وأمسوا مستترين . ثم اصبح فلم يجدوا توذر وسار الى دمشق واتبعه خالد، واستقبله يزيد من دمشق فقاتله، وجاءه خالد من خلفه فلم يفلت منهم إلا القليل وغنموا ما معهم . وقاتل شَنَسُ أبو عبيدة بعد مسير خالد، فانهزم الروم وقتلوا واتبعهم أبو عبيدة الى حمص ومعه خالد، فبلغ ذلك هرقل، فبعث بطريق حمص إليها، وسار هو في الرها، فحاصر أبو عبيدة حمص حتى طلبوا الأمان فصالحهم .

وكان هرقل يعدهم في حصارهم المدد، وأمر أهل الجزيرة بامدادهم فساروا لذلك . وبعث سعد بن أبي وقاص العساكر من العراق فحاصروا هيت وقرقيسيا فرجع أهل الجزيرة الى بلادهم . ويئس أهل حمص من المدد فصالحوا على صلح أهل دمشق ، وأنزل أبو عبيدة فيها السِمْطَ بن الاسود في بني معاوية من كِنْدَة ،

والأشعث بن قيس في السكون، والمقداد في بَلِيّ وغيرهم . وولّى عليهم أبو عبيدة بن الصامت وصار الى حماة فصالحوه على الجزية عن رؤوسهم، والخراج عن أرضهم . ثم سار نحو شيزر فصالحوا كذلك، ثم الى المعرّة كذلك . ويقال معرّة النعمان وهو النعمان بن بشير الانصاري .

ثم سار الى اللاذقية ففتحها عنوة ثم سلمية ثم أرسل ابو عبيدة خالد بن الوليد الى قِنَّسرين فاعترضه ميناس عظيم الروم بعد هرقل فهزمهم خالد وأثخن فيهم ونازل قنسرين حتى افتتحها عنوة وخرّبها . وادرب الى هرقل من ناحيته، وأدرب عياض بن غَنْم كذلك، وأدرب عمر بن مالك من الكوفة الى قرقيسيا، وأدرب عبدالله ابن المعتمر من الموصل . فارتحل هرقل الى القُسْطَنْطِينِيّةِ من أمدها، وأخذ أهل الحصون بين الاسكندريّة[1] وطرسوس وشعبها أن ينتفع المسلمون بعمارتها . ولما بلغ عمر صنيع خالد قال أمّر خالد نفسه، يرحم الله أبا بكر هو كان أعلم مني بالرجال . وقد كان عزل خالداً والمثنى بن حارثة خشية أن يداخلها كبر من تعظيم فوكلوا اليه . ثم رجع عن رأيه في المثنى عند قيامه بعد ابي عبيد، وفي خالد بعد قنسرين، فرجع خالد الى إمارته .

ولما فرغ أبو عبيدة من قنسرين سار الى حلب، وبلغه أن أهل

---

(١) يريد الاسكندرونة .

قِنَّسرين غـدروا فبعث اليهم السمط الـكِنْدِيّ فحاصرهم وفتح وغنم. ووصل أبو عبيدة الى حَاضر حلب وهو موضع قريب منها، يجمع أصنافاً من العرب فصالحوا على الجزية، ثم أسلموا بعـد ذلك.

ثم أتى حلب وكان على مُقَدِّمَتِهِ عياض بن غنم الفِهْرِيّ، فحاصرهم حتى صالحوه على الامان وأجاز ذلك أبو عبيدة، وقيل صولحوا على مقاسمة الدور والكنائس، وقيل انتقلوا الى انطاكية حتى صالحوا ورجعوا الى حلب. ثم سار أبو عبيدة مَن حلب الى انطاكية وبها جمع كبير من فلّ قنسرين وغيرهم ولقوه قريباً منها فهزمهم وأحجرهم بالمدينة وحاصرهم حتى صالحوه على الجلاء او الجزية، ورحل عنهم. ثم نقضوا فبعث أبو عبيدة اليهم عياض بن غنم وحبيب بن مسلمة ففتحاها على الصلح الاول، وكانت عظيمة الذكر. فكتب عمر الى ابي عبيدة أن يرتب فيها حامية مرابطة، ولا يؤخر عنهم العطاء [1].

ثم بلغ أبا عبيدة أن جمعاً بالروم بين معرّة مصرين وحلب، فسار اليهم فهزمهم، وقتل بطارقتهم وامعن بل وأثخن فيهم؛ وفتح معرّة مِصرين على صلح حلب. وجالت خيوله فبلغت سَرْمين وتيري وغلبوا على جميع أرض قنسرين وأنطاكية. ثم فتح حلب ثانية وسار يريد قُورس، وعلى مقَدِّمتِهِ عياضُ فصالحوه عـلى

(١) في نسخة ب: ولا يجبي منهم العطاء.

صلح أنطاكية . وبثّ خيله ففتح تل نِزارٍ وما يليه . ثم فتح مَنبِجَ على يد سَلْمان بن ربيعة الباهِليّ . ثم بعث عِياضاً الى دَلوك وعَينتاب فصالحهم على مثل منبج ، واشترط عليهم ان يكونوا عوناً للمسلمين . وولّى ابو عُبَيْدَةَ على كل ما فتح من الكُوَرِ عاملًا وضم اليه جماعة ، وشحن الثغور المخوفة بالحامية . واستولى المسلمون على الشام من هذه الناحية الى الفرات .

وعاد أبو عبيدة الى فلسطين ، وبعث أبو عبيدة جيشاً مع مَيسرَةَ بن مسروق العبْسيّ ، فسلكوا درب تفليس الى بلاد الروم ، فلقي جمعاً الروم ومعهم عرب من غسّان وتنوخ وإياد يريدون اللحاق بِهِرَقْل ، فأوقع بهم واثخن فيهم . ولحق به على أنطاكية مالك بن الأشْتَرِ النَخَعِيُّ مدداً ، فرجعوا جميعاً الى أبي عبيدة . وبعث ابو عبيدة جيشاً آخر الى مَرْعَشَ مع خالد بن الوليد ففتحها على إجلاء أهلها بالأمان وخرّبها . وبعث جيشاً آخر مع حبيب بن مسلمة الى حصن الحرث كذلك .

وفي خلل ذلك فتحت قِيسَارِيّةُ بعث اليها يزيد بن أبي سفيان أخاه معاوية بأمر عُمَرَ فسار اليها وحاصرهم بعد أن هزمهم . وبلغت قتلاهم في الهزائم ثمانين الفاً وفتحها آخراً وكان علقمة بن مُجَزِّزٍ[1] على غزّة وفيها القيغار من بطاركة الروم .

---

(١) مجزز: بجيم مفتوحة وزايين الأولى مشددة مكسورة كما في الكامل اهـ .

وقعة اجنادين وفتح بيسان والاردن وبيت المقدس

لما انصرف أبو عبيدة وخالد إلى حمص بعد واقعة مرج الروم نزل عمرو وشرحبيلُ عـلى أهل بيسان، فافتتحها وصالح أهل الأردن، واجتمع عسكر الروم باجنادين وغزة وبيسان وعليهم أرطبون [١] من بطارقة الروم. فسار عمرو وشرحبيل إليهم، واستخلف على الأردن أبا الأَعْوَرِ السَلَمِيّ. وكان الأرطبون قد أنزل بالرملة جنداً عظيماً من الروم وببيت المقدس كذلك. وبعث عمرو عَلْقَمَةَ بن حكيم الفِرَاسِيّ، ومسروق بن العَكِّيِّ لقتال أهل بيت المقدس. وبعث أبا أيوبِ المالِكِيّ الى قتال أهـل الرَمْلَةِ. وكان مُعَاوِيَةُ محاصراً لأهل قيسارِيَّةَ فشغل جميعهم عنه. ثم زحف عمرو الى الارطبون واقتتلوا كيوم اليرموك أو أشدّ.

وانهزم أرطبون الى بيت المقدس، وافرج له المسلمون الذين كانوا يحاصرونها حتى دخل. ورجعوا الى عُمَرَ وقد نزل أَجنادين. وقد تقدّم لنا ذكر هذه الواقعة قبل اليرموك على رأي من جعلها قبلها، وهذا على قول من جعلها بعدها. ولما دخل أرطبون بيت المقدس فتح عمر غزة. وقيل كان فتحها في خلافة ابي بكر ثم فتح سبسَطِيَّةَ [٢] وفيها قبر يحيى بن زكريا، وفتح نابلس عـلى

---

(١) كذا في الأصل.

(٢) سبسطية: بوزن أحمدية اهـ. (قاموس)

الجزية . ثم فتح مدينة لدّ ثم عَمَواس [١] وبيت جِبْرِين ويافا ورفح وسائر مدائن الاردن . وبعث الى الأرطبون فطلب ان يصالح كأهل الشام، ويتولى العقد عمر، وكتبوا اليه بذلك .

فسار عن المدينة واستخلف عليها عليّ بن ابي طالب بعد ان عذله في مسيره فأبى . وقد كان واعد أمراء الأجناد هنالك، فلقيه يزيد ثم أبو عبيدة ثم خالد على الخيول عليهم الديباج والحرير، فنزل ورماهم بالحجارة وقال : اتستقبلوني [٢] في هذا الزيّ؟ وانما شبعتم منذ سنتين، والله لو كان على رأس المائتين لاستبدلت بكم . قالوا : إنها بلا ثمن، وإن علينا السلاح فسكت ودخل الجابية .

وجاءه أهل بيت المقدس وضم عَمْرًا وشرحبيل اليه، وقد هرب أرطبون عنهم إلى مصر فصالحوه على الجزية وفتحوها له، وكذلك أهل الرَّمْلَةِ .

وولّى عَلْقَمَةَ بن حكيم على نصف فِلَسطِين وأسكنه الرملة، وعَلْقَمَةَ بن مُجزِزٍ على النصف الآخر وأسكنه بيت المقدس، وضم عَمْرًا وشرحبيل إليه فلقياه بالجابِيَةِ . وركب عُمَرُ إلى بيت المقدس فدخلها وكشف عن الصخرة، وأمر ببناء المسجد عليها . وذلك سنة خمس عشرة وقيل سنة ست عشرة . ولحق أرطبون بمصر

---

(١) عمواس بفتحات اهـ . مصباح.
(٢) كذا. والأصح اتستقبلونني.

مع من أبي الصلح من الروم حتى هلك في فتح مصر . وقيل : انما لحق بالروم وهلك في بعض الصوائف . ثم فرّق عمر العطاء ودوّن الدواوين سنة خمس عشرة ورتّب ذلك على السابقة .

ولمّا أعطى صَفوان بن أُمَيَّةَ والْحَرْثَ بن هِشام وسُهَيْلَ بن عمرو أقلّ من غيرهم قالوا : لا والله لا يكون أحد أكرم منا . فقال : إنما أعطيت على سابقة الاسلام لا على الأحساب . فقالوا : فنعم إذن، وخرجوا الى الشام فلم يزالوا مجاهدين حتى أصيبوا .

ولما وضع عمر الدواوين قال له عليّ وعبد الرحمن ابدأ بنفسك. قال لا ! بعمّ رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم الاقرب فالاقرب، ورتّب ذلك على مراتب . ففرض خمسة آلاف ثم اربعة ثم ثلاثة ثم ألفين وخمسمائة ثم ألفين ثم ألفاً واحداً ثم خمسمائة ثم ثلاثمائة ثم مائتين وخمسين ثم مائتين .

وأعطى نساء النبي صلى الله عليه وسلم عشرة آلاف لكل واحدة وفضّل عائشة بألفين، وجعل النساء على مراتب، فلأهل بدر خمسمائة ثم اربعمائة ثم ثلاثمائة ثم مائتين، والصبيان مائة مائة والمساكين جرايتين في الشهر . ولم يترك في بيت المال شيئاً . وسئل في ذلك فابى وقال : هي فتنة لمن بعدي .

وسأل الصحابة في قوته من بيت المال فأذنوا له فيه وسألوه في الزيادة على لسان حَفصَةَ ابنته مُتَكَتِّمِين عنه . فغضب وامتنع.

وسألها عن حال رسول الله صلى الله عليه وسلم في عيشه وملبسه وفِراشه، فاخبرته بالكَفاف من ذلك. فقال: والله لأضعنّ الفضول موضعها، ولأتبلغنّ بالتَّزْجِيَةِ، وانما مثلي ومثل صاحِبَيّ كثلاثة سلكوا طريقاً، وتزوّد الاول فبلغ المنزل، واتبعه الآخر مقتدياً به كذلك، ثم جاءه الثالث بعدهما، فان اقتفى طريقهما وزادهما لحق بهما وإلّا لم يبلغهما.

وفتحت في جمادى من هذه السنة تَكريت، لأنّ أهل الجزيرة كانوا قد اجتمعوا إلى المَرْزُبَانِ الذي كان بها، وهم من الروم وإياد وتَغلِب والنِمر ومعهم الشَهَارِجَة ليحموا أرض الجزيرة من ورائهم. فسرّح اليهم سعد بن أبي وقاص بأمر عمر كاتبه عبد الرحمن بن المُعْتَمِر، وعلى مُقدّمتِهِ رِبْعي بن الأفكل. وعلى الخيل عَرْفَجَةُ ابن هَرْثَمَة؛ فحاصروهم اربعين يوماً وداخلوا العرب الذين معهم، فكانوا يطلعونهم على أحوال الروم. ثم يئس الروم من أمرهم واعتزموا على ركوب السفن في دجلة للنجاة. فبعث العرب بذلك إلى المسلمين وسألوهم الأمان، فاجابوهم على أن يسلموا فأسلموا، وواعدوهم الثبات والتكبير، وأن يأخذوا على الروم أبواب البحر مما يلي دجلة ففعلوا. ولما سمع الروم التكبير من جهة البحر ظنّوا أن المسلمين استداروا من هنالك، فخرجوا الى الناحية التي فيها المسلمون، فأخذتهم السيوف من الجهتين. ولم يفلت الا من أسلم من قبائل ربيعة من تغلب والنمر وإياد،

وقسمت الغنائم فكان للفارس ثلاثة آلاف درهم وللراجل ألف . ويقال إن عبدالله بن المعتمر بعث ربعي بن الافكل بعهد عمر الى الموصل ونينوى، وهما حِصنَانِ على دِجلَةَ من شرقيّها وغربيّها، فسار في تَغلِب واياد والنمر، وسقوه الى الحضين، فأجابوا إلى الصلح وصاروا ذِمّةً . وقيل بل الذي فتح الموصل عتبة بن فَرقَد سنة عشرين، وإنّه ملك نينوى وهو الشرقي عنوةً .

وصالحه أهل الموصل وهو الغربي على الجزية، وفتح معها جبل[1] الأكراد وجميع أعمال الموصل، وقيل انما بعث عتبة بن فرقد عياض بن غنم عندما فتح الجزيرة على ما نذكره والله أعلم .

مسير هرقل الى حمص وفتح الجزيرة وارمينية

كان أهل الجزيرة قد راسلوا هِرَقل وأغروه بالشام، وان يبعث الجنود الى حِمص وواعدوه المَدَدَ . وبعثوا الجنود الى اهل هيت مما يلي العراق . فارسل سَعدٌ عُمَرَ بن مالك بن خَيبَرَ بن مُطعِمٍ في جند، وعلى مقدّمته الحرث بن يزيد العامري . فسار إلى هيت وحاصرهم، فلما رأى اعتصامهم بخندقهم حجر عليهم الحرث ابن يزيد، وخرج في نصف العسكر، وجاء قرقيسيا على غِرّةٍ فاجابوه إلى الجزية . وكتب إلى الحرث أن يخندق على عسكر

(١) في نسخة ب: وفتح معاقيل الأكراد.

الجزيرة، فبيَّت حتى سألوا المسالمة والعود الى بلادهم، فتركهم ولحق بعمر بن مالك .

ولما اعتزم هرقل على قصد حمص، وبلغ الخبر أبا عُبَيْدَة، ضم اليه مسالحه، وعسكر بفنائها . وأقبل اليه خالد من قِنَّسرين، وكتبوا إلى عمر بخبر هرقل، فكتب الى سعد أن يذهب الناس بل أن يندب الناس مع القعقاع بن عمرو ويسرّحهم من يومهم، فان أبا عبيدة قد أحيط به . وأن يُسَرِّحَ سهيل بن عَدِيّ الى الرَّقةِ، فان أهل الجزيرة هم الذين استدعوا الروم الى حمص . وان يسرّح عبدالله بن عُتْبان الى نَصِيبِين، ثم يقصد حرّان والرّها . وأن يسرّح الوليد بن عقبة الى عرب الجزيرة من ربيعة وتنوخ . وأن يكون عياض بن غنم على أمراء الجزيرة هؤلاء ان كانت حرب . فمضى القعقاع من يومه في أربعة آلاف الى حمص، وسار عياض بن غنم وأمراء الجزيرة كل أمير الى كورته . وخرج عُمَرُ من المدينة فأتى الجابية يريد حمص مغيثاً لأبي عبيدة، ولما سمع أهل الجزيرة خبر الجنود فارقوا هِرَقْل ورجعوا الى بلادهم . وزحف أبو عبيدة الى الروم فانهزموا، وقدم القعقاع من العراق بعد الوقعة بثلاث . وكتبوا الى عمر بالفتح فكتب اليهم أن أشركوا أهل العراق في الغنيمة .

وسار عياض بن غنم الى الجزيرة، وبعث سُهَيْلُ بن عَدِيّ الى الرَّقةِ عندما انقبضوا عن هرقل، فنهضوا معه إلّا إياد بن نزار، فانهم

دخلوا أرض الروم . ثم بعث عياض بن سهيل وعبدالله يضمهما اليه، وسار بالناس إلى حَرّان فاجابوه إلى الجزية . ثم سرّح سُهَيْلًا وعبدالله إلى الرها، فاجابوا إلى الجزية وكمل فتح الجزيرة . وكتب ابو عبيدة إلى عمر لما رجع من الجابية وانصرف معه خالد، أن يضم اليه عياض بن غنم مكانه ففعل، وولّى حبيب بن مَسلَمَة على عجم الجزيرة وحربها والوليد بن عقبة على عربها .

ولما بلغ عمر دخول إياد الى بلاد الروم ، كتب الى هرقل : بلغني أن حيًّا من أحياء العرب تركوا دارنا وأتوا دارك فوالله لتُخرِجَنّهم او لنُخرِجَنّ النصارى اليك . فاخرجهم هرقل وتفرّق منهم أربعة آلاف فيما يلي الشام والجزيرة، وأبى الوليد بن عقبة أن يقبل من تغلب إلّا الاسلام . فكتب اليه عمر : إنما ذلك في جزيرة العرب التي فيها مكّة والمدينة واليمن، فدعهم على أن لا ينصروا وليداً ولا يمنعوا أحداً منهم من الاسلام .

ثم وفدوا الى عمر في أن يضع عنهم اسم الجزية، فجعلها الصَدَقَة مُضَاعفَةً . ثم عزل الوليد عنهم لسطوته وعزّتهم، وأمّر عليهم فُراتَ بن حَيّان وهند بن عمرو الجَمَلِيّ . وقال ابن اسحاق : ان فتح الجزيرة كان سنة تسع عشرة، وان سعداً بعث اليها الجند مع عياض بن غنم وفيهم ابنه عمر وعياض بن غنم، ففتح عمر الرها بل ففتح عياض الرها . وصالحت حرّان وافتتح ابو موسى

نصيبين، وبعث عثمان ابن أبي العاص الى أرمينيا فصالحوه على الجزية . ثم كان فتح قيسارية من فلسطين .

فتكون الجزيرة على هذا من فتوح أهل العراق، والأكثر انها من فتوح أهل الشام، وان أبا عبيدة سيّر عياض بن غنم اليها . وقيل بل استخلفه لما توفي . فولّاه عمر على حمص وقنسرين والجزيرة، فسار اليها سنة ثماني عشرة في خمسة آلاف، فانتهت طائفة الى الرقّة فحاصروها، حتى صالحوه على الجزية والخراج على الفلاحين . ثم سار الى حرّان فجهّز عليها صفوان بن المُعَطّل، وحبيب بن مسلمة، وسار هو الى الرها فحاصرها حتى صالحوه . ثم رجع الى حرّان وصالحهم كذلك ثم فتح سَميساط وسَروج ورأس كيفا، فصالحوه على مَنبِجَ كذلك ثم آمد ثم مِيافارقين ثم كفرتوثا[1] ثم نصيبين ثم ماردين ثم الموصل، وفتح أحد حصنيها، ثم سار الى أرزن الروم ففتحها، ودخل الدرب الى بدليس[2] ثم خلاط، فصالحوه وانتهى الى أطراف أرمينية، ثم عاد الى الرقّة ومضى الى حمص فمات .

واستعمل عمر عُمَيْرَ بن سعد الأنصاري ففتح رأس عين، وقيل: ان عياضاً هو الذي أرسله، وقيل إن أبا موسى الأشعري

(١) في نسخة ب: كفرنونا.
(٢) في نسخة ب: تفليس.

هو الذي افتتح رأس عين بعد وفاة عياض بولاية عمر . وقيل ان خالداً حضر فتح الجزيرة مع عياض ودخل الحمام بآمد، فاطلى بشيء فيه خمر، وقيل لم يسر خالد تحت لواء أحد بعد أبي عبيدة . ولما فتح عياض سميساط بعث حبيب بن مسلمة الى ملطية ففتحها عنوة ثم انتقض اهلها، فلما ولي معاوية الشام والجزيرة وجّه اليها حبيب بن مسلمة ففتحها عنوة أيضاً ورتّب فيها الجند وولّى عليها لما أدرب عياض بن غنم من الجابية .

فرجع عمر الى المدينة سنة سبع عشرة وعلى حمص ابو عبيدة، وعلى قِنَّسرين خالد بن الوليد من تحته، وعلى دمشق يزيد، وعلى الاردن معاوية، وعلى فلسطين علقمة بن مُجزِز، وعلى السواحل عبدالله بن قيس . وشاع في الناس ما أصاب خالد مع عياض بن غنم من الأموال فانتجعه رجال منهم الأشعث بن قيس، وأجازه بعشرة آلاف، وبلغ ذلك عمر مع ما بلغه من بديل من تدلكه بالخمر، فكتب الى ابي عبيدة ان يقيمه في المجلس وينزع عنه قلنسوته ويعلقه بعمامته، ويسأله من أين أجاز الاشعث؟ فان كان من ماله فقد أسرف فاعزله واضمم اليك عمله .

فاستدعاه أبو عبيدة وجمع الناس وجلس على المنبر، وسأل اليزيد خالداً فلم يجبه، فقام بلال وأنفذ فيه أمر عمر وسأله فقال : من مالي، فاطلقه واعاد قلنسوته وعمامته . ثم استدعاه عمر فقال له من أين هذا الثراء؟ قال من الانفال والسهمان وما زاد على

ستين ألفاً فهو لك، فجمع ماله فزاد عشرين فجعلها في بيت المال، ثم استصلحه . وفي سنة سبع عشرة هذه اعتمر عمر ووسّع في المسجد، وأقام بمكة عشرين ليلة، وهدم على من أبي البيع دورهم لذلك . وكانت العِمارَةُ في رجب وتولّاها مَخْرَمَةُ بن نوفل والأَزْهَرُ ابن عبد عوف، وحُوَيْطِبُ بن عبد العُزّى وسعيد بن يربوع . واستأذنه أهل المياه ان يبنوا المنازل بين مكة والمدينة فأذن لهم على شرط أن ابن السبيل أحق بالظلّ والماء .

غزو فارس من البحرين وعزل العلاء عن البصرة ثم المغيرة وولاية ابي موسى

كان العلاء بن الحضرمي على البحرين أيام أبي بكر، ثم عزله عمر بقدامة بن مظعون ثم أعاده . وكان العلاء يناوىء سعد بن ابي وقّاص ووقع له في قتال أهل الردّة ما وقع . فلما ظفر سعد بالقادسيّة كان اعظم من فعل العلاء، فاراد ان يؤثر في الفرس شيئاً، فندب الناس الى فارس وأجابوه وفرّقهم أجناداً بين الجارود بن المعلى والسوار بن همّام وخليد بن المنذر، وأمّره على جميعهم، وحمله في البحر الى فارس بغير اذن من عمر .

لانه كان ينهى عن ذلك وأبو بكر قبله خوف الغرق . فخرجت الجنود الى اصطخر وبازائهم الهَرْبَذُ في أهل فارس، وحالوا بينهم وبين سفنهم، فخاطبهم خُلَيْدٌ وقال : انما جئتم لمحاربتهم،

والسفن والأرض لمن غلب . ثم ناهدوهم واقتتلوا بطاوس وقتل الجارود والسوار . وأمر خالد أصحابه أن يقاتلوا رجّالة . وقتل من الفرس مقتله عظيمة .

ثم خرج المسلمون نحو البصرة، وأخذ الفرس عليهم الطرق، فعسكروا وامتنعوا، وبلغ ذلك عمر فارسل إلى عتبة بالبصرة يأمره بانفاذ جيش كثيف الى المسلمين بفارس قبل أن يهلكوا. وأمر العلاء بالانصراف عن البحرين الى سعد بن معه، فارسل عتبة الجنود اثني عشر ألف مقاتل، فيهم عاصمُ بن عمرو وعَرْفَجَةُ ابن هَرْثَمَةَ والأحنف بن قيس وأمثالهم، وعليهم أبو سَبْرَةَ بن أبي رهم من عامر بن لؤي، فساحل بالناس حتى لَقِيَ خُلَيْداً والعسكر. وقد تداعى إليهم بعد وقعة طاوس أهل فارس من كل ناحية، فاقتتلوا وانهزم المشركون وقتلوا . ثم انكفأوا بما أصابوا من الغنائم، واستحثهم عتبة بالرجوع، فرجعوا الى البصرة . ثم استأذن عتبة في الحج فأذن له عمر فحجّ، ثم استعفاه فأبي وعزم عليه ليرجعنّ الى عمله . فانصرف ومات ببطن نخلة على رأس ثلاث سنين من مفارقة سعد . واستخلف على عمله أبا سبرة بن أبي رهم فاقرّه عمر بقية السنة .

ثم استعمل المغيرة بن شعبة عليها، وكان بينه وبين ابي بكر منافرة، وكانا متجاورين في مَشْرَبَتَيْنِ ينفذ البصر من احداهما الى الأخرى من كوتين، فزعموا ان ابا بكرة وزياد بن ابيه

وهو اخوه لأمه[1] وآخرين معهما عاينوا المغيرة على حالة قذفوه بها، ادعوا الشهادة، ومنعه ابو بكرة من الصلاة. وبعثوا الى عمر فبعث ابا موسى اميراً في تسعة وعشرين من الصحابة فيهم انس بن مالك وعمران بن حصين وهشام بن عامر، ومعهم كتاب عمر الى المغيرة: اما بعد فقد بلغني عنك نبأ عظيم، وبعثت ابا موسى اميراً فسلّم اليه ما في يدك والعجل. ولما استحضرهم عمر اختلفوا في الشهادة ولم يستكملها زياد، فجلد الثلاثة. ثم عزل ابا موسى عن البصرة بعمر بن سراقة، ثم صرفه الى الكوفة وردّ ابا موسى فاقام عليه.

بناء البصرة والكوفة

وفي هذه السنة وهي أربع عشرة بلغ عمر أن العرب تقرّ بل تغيرت ألوانهم ورأى ذلك في وجوه وفودهم، فسألهم فقالوا وخومة البلاذ غيّرتنا، وقيل إن حذيفة وكان مع سعد كتب بذلك الى عمر. فسأل عمر سعداً فقال غيرتهم وخومة البلاد، والعرب لا يوافقها من البلاد إلّا ما وافق إبلها. فكتب اليه أن يبعث سلمان وحذيفة شرقيّه فلم يرضيا إلا بقعة الكوفة فصلّيا فيها ودعيا أن تكون منزل ثبات. ورجع الى سعد فكتب الى القعقاع وعبدالله بن المعتمر أن يستخلفا على جندهما ويحضرا.

---

(١) في نسخة ب: أخوه لأبيه.

وارتحل من المدائن فنزل الكوفة في المحرّم سنة سبع عشرة لسنتين وشهرين من وقعة القادسية، ولثلاث سنين وثمانية اشهر من ولاية عمر. وكتب الى عمر اني قد نزلت الكوفة بين الحيرة والفرات بريًّا بحريًّا بين الجلاء والنصر، وخيّرتُ الناس بينها وبين المدائن، ومن أعجبته تلك جعلته فيها مَسلَحَةً. فلما استقرّوا بالكوفة ثاب اليهم ما فقدوه من حالهم. ونزل اهل البصرة أيضاً منازلهم في وقت واحد مع أهل الكوفة بعد ثلاث مرّات نزلوها من قبل، واستأذنوا جميعاً في بنيان القصب، فكتب عمر ان العسكرة أشد لحربهم واذكر لكم، وما أحب أن أخالفكم فابتنوا بالقصب. ثم وقع الحريقُ في القصرين، فاستأذنوا في البناء باللبن فقال: إفعلوا ولا يزيد أحد على ثلاثة بيوت، ولا تطاولوا في البنيان، وإلزموا السنَّة تلزمكم الدولة. وكان على تنزيل الكوفة أبو هياج بن مالك، وعلى تنزيل البصرة ابو المحرب عاصم بن الدلف. وكانت ثغور الكوفة أربعة: حُلوان وعليها القَعْقَاع، وماسَبذان وعليها ضِرارُ بنُ الخطَّاب، وقرقيسيا وعليها عمر بن مالك، والموصل وعليها عبدالله بن المعتمر. ويكون بها خلفاؤهم اذا غابوا.

تاريخ العلامة

ابن خلدون

كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر
في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم
من ذوي السلطان الأكبر
وهو تاريخ وحيد عصره
العلامة عبد الرحمن
ابن خلدون المغربي

المجلد الثاني

من تاريخ العلامة ابن خلدون

القسم الخامس

٤

دار الكتاب اللبناني بيروت



القسم الخامس

المجلد الثاني

من تاريخ العلامة ابن خلدون

فتح الاهواز والسوس بعدها

لما انهزم الهرمزان يوم القادسيّة قصد خوزستان وهي قاعدة الأهواز، فملكها وملك سائر الأهواز. وكان اصله منهم من البيوتات السبعة في فارس وأقام يغير على أهل ميشان ودست ميشان من ثغور البصرة، يأتي اليها من منادر ونهر تيري من ثغور الاهواز. واستمد عتبة بن غزوان سعداً فأمدّه بنعيم بن مقرّن ونعيم بن مسعود. فنزل بين ثغور البصرة وثغور الأهواز. وبعث عتبة بن غزوان سَلمي بن القين وحرملة بن قريضة من بني العَدَوِيَّةِ من حَنظَلَة، فنزل على ثغور البصرة بميسان ودعوا بني العمّ بن مالك، وكانوا ينزلون خراسان. فأهل البلاد يأمنونهم، فاستجابوا وجاء منهم غالب الوائلي وكُلَيب بن وائل الكَلْبِيّ، فلقي سَلمِيّ وحَرمَلَةَ وواعداهما الثورة بمَنادِر ونهرتيري. ونهض سلمي وحرملة يوم الموعد في التعبِيَةِ، وانهض نعيماً والتقوا هم

والهُرمُزان [١] وسلمي على أهل البصرة، ونعيم على أهل الكوفة. وأقبل اليهما المدد من قبل غالب وكليب، وقد ملك مناذر ونهرتيري، فانهزم الهرمزان وقتل المسلمون من أهل فارس مقتلة وانتهوا في اتباعهم إلى شاطىء دجيل وملكوا ما دونها. وعبر الهرمزان جسر سوق الأهواز وصل دجيل بينه وبين المسلمين. ثم طلب الهرمزان الصلح فصالحوه على الأهواز كلها، ما خلا [٢] نهرتيري ومناذر وما غلبوا عليه من سوق الأهواز فانه لا يرد، وبقية المسالح على نهرتيري ومناذر، وفيهما غالب وكليب. ثم وقع بينهما وبين الهرمزان اختلاف في التخم ووافقهما سَلَميّ وحرملة فنقض الهرمزان ومنع ما قبله وكثّف جنوده بالأكراد. وبعث عتبة بن غَزْوان حَرقوص بن زُهَير السعديّ لقتاله، فانهزم وسار إلى رامَ هُرمُز، وفتح حرقوص سوق الأهوازِ ونزل بها واتسعت له البلاد إلى تُسْتَر. ووضع الجزية وكتب بالفتح، وبعث في أثر الهُرمُزان جَزْء بن معاوية، فانتهى الى قرية الشَغْرِ. ثم الى دَوْرَق فملكها. وأقام بالبلاد وعمَّرها، وطلب الهرمزان الصلح على ما بقي من البلاد.

وتزل حرقوص جبل الأهواز، وكان يَزْدَجِرْدُ في خلال ذلك

(١) في نسخة ب: ولقوا الهرمزان.
(٢) في نسخة ب: ما عدا نهر تيري.

يمدّ ويحرّض أهل فارس، حتى اجتمعوا وتعاهدوا مع أهل الأهواز على النصرة . وبلغت الأخبار حرقوصاً وجزءاً وسَلمي وحَرْمَلَة فكتبوا الى عمر؛ فكتب الى سعد أن يبعث جنداً كثيفاً مع النُعمانِ بن مُقَرّن ينزلون منازل الهرمزان . وكتب الى ابي موسى ان يبعث كذلك جنداً كثيفاً مع سعد بن عَدِيّ أخي سُهَيل، ويكون فيهم البَرّاء بن مالكٍ ومجزأةُ بن ثَوْر وعَرْفَجَةُ بن هَرْثَمَةَ وغيرهم. وعلى الجندين أبو سَبْرَةَ بن أبي رَهم . فخرج النعمان بن مقرّن في أهل الكوفة فخلّف حرقوصاً وسلمي وحرملة الى الهرمزان وهو برام هرمز . فلما سمع الهرمزان بمسير النعمان اليه بادره الشدّة ولقيه فانهزم ولحق بتستر، وجاء النعمان الى رام هرمز فنزلها، وجاء أهل البصرة من بعده فلحقهم خبر الواقعة بسوق الأهواز، فساروا حتى أتوا تستر .

ولحقهم النعمان فاجتمعوا على تستر وبها الهرمزان، وأمدّهم عُمَرُ بابي موسى جعله على أهل البصرة، فحاصروهم أشهراً وأكثروا فيهم القتل . وزاحفهم المشركون ثمانين زَحْفاً سِجالًا ، ثم انهزموا في آخرها . واقتحم المسلمون خنادقهم واحاطوا بها ، وضاق عليهم الحصار ، فاستأمن بعضهم من داخل البلد بمكتوب في سهم على أن يَدلّهم على مدخل يدخلون منه ، فانتدب لهم طائفة ، ودخلوا المدينة من مدخل الماء وملكوها ، وقتلوا المقاتلة . وتحصّن الهرمزان بالقلعة فأطافوا بها واستنزلوهم على حكم عمر وأوثقوه ،

واقتسموا الفيء فكان سهم الفارس ثلاثة آلاف، والراجل ألف. وقتل من المسلمين في تلك الليلة البرّاء بن مالك ومجزأة بن ثور قتلهما الهرمزان.

ثم خرج أبو سبرة في أثر المنهزمين ومعه النعمان وأبو موسى، فنزلوا على السوس وسار زِرّ بن عبدالله الفُقَيمي الى جُنديسابور فنزل عليها. وكتب عمر الى ابي موسى الأشعري بالرجوع الى البصرة وأمّر مكانه الاسود بن ربيعة من بني ربيعة بن مالك صحابي يسمّى المُقترِب. وأرسل ابو سبرة بالهرمزان الى عمر في وفد منهم أنس بن مالك والأحنف بن قيس، فقدموا به المدينة وألبسوه كسوته من الديباج المُذهّب، وتاجه مرصعاً بالياقوت وحليته ليراه المسلمون.

فلما رآه عمر أمر بنزع ما عليه، وقال يا هرمزان: كيف رأيت أمر الله وعاقبة الغدر؟ فقال يا عمر: إنا واياكم في الجاهلية كان الله قد خلى بيننا وبينكم فغلبناكم. فلما صار الآن معكم غلبتمونا. قال فما حجّتك وما عذرك في الانتقاض مرّة بعد أخرى؟ قال أخاف أن تقتلني قبل أن أخبرك! قال لا تخف ذلك. ثم استقى فأتي بالماء فقال: أخاف أن أقتل وأنا أشرب، قال لا بأس عليك حتى تشربه. فالقاه من يده وقال: لا حاجة لي في الماء وقد أمنتني. قال كذبت.! قال أنس: صدق يا امير المؤمنين فقد قلت له لا بأس عليك حتى تخبرني وحتى تشربه

وصدّق الناس . فأقبل عمر على الهرمزان وقال خدعتني ؟ لا والله الا أن تسلم ! فأسلم . ففرض[1] له في ألفين وأنزله المدينة، واستأذنه الأحنف بن قيس في الانسياح في بلاد فارس وقال : لا يزالون في الانتقاض حتى يهلك ملكهم فأذن له .

ولما لحق أبو سَبْرَةَ بالسوس[2] ونزل عليها وبها شَهْرَيَارُ أخو الهرْمُزانِ، فأحاط بها ومعه المُقْتَرِبُ بن ربيعة في جند البصرة، فسأل أهل السوس الصلح فأجابوهم . وسار النعمان بن مقرّن باهل الكوفة الى نَهَاوَنْد وقد اجتمع بها الأعاجم. وسار المقترب الى زِرّ بن عبدالله على جنديسابور فحاصروها مدّة، ثم رمى السهم بالأمان من خارج على الجزية فخرجوا لذلك . فناكرهم المسلمون فاذا عبد فعل ذلك اصله منهم، فامضى عمر أمانه . وقيل في فتح السوس : ان يزدجردَ سار بعد وقعة جلولاء فنزل اصْطَخْر ومعه سِياه في سبعين الفاً من فارس، فبعثه الى السوس ونزل الكلبانيّة، وبعث الهرمزان الى تستر ثم كانت واقعة ابي موسى، فحاصرهم فصالحوه على الجزية وسار الى هرمز ثم الى تستر ونزل سياه بين رامهرمز وتستر .

وحمل اصحابه على صلح ابي موسى، ثم على الاسلام على ان

---

(١) كذا في الأصل في نسخة طبع بولاق وفي نسخة باريس الخطيّة وفي الكامل لابن الأثير ج ٢ ص ٣٨٥ : ففرض له في الفين.

(٢) في نسخة ب : بالفرس.

يقاتلوا الأعاجم ولا يقتلوا العرب، ويمنعهم هو من العرب ويلحق باشرف العطاء، فاعطاهم ذلك عمر [١] وأسلموا وشهدوا فتح تستر ومضى سياه الى بعض الحصون في زيّ العجم فغدرهم وفتحه للمسلمين وكان فتح تستر وما بعدها سنة سبع عشرة وقيل ست عشرة .

مسير المسلمين الى الجهات للفتح

لما جاء الاحنف بن قيس بالهرمزان الى عمر قال له : يا أمير المؤمنين ! لا يزال أهل فارس يقاتلوننا ما دام ملكهم فيهم ، فلو أذنت بالانسياح في بلادهم فأزلنا [٢] ملكهم، انقطع رجاؤهم . فأمر أبا موسى أن يسير من البصرة غير بعيد حتى بل ويقيم حتى يأتي أمره. ثم بعث اليه مع سُهَيل بن عَدِيّ بألوية الامراء الذين يسيرون في بلاد العجم، لواء خراسان للاحنف بن قيس ، ولواء اردشيرخرت وسابور لمُجاشِع بن مسعود السَلَمِيّ، ولواء اصطخر لعثمان بن أبي العاص الثَّقَفِيّ، ولواء فسا ودارابْجُرْد لسارِيَةَ بن زنيم الكِناني، ولواء كرمان لسهيل بن عَدِيّ، ولواء سجستان لعاصم ابن عمرو، ولواء مكران للحكم بن عمير التغلبي . ولم يتهيّأ مسيرهم الى سنة ثماني عشرة . ويقال سنة احدى وعشرين او اثنين وعشرين . ثم ساروا في بلاد العجم وفتحوا كما يذكر بعد .

---

(١) في نسخة ب : فعقد لهم ذلك عمر وأسلموا.
(٢) في نسخة ب : فأزلت ملكهم.

مجاعة عام الرماده وطاعون عمواس

وأصاب الناس سنة ثماني عشرة قحطٌ شديد وجدب أعقب جوعاً بَعُدَ العهد بمثله مع طاعون أتى على جميع الناس، وحلف عمر لا يذوق السمن واللبن حتى يحيا الناس، وكتب الى الأمراء بالأمصار يستمدُّهم لأهل المدينة . فجاء ابو عبيدة باربعة آلاف راحلة من الطعام، واصلح عمرو بن العاص بحر القُلْزُمِ وأرسل فيه الطعام من مصر فرخص السعر، واستقى عمر بالناس فخطب الناس وصلّى . ثم قام وأخذ بيد العباس وتوسّل به ثم بكى وجثا على ركبتيه يدعو الى أن مُطِرَ الناس . وهلك بالطاعون أبو عُبَيْدَةَ ومعاذُ ويزيدُ بن ابي سفيان والحرثُ بن هشام وسهيلُ ابن عمرو وابنهُ عتبة في آخرين أمثالهم . وتفانى الناس بالشام . وكتب عمر إلى أبي عبيدة ان يرتفع بالمسلمين من الأرض التي هو بها، فدعا أبو موسى يرتاد له منزلاً ومات قبل رحيله .

وسار عمر بالناس الى الشام وانتهى الى سَرْغٍ، ولقيه أمَرَاء الأجنادِ وأخبروه بشدّة الوباء . واختلفت الناس عليه في قدد معه، فقيل اشارة العود . ورجع وأخبر عبد الرحمن بن عوف بما سمع من رسول الله صلى الله عليه وسلم في أمر الوباء فقال : اذا سمعتم به بارض فلا تقدموا عليه، واذا وقع بارض وانتم فيها فلا تخرجوا فراراً منه . أخرجاه في الصحيحين .

ولما هلك يزيد وولّى عمر على دمشق مكانه أخاه معاوية بن ابي سفيان، وعلى الارض شرَحبيلُ بن حَسَنَة. ولما فحش أثر الطاعون بالشام اجمع عمر المسير اليه لِيُقَسِّم مواريث المسلمين ويتطوّف على الثُغور، ففعل ذلك ورجع واستقضى في سنة ثماني عشرة على الكوفة شريح بن الحرث الكنديّ وعلى البصرة كعب ابن سوار الأزْديّ.

وحجّ في هذه السنة، ويقال ان فتح جلولاء والمدائن والجزيرة كان في هذه السنة وقد تقدم ذكر ذلك. وكذلك فتح قيسارية على يد معاوية وقيل سنة عشرين.

فتح مصر

لما فتح عمر بيت المقدس استأذنه عمرو بن العاص في فتح مصر فأغزاه، ثم أتبعه الزُبَيْرَ بن العَوّام فساروا سنة عشرين او احدى او اثنين او خمس. فاقتحموا باب إليون ثم ساروا في قرى الريف الى مصر، ولقيهم الجاثليق ابو مريم والاسقف قد بعثه المُقَوْقَس. وجاء ابو مريم الى عمرو فعرض الجزية والمنع، وأخبره بما اوصى به رسول الله صلى الله عليه وسلم في شأنهم. وأجّلهم ثلاثاً، ورجعوا الى المقوقس وأرْطبون أمير الروم، فابى من ذلك أرطبون وعزم على الحرب وبيَّت المسلمين فهزموه وجنده. ونازلوا

عين شمس وهي المَطَرِيّةِ، وبعثوا لحصار الفورفا أبرهة بن الصبّاح، ولحصار الاسكَنْدَرِيّةِ عوف بن مالك، فراسلهم أهل البلاد وانتظروا عين شمس. فحاصرهم عمرو والزُبَيْرُ مدة حتى صالحوهما على الجزية وأجروا ما أخذوا قبل ذلك عَنوَةً، فجرى الصلح وشرطوا ردّ السبايا، فامضاه لهم عُمَر بن الخطّاب على أن يُجيزَ السبايا في الاسلام وكتب العهد بينهم ونصّه :

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا ما أعطى عمرو بن العاص أهل مصر من الأمان على أنفسهم ودمهم وأموالهم وكافّتِهِمْ وصاعهم[1] ومدّهم وعَدّهم لا يزيد شيء في ذلك ولا ينقضي. ولا يساكنهم النوب. وعلى أهل مصر أن يعطوا الجزية اذا اجتمعوا على هذا الصلح وانتهت زيادة نهرهم خمسين ألف ألف وعليه ما جنى نصرتهم، فان أبى أحد منهم أن يجيب رفع عنهم من الجزية بعددهم، وذمتنا ممّن أبى بريّة. وان نقص نهرهم من غايته[2] اذا انتهى رفع عنهم بقدر ذلك، ومن دخل في صُلحِهِمْ من الروم والنوبِ فله ما لهم وعليه ما عليهم، ومن أبى واختار الذهاب فهو آمن حتى يبلغ مَأمَنَه ويخرج من سلطاننا، وعليهم ما عليهم اثلاثاً في كل ثلث

(١) في نسخة ب: وصلبهم.
(٢) في نسخة ب: من عادته.

جباية ثلث ما عليهم، على ما في هذا الكتاب عهد الله وذمته وذمة رسوله وذمة الخليفة أمير المؤمنين وذمم المؤمنين. وعلى النوبة الذين استجابوا ان يعينوا بكذا وكذا رأساً وكذا وكذا فرساً، على أن لا يغزوا ولا يمنعوا من تجارة صادرة ولا واردة. شهد الزبير وعبدالله ومحمد ابناه. وكتب وردان وحضر. هذا نص الكتاب منقولاً من الطبري.

قال: فدخل في ذلك أهل مصر كلهم وقبلوا الصلح، ونزل المسلمون الفسطاط. وجاء ابو مريم الجاثليق يطلب السبايا التي بعد المعركة في ايام الاجل، فابى عمرو من ردّها وقال: أغاروا وقاتلوا وقسمتهم في الناس، وبلغ الخبر الى عمر فقال: من يقاتل في أيام الاجل فله الامان. وبعث فيهم الى الدقاق فردّهم عليهم. ثم سار عمرو الى الاسكندرية، فاجتمع له من بينها وبين الفسطاط من الروم والقبط، فهزمهم واثخن فيهم. ونازل الاسكندرية وبها المقوقس، وسأله الهدنة الى مدة فلم يُجِبْهُ، وحاصرهم ثلاثة اشهر ثم فتحها عَنوَةً وغنم ما فيها وجعلهم ذمة. وقيل ان المقوقس صالح عمرًا على اثني عشر الف دينار على ان يخرج من يخرج ويقيم من يقيم باختيارهم وجعل عمرو فيها جنداً. ولما تم فتح مصر والاسكندرية اغزى عمرو العساكر الى النوبة فلم يظفروا، فلما كان ايام عثمان وعبدالله بن ابي سرح على مصر

صالحهم على عدة رؤوس في كل سنة ويهدي اليهم المسلمون طعاماً وكسوة فاستمرّ ذلك فيما بعد .

وقعة نهاوند وما كان بعدها من الفتوحات

لما فتحت الاهواز ويزدجرد بمرو كاتبوه واستنجدوه، فبعث الى الملوك ما بين البابِ والسِندِ وخُراسان وحُلْوان يَستَمِدُّهُمْ، فاجابوه واجتمعوا الى نَهَاوَند وعلى الفرس الفَيْرَزانُ في مئة وخمسين الف مقاتل . وكان سعد بن أبي وقّاص قد أَلَبَ اقوام عليه من عسكره وشكوه الى عمر، فبعث محمد بن مَسْلَمَةَ في الكشف عن أمره فلم يسمع الّا خيراً، سوى مقالة من بني عبس . فاستقدمه محمد الى عمرو وخبّره الخبر فقال : كيف تصلّي يا سعد ؟ قال أطيل [1] الأولتين وأحذف الاخيرتين . قال هكذا [2] الظنّ بك . ثم قال : من خليفتك على الكوفة ؟ قال عبدالله بن عبدالله بن عتبان، فأقرّه وشافهه بخبر الأعاجم . وأشار بالانسياح ليكون أهيب على العدو .

فجمع عمر الناس واستشارهم بالمسير بنفسه . فمن مُوافِقٍ ومُخالِفٍ الى أن اتفق رأيهم على أن يبعث الجنود ويقيم ردءاً لهم . وكان ذلك رأي عليّ وعثمان وطلحة وغيرهم . فولّى على

---

(١) في نسخة ب : أصلي الأولتين.
(٢) في نسخة ب : هو.

حربهم النُعمانَ بن مُقرّن المُزني وكان على جند الكوفة بعد انصرافهم من حصار السوس، وأمره ان يصير الى ماء لتجتمع الجيوش عليه، ويسير بهم الى الفيرزان ومن معه. وكتب الى عبدالله بن عبدالله بن عتبان أن يستنفر الناس من النعمان، فبعثهم مع حذيفة بن اليمان ومعه نعيم بن مُقرّن، وكتب الى المقترب وحَرْمَلَةَ وزِرّ الذين كانوا بالاهواز وفتحوا السوس وجنديسابور أن يقيموا بتخوم أصبهان وفارس ويقطعوا المدد على أهل نَهاوَند.

واجتمع الناس على النعمان وفيهم حُذَيفَةُ وجرير والمُغيرَةُ وابن عُمَرَ وأمثالهم. وارسل النُعمان طُلَيحَةَ وعمرو بن مَعد يكرب طليعةً، ورجع عمرو من طريقه. وانتهى طليحة الى نهاوند ونقض الطرق فلم يلق بها أحداً وأخبر الناس، فرحل النعمان وعبى المسلمين ثلاثين ألفاً. وجعل على مقدّمته نعيم بن مُقرّن، وعلى مُجَنَّبَتَيْهِ حُذَيفَةَ بن اليمان وسُوَيدَ بن مُقرّن وعلى المجرّدة القعقاع، وعلى الساقة مجاشع بن مسعود. وعبّى الفيرزان كتائبه وعلى مجنبتيه زَرْدَقُ وبُهْمَنُ جادَوَيْهِ مكان ذي الحاجب، وقد توافى اليهم بنهاوند كل من غاب من القادسية من ابطالهم. فلما تراءى الجمعان كبّر المسلمون، وحطت العرب الاثقال وتبادر أشراف الكوفة الى فِسطاط النعمان فبنوه.

حذيفة بن اليمان، والمغيرة بن شعبه وعقبة بن عمرو وجرير بن

عبد الله وحنظلة الكاتب وبشير بن الخصاصية والاشعث بن قيس ووائل بن حجر وسعيد بن قيس الهمداني . ثم تزاحفوا للقتال يوم الاربعاء والخميس والحرب سجال . ثم احجروهم في خنادقهم يوم الجمعة وحاصروهم أياماً ، وسئم المسلمون اعتصامهم بالخنادق وتشاوروا وأشار طليحة باستخراجهم للمناجزة بالاستطراد ، فناشبهم القعقاع فبرزوا اليه كأنهم حبال حديد ، قد تواثقوا أن لا يفروا ، وألقوا حسك الحديد خلفهم لئلا ينهزموا .

فلما برزوا استطرد لهم حتى فارقوا الخنادق وقد ثبت لهم المسلمون ونزل الصبر ، ثم وقف النعمان على الكتائب وحرّض المسلمين ودعا لنفسه بالشهادة . وقال اذا كبّرت الثالثة فاحملوا ، ثم كبّر وحمل عند الزوال وتجاول الناس ساعة ، وركدت الحرب ثم انفضّ الاعاجم وانهزموا . وقاتلوا ما بين الظهر والعتمة حتى سالت أرض المعركة دماً تزلق فيه المشاة ، حتى زلق فيه النعمان وصرع . وقيل بل أصابه سهم فسجّاه أخوه نعيم بثوب ، وتناول الراية حذيفة بعهده ، وتواصوا بكتمان موته . وذهب الاعاجم ليلاً ، وعميت عليهم المذاهب ، وعقرهم حسك الحديد ، ووقعوا في اللهيب الذي أعدوه في عسكرهم . فمات منهم اكثر من مئة الف ، منها نحو ثلاثين الفاً في المعركة ، وهرب الفَيرَزانُ بعد

ان صرع [1] الى همذان، واتبعه نعيم بن مُقَرِّن فادركه بالثَّنِيَّةِ دونها وقد سدَّتها الاحمال، وترَّجل وصعد في الجبل. وكان نعيم قد قدَّم القعقاع أمامه، فاعترضه وقتله المسلمون على الثنية، ودخل الفلّ هَمَذَان وبها خَسْرَ شنوم فنزل المسلمون عليها مع نعيم والقعقاع.

ودخل المسلمون نهاوند يوم الوقعة وغنموا ما فيها، وجمعوه الى صاحب الأقباض السائب بن الأقرع. وولى على الجند حذيفة بعهد النعمان اليه. ثم جاء الهَرِبَذُ صاحب بيت النار الى حُذَيْفَةَ فأمّنه وأخرج له سُفَيْنَتَيْنِ مملوءتين جوهراً نفيساً كانا من دخائل كسرى أودعهما عنده البجرجان، فنقلهما المسلمون.

وبعث الخمس من السائب الى عمر، وأخبره بالواقعة وبالفتح ومن استشهد فبكى. وبالصفتين فقال ضمهما [2] في بيت المال والحق بجندك. قال السائب: ثم لحقني رسوله بالكوفة فردّني اليه فلما رآني قال: مالي وللسائب ما هو إلا أن نمت الليلة التي خرجت فيها، فباتت الملائكة تسحبني الى السَّفَطَيْن يشتعلان ناراً يتواعداني بالكيّ ان لم اقسمهما، فخذهما عني وبعهما في ارزاق

---

(١) كذا في الأصل وفي الكامل لابن الأثير ج ٣ ص ٦: ونجا الفيرزان من بين الصرعى فهرب نحو همذان.

(٢) لعلها صنهما.

المسلمين . فبعثهما بالكوفة من عمرو بن حُرَيْث المخزومي بالفي ألف درهم وباعهما عمرو بارض الأعاجم بضعفهما . فكان له بالكوفة مال .

وكان سهم الفارس بنهاوند ستة آلاف والراجل ألفين، ولم يكن للفرس بعدها اجتماع . وكان أبو لؤلؤة قاتل عمر من أهل نهاوند ، حصل في أسر الروم وأسره الفرس منهم، فكان إذا لَقِيَ سُبِيّاً نهاوند بالمدينة يبكي ويقول : أكل عمر كبدي . وكان ابو موسى الأشعري قد حضر نهاوند على أهل البصرة، فلما انصرف مرّ بالدِّينورِ، فحاصروها خمسة أيام ثم صالحوه على الجزية . وصار الى اهل شيروان [1] فصالحوه كذلك . وبعث السائب بن الأقرع الى الصَّيْمَرَةِ [2] ففتحها صلحاً .

ولما اشتد الحصار باهل همذان بعث خسرشنوم الى نعيم والقعقاع في الصلح على قبول الجزية فأجابوه الى ذلك . ثم اقتدى أهل الماهين، وهم الملوك الذين جاءوا لنصرة يزدجرد بأهل همذان، وبعثوا إلى حذيفة فصالحوه . وأمر عمر بالانسياح في بلاد الأعاجم، وعزل عبدالله بن عبدالله بن عتبان عن الكوفة، وبعثه في وجه آخر . وولى مكانه زياد بن حنظلة حليف لبني عبد قُصَيّ، واستعفى فاعفاه . وولىّ عمّارَ بن ياسر واستدعى بن مسعود من حمص فبعثه معه

---

(١) في نسخة ب : سيروان .

(٢) في نسخة ب : العميرة ..

معلّماً لأهل الكوفة، وأمدّهم بأبي موسى، وأمدّ أهل البصرة مكانه بعبدالله بن عبدالله. ثم بعثه الى أصبهان مكان حذيفة وولّى على البصرة عمرو بن سراقة.

ثم انتقض أهل همذان، فبعث الى نعيم بن مقرّن يُحاصرهم وصار بعد فتحها الى خراسان. وبعث عتبة بن فرقد وبكر بن عبدالله الى أذْرَبيجان فدخل أحدهما من حُلوان، والآخر من الموصل ولما فصَل عبدالله بن عبدالله بن عتبان الى اصبهان، وكان من الصحابة من وجوه الأنصار حليف بني الحبلى فأمدّه بأبي موسى. وجعل على مَجْنَبَتَيهِ عبدالله بن ورقاء الرياحِيّ وعصمةَ بن عبدالله، فسار إلى نهاوند. ورجع حُذَيْفَةُ الى عمله على ما سقت دجلة. فسار عبدالله بمن معه ومن تبعه من عند النعمان نحو أصبهان، وعلى جندها الاسبيدان وعلى مقدمته شهريار بن جادَوَيْه في جمع عظيم برستاق اصبهان فاقتتلوا، وبارز عبدالله بن ورقاء شهريار فقتله. وانهزم أهل اصبهان وصالحهم الاسبيدان على ذلك الرستاق.

ثم ساروا الى اصبهان ــ وتسمى جي [1] ــ وملكها الفادوسفان [2] فصالحهم عل الجزية والخيار بين المقام والذهاب وقال: ولكم ارض من ذهب. وقدم ابو موسى على عبدالله من ناحية الأهواز،

---

(١) في نسخة ب: وتسمّى جرّ.
(٢) في نسخة ب: الفادوسوان.

فدخل معه أصبهان، وكتبوا الى عمر بالفتح . فكتب الى عبدالله أن يسيروا الى سهيل بن عَدِيّ لقتال كرمان فاستخلف على اصبهان السائب بن الأقرع، ولحق بسهيل قبل أن يصل كرمان. وقد قيل: إن النعمان بن مُقَرِّن حضر فتح أصبهان ارسله اليها عمر من المدينة واستجاش له أهل الكوفة، فقتل في حرب اصبهان. والصحيح أن النعمان قتل بنهاوند وافتتح ابو موسى قمّ وقاشان. ثم ولىّ عمر على الكوفة سنة احدى وعشرين المغيرة بن شعبة وعزل عَمَّاراً .

فتح همذان

كان أهل همذان قد صالح عليهم خشرشنوم القمقاع ونعيماً وضمنها، ثم انتقض فكتب عمر الى نعيم أن يقصدها، فودّع حذيفة ورجع اليها من الطريق على تعبيته. فاستولى على بلادها اجمع حتى صالحوه على الجزية. وقيل ان فتحها كان سنة اربع وعشرين. فبينما نعيم يجول في نواحي هَمَذان إذ جاءه الخبر بخروج الدَّيلَم وأهل الريّ واسفنديار أخورستم بأهل اذربيجان. فاستخلف نعيم على همذان يزيد بن قيس الهمذاني، وسار اليهم فاقتتلوا، وانهزم الفرس وكانت واقعتها مثل نهاوند واعظم . وكتبوا إلى عمر بالفتح فأمر نعيماً بقصد الريّ والمقام بها بعد فتحها .

وقيل ان المغيرة بن شعبة ارسل من الكوفة جرير بن عبدالله

الى همذان ففتحها صلحاً وغلب على أرضها، وقيل تولّاها بنفسه وجرير على مقدّمته. ولما فتح جرير همذان بعث البرّاء بن عازِب الى قَزْوَيْن ففتح ما قبلها وسار اليها، فاستنجدوا بالديلم فوعدوهم. ثم جاء البرّاء في المسلمين فخرجوا لقتالهم والديلم وقوف بأعلى الجبل ينظرون، فيئس أهل قزوين منهم وصالحوا البراء على صلح أبهر قبلها. ثم غزا البراء الديلم وجيلان[1].

فتح الري

ولما انصرف نعيم من واقعته سار إلى الريّ، وخرج اليه ابو الفرخان من أهلها في الصلح، وأبى ذلك ملكها سِياوَخْش بن مَهْرَان ابن بَهْرَام جوبين واستمدّ أهل دِنْبَاوَنْد[2] وطَبَرَسْتَان وقَوْمِس[3] وجرجان فأمَرُوه[4] والتقوا مع نعيم فشغلوا به عن المدينة. وقد كان خلفهم أبو فرخان. ودخل المدينة من الليل ومعه المنذر بن عمرو وأخو نعيم، فلم يشعروا وهم مواقفون لنعيم إلّا بالتكبير من ورائهم فانهزموا وقتلوا وأفاء الله على المسلمين بالريّ مثلما كان بالمدائن. وصالحه ابو الفرخان الزبيني[5] على البلاد فلم يزل

---

(١) في نسخة ب: ومرقان التيبر والطيلسان.
(٢) في نسخة ب: ديناوند.
(٣) في نسخة ب: وقوقس.
(٤) في نسخة ب: فأوفدوه.
(٥) في نسخة ب: المرسي.

شرفهم في عَقِبِهِ . وأخرب نعيماً مدينتهم العتيقة وأمر ببناء أخرى . وكتب الى عمر بالفتح، وصالحه أهل دنباوند على الجزية فقبل منهم .

ولما بعث بالأخماس الى عمر كتب إليه بارسال أخيه سُوَيْد الى قومس ومعه هند بن عمرو الجملي، فسار فلم يقم له أحد، وأخذها سلماً وعسكر بها . وكاتبه الفل الذين بطبرستان وبالمفاوز فصالحوه على الجزية، ثم سار الى جرجان وعسكر منها ببسطام، وصالحه ملكها على الجزية، وتلقاه مرزبان صول قبل جرجان فكان معه حتى جبل خراج . وأراه مروجها وسدَّها، وقيل كان فتحها سنة ثلاثين أيام عثمان . ثم ارسل سويد الى الأَصْبَهْبَذِ صاحب طَبَرَسْتان على الموادعة فقبل وعقد له بذلك .

فتح اذربيجان

ولما افتتح نعيم الريّ أمره عمر أن يبعث سِماك بن خرشة الأنصاريّ الى أذربيجان مُمِدًّا لبكر بن عبد الله . وكان بكر ابن عبد الله عند ما سار الى اذربيجان لقي بالجبال اسفِنْديار بن فَرُّخزاد مهزوماً من واقعة نعيم معهم ابو حرود دون همذان وهو أخو رستم فهزمه بكير وأسره . فقال له اسكنّي عندك، فاصالح لك على البلاد وإلّا فرّوا الى الجبال وتركوها . وتحصّن من تحصّن الى يوم ما، فأمسكه وسارت البلاد صُلحاً إلّا الحصون . وقدم

عليه سماك وهو في مثل ذلك، وقد افتتح ما يليه وافتتح عُتْبَة ابن فرقد ما يليه.

وكتب بكير الى عمر يستأذنه في التقدّم فاذن له أن يتقدّم نحو الباب، وأن يستخلف على ما افتتح، فاستخلف عتبة بن فرقد وجمع له عمر اذربيجان كلها. فولّى عتبة سماك بن خرشة [1] على ما افتتحه بكير. وكان بهرام بن الفرّخزاد قصد طريق عتبة وأقام به في عسكره مقتصداً [2] بل معترضاً له. فلقيه عتبة وهزمه، وبلغ خبره الى الاسفنديار وهو أسير عند بكير، فصالحه واتبعه أهل أذربيجان كلهم. وكتب بكير وعتبة بذلك الى عمر، وبعثوا بالاخماس، فكتب عمر لاهل اذربيجان كتاب الصلح. ثم غزا عتبة بن فرقد شهرزور والصامغان ففتحهما بعد قتال على الجزية والخراج، وقتل خلقاً من الأكراد، وكتب الى عمر ان فتوحي بلغت اذربيجان فولّاه إيّاها، وولى هَرْثَمَةَ بن عَرْفَجَةَ الموصل.

فتح الموصل - الباب

ولما افتتح أمر عمر بكير بن عبدالله بغزو الباب والتقدم اليها، بعث سراقة بن عمرو على حربها، فسار من البصرة، وجعل على مقدّمته عبد الرحمن بن ربيعة وعلى احدى مُجَنِّبَتَيْهِ ابن أَسِيد

(١) في نسخة ب: ابن خرثمة.
(٢) في نسخة ب: معتصر.

الغِفاريّ، وعلى الأخرى بكير بن عبدالله المتقدم . وعلى المَقَاسِمِ سلمان بن ربيعة الباهِليّ، وردّ أبا موسى الاشعري الى البصرة مكان سراقة . ثم أمدّ سراقة بحبيب بن مسلمة من الجزيرة وجعل مكانه زياد بن حنظلة، وسار سُرَاقَةُ من أَذْرَبيجان. فلما وصل عبد الرحمن بن ربيعة في مُقَدّمَتِهِ على الباب، والمَلِكُ بها يومئذ من وُلْدِ شَهْرَيَار الذي افسد بني اسرائيل وأغزى الشام منهم . فكاتبه منهم شهريار واستأمنه على أن يأتي، فحضر وطلب الصلح والموادعة على أن تكون جزيته النصر والطاعة للمسلمين . قال : ولا تسومون الجزية فتوهنونا لعدوّكم فسيّره عبد الرحمن الى سراقة فقبل منه وقال : لا بدّ من الجزية على من يقيم ولا يحارب العدوّ، فأجابوا وكتبوا إلى عمر فاجاز ذلك .

فتح موقان وجبال ارمينية

ولما فرغ سراقة من الباب بعث[1] أمراء الى ما يليه من الجبال المحيطة بارمينية، فأرسل بكير بن عبدالله الى موقان، وحبيب بن مسلمة الى تفليس، وحذيفة بن اليمان الى جبال اللات، وسلمان بن ربيعة الى الوجه الآخر . وكتب بالخبر الى عمر فلم يرج تمام ذلك لأنه فرج عظيم . ثم بلغه موت سراقة واستخلف

(١) في نسخة ب : ولما فرغ من الباب بعث سراقة .

عبد الرحمن بن ربيعة، فأقرّه عمر علي فرج الباب، وأمره بغزو الترك ولم يفتح أحد من اولئك الأمراء إلّا بكير بن عبدالله فانه فتح موقان، ثم تراجعوا على الجزية ديناراً عن كل حالم .

غزو الترك

ولما أمر عبد الرحمن بن ربيعة بغزو الترك سار حتى جاء الباب، وسار معه شهريار فغزا بَلَنْجَر، وهم قوم من الترك ففرّوا منه وتحصّنوا وبلغت خيله على مائتي فرسخ من بلنجر . وعاد بالظفر والغنائم، ولم يزل يردّد الغزو فيهم الى أيام عثمان، فتذامر الترك وكانوا يعتقدون ان المسلمين لا يقتلون لان الملائكة معهم تمنعهم، فاصابوا في هذه الغزاة رجلاً من المسلمين على غِرّةٍ فقتلوه وتجاسروا، وقاتل عبد الرحمن فقتل وانكشف اصحابه، وأخذ الراية أخوه سلمان . فخرج بالناس ومعه ابو هريرة الدوسي، فسلكوا على جيلان الى جرجان .

فتح خراسان

ولما عقدت الألوية للأمراء للانسياح في بلاد فارس، كان الأحنفُ بن قَيْسٍ منهم بخراسان . وقد تقدم أن يزدجرد سار بعد جلولاء الى الريّ وبها أبان جَادَوَيْه من مرازبته فأكرهه على خاتمه . وكتب الضَحّاك بما اقترح من ذخائر يزدجرد وختم

عليها وبعثها الى سعد فردّها عليه على حكم الصلح الذي عُقِدَ له . ثم سار يزدجرد والناس معه الى أصبهان ثم الى كرمان، ثم رجع الى مرو من خراسان فنزلها، وأمن من العرب. وكاتب الهرمزان وأهل فارس بالأهواز والفيرزان وأهل الجبال فنكثوا[1] جميعاً وهزمهم الله وخذلهم، واذن عمر للمسلمين بالانسياح في بلادهم .

وأمّر الامراء كما قدّمناه وعقد لهم الالوية، فسار الاحنف الى خراسان سنة ثماني عشرة، وقيل اثنين وعشرين . فدخلها من الطَّبَسَيْن[2] وافتتح هراة عنوة، واستخلف عليها صِحار بن فلال[3] العبدي . ثم سار الى مرو الشاهجان، وأرسل الى نيسابور مُطَرِّفَ بن عبدالله بن الشِخّير، والى سَرَخس الحَرْثَ بن حسّان . ودرج يزدجرد من مرو الشاهجان الى مرو الروذ، فملكها الاحنف ولحقه مدد أهل الكوفة هنالك . فسار الى مرو الروذ واستخلف على الشاهجان حارثة بن النعمان الباهلي . وجعل مدد الكوفة في مقدمته، فالتقوا هم ويزدجرد على بلخ فهزموه وعبر النهر فلحقهم الاحنف، وقد فتح الله عليهم ودخل أهل خراسان في الصلح ما بين نيسابور وطخارستان . وولّى على طخارستان ربعي بن عامر

---

(١) في نسخة ب : فنكبوا جميعاً.
(٢) في نسخة ب : الطمسين .
(٣) كذا في الأصل وفي الكامل والطبري .

وعاد الى مرو الروذ فنزلها، وكتب الى عمر بالفتح فكتب اليه ان يقتصر على ما دون النهر .

وكان يزدجرد وهو بمرو الروذ قد استنجد ملوك الامم، وكتب الى ملك الصين والى خاقان ملك الترك، والى ملك الصُغْدِ . فلما عبر يزدجرد النهر منهزماً أنجده خاقان في الترك وأهل فَرْغَانَة والصُغْد . فرجع يزدجرد وخاقان الى خراسان فنزلا بلخ، واجتمع المسلمون الى الاحنف بمرو الروذ، ونزل المشركون عليه . ثم رحل ونزل سفح الجبل في عشرين ألفاً من أهل البصرة وأهل الكوفة وتحصّن العسكران بالخنادق وأقاموا يقاتلون [1] أياماً .

وصحبهم الاحنف ليلة، وقد خرج فارس من الترك يضرب بطبله، ويتلوه اثنان كذلك . ثم يخرج العسكر بعدهم عادة لهم، فقتل الاحنف الاول ثم الثاني ثم الثالث . فلما مرّ بهم خاقان تشاءم وتطيّر ورجع أدراجه، فارتحل وعاد الى بلخ . وبلغ الخبر الى يزدجرد وكان على مرو الشاهجان محاصراً لحارثة بن النعمان ومن معه . فجمع خزائنه واجمع اللحاق بخاقان على بلخ، فمنعه أهل فارس وحملوه على صلح المسلمين والركون اليهم، وانهم اوفى ذمة من الترك فابى من ذلك وقاتلهم فهزموه، واستولوا على الخزائن .

(١) في نسخة ب: يقتتلون.

ولحق بخاقان وعبروا النهر الى فرغانة وأقام يزدجرد ببلد الترك أيام عمر كلها الى ان كفر أهل خراسان أيام عثمان . ثم جاء أهل فارس الى الأحنف ودفعوا اليه الخزائن والأموال وصالحوه واغتبطوا بِمَلَكَةِ المسلمين، وقسم الأحنف الغنائم فأصاب الفارس ما أصابه يوم القادسيَّة . ثم نزل الأحنف بلخ وأنزل أهل الكوفة في كُوَرِها الأربع، ورجع الى مرو الروذ فنزلها وكتب بالفتح الى عمر .

وكان يزدجرد لما عبر النهر لقي رسوله الذي بعثه الى ملك الصين قد ردَّه إليه يسأله ان يعيف له المسلمين الذين فعلوا به هذه الأفاعيل، مع قلّة عددهم . ويسأل عن وفائهم ودعوتهم وطاعة أمرائهم ووقوفهم عند الحدود، ومآكلهم وشرابهم وملابسهم ومراكبهم فكتب اليه بذلك كله . وكتب اليه ملك الصين أن يسالمهم فانهم لا يقوم لهم شيء بما قام نزدبل [1] فأقام يزدجرد بفرغانة بعهد من خاقان .

ولما وصل الخبر الى عُمَرَ خطب الناس وقال : ألا وإنَّ مُلْكَ المجوسيَّةِ قد ذهب، فليسوا يملكون من بلادهم شبراً يضر بمسلم،

(١) كذا بالأصل وفي الكامل لابن الأثيرج ٣ ص ١٩ : وكتب ملك الصين إلى يزدجرد: «إنه لم يمنعني أن أبعث إليك بجند أوله بمرو وآخره بالعين، الجهالة بما يحق علي، ولكن هؤلاء القوم الذين وصف لي رسولك لو يحاولون الجبال لهدّوها ولو خلا لهم سربهم أزالوني ما داموا على ما وصف، فسالمهم وأرض منهم بالمسالمة ولا تهيّجهم ما لم يهيّجوك».

ألا وإن الله قد أورثكم أرضهم وديارهم وأموالهم وابناءهم لينظر كيف تعلمون، فلا تبدّلوا فيستبدل الله بكم غيركم. فاني لا أخاف على هذه الامة إلّا ان تؤتى من قبلكم [١]

فتوح فارس

ولما خرج الأمراء الذين توجهوا الى فارس من البصرة افترقوا وسار كل أمير الى جهته، وبلغ ذلك أهل فارس فافترقوا الى بلدانهم، وكانت تلك هزيمتهم وشتاتهم. وقصد مُجاشعُ بن مسعودٍ من الأمراء سابور وأَرْدَشِيرخَرْت، فاعترضه الفرس دونهما بتُوَّجَ فقتلهم وأثخن فيهم. وافتتح توّج واستباحها وصالحهم على الجزية وأرسل بالفتح والأخماس الى عمر، فكانت واقعة توّج هذه ثانية لواقعة العلاء بن الحضرمي عليهم أيام طاوس. ثم دعوا الى الجزية فرجعوا فأقرّوا بها.

اصطخر ـــ وقصد عثمان بن أبي العاص اصطخر، فزحفوا اليه بجور [٢] فهزمهم وأثخن فيهم وفتح جور واصطخر، ووضع عليهم الجزية وأجابه الهَرْبَذُ إليها، وكان ناس منهم فرّوا فتراجعوا إليها

---

(١) في نسخة ب: أن تؤتوا الأمر قبلكم.

(٢) وفي الكامل لابن الأثير ج ٣ ص ٢٠: وقصد عثمان بن أبي العاص الثقفي لاصطخر، فالتقى هو وأهل اصطخر بجور فاقتتلوا.

وبعث بالفتح والخمس الى عمر . ثم فتح كازرون والنوبَنْدَجان وغلب على ارضها ولحق بــه أبو موسى، فافتتح مدينة شيراز وأرّجان على الجزية والخراج وقصد عثمان جينا ففتحها ولقي الفرس هنالك بناحية جَهْرَمَ فهزمهم وفتحها . ثم نقض شَهْرَكُ في أول خلافة عثمان، فبعث عثمان بن ابي العاص ابنه وأخاه الحكم، وأتته الأمداد من البصرة وعليهم عُبَيْدُ الله بن مَعْمَرٍ وشبل بن معبد، والتقوا بارض فارس فانهزم شهرك، وقتله الحَكَمُ بن ابي العاص وقيل سِوَارُ بن هَمَّامٍ العَبْدِيّ .

وقيل ان ابن شهرك حمل على سوار فقتله . ويقال ان اصطخر كانت سنة ثماني وعشرين وقيل تسع وعشرين . وقيل ان عثمان ابن أبي العاص أرسل أخاه الحَكَم من البحرين الى فارس في ألفين، فسار الى تَوَّج وعلى مُجَنِّبَتَيْهِ الجارود وأبو صُفْرَةَ والدُ المُهَلَّبِ، وكان كسرى ارسل شهرك في الجنود للقائهم، فالتقوا بتوّج وهزمهم الى سابور وقتل شهرك، وحاصروا مدينة سابور حتى صالح عليها ملكها واستعانوا به على قتال اصطخر . ثم مات عمر (رض) وبعث عثمان بن عفّان عبيدالله بن مُعَمَّر مكان عثمان بن أبي العاص، وأقام محاصراً اصطخر، واراد ملك سابور الغدر به . ثم احضر وأصابت عبيدالله حجارة منجنيق فمات بها . ثم فتحوا المدينة فقتلوا بها بشراً كثيراً منهم .

بسا ودارا بجرد ــ وقصد ساريةُ بن زَنيم الكِنَاني من أمراء الأنسياح مدينة بسا [1] ودارا بجرد فحاصرهم. ثم استجاشوا بأكراد فارس واقتتلوا بصحراء. وقام عمر على المنبر ونادى: يا سارية الجبل! يشير الى جبل كان إزاءه ان يستند اليه. فسمع ذلك سارية ولجأ اليه. ثم انهزم المشركون، وأصاب المسلمون مغانمهم، وكان فيها صِفتُ [2] جَوْهر، فاستوهبه سارية من الناس، وبعث به مع الفتح إلى عمر. ولما قدم به الرسول سأله عمر فأخبره عن كل شيء، ودفع اليه السَفَط فابى إلّا أن يقسّم على الجند، فرجع به وقسّمه سارية.

كرمان ــ وقصد سُهَيل بن عَدِيّ من امراء الانسياح كرمان ولحق به عبدالله بن عبدالله بن عَتْبان وحشد أهل كرمان، واستعانوا بالقُفْص، وقاتلوا المسلمين في أدنى ارضهم فهزموهم باذن الله. وأخذ المسلمون عليهم الطريق بل الطرق. ودخل البشير بن عمرو العجلي [3] الى جيرفت وقتل في طريقه مرزبان كرمان، وعبدالله بن عبد الله من مفازة شير وأصابوا ما أرادوا من إبل وشاء. وقيل: إن الذي فتح كرمان عبد الله بن بديل

---

(١) في الكامل ج ٣ ص ٢١: فسا.

(٢) كذا في الأصل، ولعلها «السَفَط» لأن «الصِفْت» بمعنى الجسيم الشديد ولا معنى لذلك هنا.

(٣) في نسخة ب: البجلي.

بل ورقـاء الخُزاعيّ ثم أتى الطَبَسَيْن من كرمان . ثم قدم على عمر وقال اقطعني الطبسين، فـاراد أن يفعل فقال انهما رستاقان فامتنع .

سجستان ـ وقصد عاصم بن عمرو من الأمراء سجستان، ولحق به عبدالله بن عُمَير، وقاتلوا أهل سجستان في أدنى ارضهم فهزموهم، وحصروهم بِزَرَنْجَ ومَخَرُوا أرض سجستان. ثم طلبوا الصلح[1] على مدينتهم وأرضها . على أن الفرات حمى ويسقي أهل سجستان على الخراج . وكان اعظم من خراسان وابعد فروجاً، يقاتلون القَنْدهار والترك وأمماً أخرى . فلما كان زمن معاوية هرب الشاه من أخيه زنبيل[2] ملك الترك الى بلد من سجستان يدعى آمل وكان على سجستان سَلْمُ بن زِيادِ بن أبي سفيان، فعقد له وأنزله آمل، وكتب الى معاوية بذلك فأقرّه بغير نكير . وقال : إنّ هؤلاء قوم غُدُرٌ وأهون مـا يجيء منهم اذا وقع اضطراب أن يغلبوا على بلاد آمل بأسرها فكان كذلك . وكفر الشاه بعد معاوية وغلب على بلاد آمل واعتصم منه زنبيل بمكانه . وطمع هو في زوبخ، فحاصرها حتى جاءت الامداد من البصرة فاجفلوا عنها .

---

(١) في نسخة ب ثم صالحوهم.

(٢) وفي بعض الكتب رتبيل بدل زنبيل اهـ .

مكران ــ وقصد الحَكَمُ بن عمرو التَغْلِبِيّ من امراء الانسياح بلد مُكْرَان، ولحق بها شهاب بن المُخارِقِ، وجاءه سهيل بن عَدِيّ وعبدالله بن عبدالله بن عتبان وانتهوا جميعاً الى دُوَيْن[1] وأهل مكران على شاطئيه، وقد أمدّهم أهل السند بجيش كثيف، ولقيهم المسلمون فهزموهم واثخنوا فيهم بالقتل، واتبعوهم اياماً حتى انتهوا إلى النهر، ورجعوا الى مكران فأقاموا بها وبعثوا الى عمر بالفتح والأخماس مع صَحّارِ العَبْدِيّ، وسأله عمر عن البلاد فاثنى عليها شرًّا فقال: والله لا يغزوها جيش لي أبداً. وكتب الى سُهَيْلٍ والحَكَمِ أن لا يجوز مكران أحد من جنودكما.

خبر الاكراد

كان أمر أمراء الانسياح لما فصلوا الى النواحي حتى اجتمع ببيروذ[2] بين نهرتيري ومنادر من أهل الأهواز جموع من الأعاجم اعظمهم الأكراد، وكان عمر قد عهد إلى أبي موسى أن يسير الى اقصى تخوم البصرة ردءاً للأمراء المنساحين. فجاء الى بيروذ وقاتل تلك الجموع قتالًا شديداً، وقتل المهاجر بن زياد. ثم وهن الله المشركين فتحصّنوا منه في قلّة وذلّة. فاستخلف ابو موسى عليهم أخاه الربيع بن زياد وسار إلى اصبهان مع المسلمين الذين

---

(١) في نسخة ب: إلى دومن.

(٢) بيروذ على وزن فيروز، قال في الكامل وآخره ذال معجمة اهـ.

يحاصرونها، حتى إذا فتحت رجع الى البصرة . وفتح الرَّبيعُ بن زياد بَيْرُوذَ وغنم ما فيها، ولحق به بالبصرة وبعثوا الى عمر بالفتح والأخماس .

وأراد ضُبَّةُ بن مُحصِن العَنَزِيّ أن يكون في الوفد فلم يجبه أبو موسى، فغضب وانطلق شاكياً الى عمر بانتقائه ستين غلاماً من أبناء الدهاقين لنفسه وأنه أجاز الحُطَيْئَةَ بألف . وولّى زياد بن أبي سفيان أمور البصرة، واعتذر ابو موسى وقبله عمر . وكان عمر قد اجتمع اليه جيش من المسلمين فبعث عليهم سَلَمَةَ بن قَيْسٍ الأَشْجَعِيّ ودفعهم الى الجهاد على عادته وأوصاهم . فلقوا عدوًّا من الاكراد المشركين فدعوهم الى الاسلام او الجزية فأبوا، وقاتلوهم وهزموهم وقتلوا وسبوا، وقسموا الغنائم، ورأى سلمة جوهراً في سَفَطٍ فاسترضى المسلمين وبعث به الى عمر، فسأل الرسول عن أمور الناس حتى اخبره بالسفط فغضب وأمر به فوجىء في عنقه وقال : اسرع قبل أن تفترق الناس ليقسمه سلمة فيهم، فباعه سلمة وقسمه في الناس وكان الفصّ يباع بخمسة دراهم وقيمته عشرون ألفاً .

مقتل عمر وامر الشورى وبيعة عثمان (رض)

كان للمغيرة بن شعبة مولى من نصارى العجم اسمه ابو لُؤْلُؤَة، وكان يشدّد عليه في الخراج . فلقي يوماً عمر في السوق فشكا

إليه وقال : أعدني على المغيرة فانه يثقل عليّ في الخراج درهمين في كل يوم. قال وما صناعتك ؟ قال : نجار، حدّاد، نقّاش . فقال ليس ذلك بكثير على هذه الصنائع . وقد بلغني أنك تقول اصنع رحى تطحن بالريح، فاصنع لي رحى . قال أصنع لك رحى يتحدّث الناس بها أهل المشرق والمغرب . وانصرف فقال عمر : توعدّني العلج ؟

فلما اصبح خرج عمر الى الصلاة واستوت الصفوف، ودخل ابو لؤلؤة في الناس وبيده خنجر برأسين نِصابُهُ في وسطه فضرب عمر ست ضربات إحداهما تحت سرّته . وقتل كُلَيباً ابن أبي البكير الليثي، وسقط عمر، فاستخلف عبد الرحمن بن عوف على الصلاة . واحتُمِل الى بيته .

ثم دعا عبد الرحمن وقال أريد أن أعهد اليك ! قال فتشير عليّ بها؟ قال لا ! قال والله لا أفعل . قال فهبني صمتاً حتى اعهد الى النفر الذين توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو عنهم راضٍ . ثم دعا علياً وعثمان والزبير وسعداً وعبد الرحمن معهم وقال انتظروا طلحة ثلاثاً، فان جاء، وإلّا فاقضوا أمركم . وناشد الله من يفضي اليه الامر منهم أن يحمل أقاربه على رقاب الناس، وأوصاهم بالأنصار الذين تبوأوا الدار والايمان أن يحسن الى محسنهم ويعفوا[1] عن مسيئهم، وأوصى بالعرب فانهم مادّة

---

(١) كذا . ولعلها يُعفى كما يقتضي السياق.

الاسلام أن تؤخذ صدقاتهم فتوضع في فقرائهم . واوصى بذمّة رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يوفي لهم بعهدهم ثم قال : اللهم قد بلغت لقد تركت الخليفة من بعـدي على أنقى من الراحة .

ثم دعا أبا طليحة الأنصاري فقال : قم على باب هؤلاء ولا تدع أحداً يدخل اليهم حتى يقضوا أمرهم . ثم قال يا عبدالله بن عمر أخرج فانظر من قتلني ؟ قال يا أمير المؤمنين قتلك أبو لؤلؤة غلام المغيرة . قال الحمد لله الذي لم يجعل منيتي بيد رجل سجد لله سجدة واحدة . ثم بعث الى عائشة يستأذنها في دفنه مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبي بكر فأذنت له . ثم قال يا عبدالله إن اختلف القوم فكن مع الأكثر، فان تساووا فـكن مع الذين فيهم عبد الرحمن بن عوف .

ثم أذن للناس فدخل المهاجرون والانصار فقال لهم : أهذا عن ملأ منكم؟ فقالوا معاذ الله ! وجاء عليّ وابن عباس فقعدا عند رأسه . وجاء الطبيب فسقاه نبيذاً فخرج متغيّراً، ثم لبناً فخرج كذلك . فقال له اعهد ! قال قد فعلت ! ولم يزل يذكر الله الى أن توفي ليلة الاربعاء لثلاث بقين من ذي الحجة سنة ثلاث وعشرين . وصلّى عليه صُهَيْبٌ وذلك لعشر سنين وستّة اشهر من خلافته .

وجاء أبو طلحة الأنصارى ومعه المقداد بن الأسود . وقـد

كان أمرهما عمر أن يجمعا هؤلاء الرهط الستة في مكان ويلزماهم أن يقدموا للناس من يختاروه[١] منهم، وان اختلفوا كان الاتباع للأكثر، وان تساووا حكّموا عبدالله بن عمر، او اتبعوا عبد الرحمن بن عوف. ويؤجلهم في ذلك ثلاثاً يصلي فيها بالناس صُهَيب، ويحضر عبدالله بن عمر معهم مشيراً ليس له شيء من الامر وطلحة شريكهم ان قدم في الثلاث ليال. فجمعهم ابو طلحة والمقداد في بيت المسوّر بن مخرمة، وقيل في بيت عائشة.

وجاء عمرو بن العاص والمُغيرة بن شُعْبَة فجلسا بالباب فحصبهما سعد وأقامهما، وقال تريدان أن تقولا حضرنا وكنا في أهل الشورى. ثم دار بينهم الكلام وتنافسوا في الأمر، فقال عبد الرحمن أيّكم يُخرِجُ منها نفسه ويجتهد فيوليها افضلكم وأنا أفعل ذلك؟ فرضي القوم وسكت عليّ. فقال: ما تقول على شريطة أن تؤثر الحق ولا تتبع الهوى، ولا تخصّ ذا رَحِمٍ، ولا تألوَ الأمة نصحاً، وتعطينا العهد بذلك. قال وتعطوني انتم مواثيقكم على أن تكونوا معي على من خالف وترضوا من اخترت؟ وتواثقوا، ثم قال لعليّ: أنت تقول إنك أحق ممّن حضر بقرابتك وسوابقك وحسن أثرك في الدين ولم تبعد في نفسك؟ فمن ترى أحقّ فيه بعدك من هؤلاء؟ قال عثمان! وخلا بعثمان فقال له مثل ذلك، فقال عليّ.

(١) كذا. والصواب يختارونه.

ودار عبد الرحمن لياليه كلها يلقى اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن يوافي المدينة من أمراء الأجناد وأشراف الناس ويشيرهم الى صبيحة الرابع . فأتى منزل المسرور بن مَخْرَمَة، وخلا فيه بالزُبَيْرِ وسعد أن يتركا الأمر لعليّ او عثمان [1] . فاتفقا على عليّ . ثم قال له سعد : بايع لنفسك وارحنا فقال : قد خلعت لهم نفسي على أن أختار ولم أفعل ما اردتها [2] .

ثم استدعى عبد الرحمن علياً وعثمان فناجى كلًّا منهما إلى أن رضوا، بل إلى أن صلُّوا الصبح ولا يعلم أحد ما قالوا . ثم جمع المهاجرين وأهل السابقة من الأنصار وأمراء الأجناد حتى غصّ المسجد بهم فقال : اشيروا عليّ ا فأشار عمّار بعليّ ووافقه المقداد . فقال ابن ابي سرح : إن اردت أن لا تختلف قريش فبايع عثمان، ووافقه عبدالله بن أبي ربيعة فتفاوضا وتشاتما ونادي سعد : يا عبد الرحمن افرغ قبل أن يفتتن الناس . فقال نظرت وشاورت فلا تجعلنّ ايها الرهط على انفسكم سبيلًا .

ثم قال لعليّ : عليك عهد الله وميثاقه لتعملنّ بكتاب الله وسنّة رسوله وسيرة الخليفتين من بعده قال : أرجو أن اجتهد

---

(١) في نسخة ب: لعلي وعثمان.

(٢) كذا في الأصل وفي الكامل ج ٣ ص ٣٧: قد خلت نفسي منها على أن أختار ولو لم أفعل لم أردها.

بل أن افعل بمبلغ علمي وطاقتي . وقال لعثمان مثل ذلك فقال نعم ! فرفع رأسه الى سقف المسجد ويده في يد عثمان وقال : اللهم اشهد اني قد جعلت ما في عنقي من ذلك في عنق عثمان فبايعه الناس .

ثم قدم طلحه في ذلك اليوم ، فأتى عثمان، فقال له عثمان : أنت على الخيار في الأمر ، وان ابيت رددتها فقال : أكلّ الناس بايعوك؟ قال نعم ! قال : رضيت ولا أرغب عما أجمع عليه .

وكانت العجم بالمدينة يستروح بعضها الى بعض ، ومرّ أبو لؤلؤة بالهرمزان وبيده الخنجر الذي طعن به عمر، فتناوله من يده وأطال النظر فيه ثم ردّه اليه . ومعهم جفينة نصرانيّ من أهل الحيرة . فلما طعن عمر من الغداة قال عبد الرحمن بن ابي بكرة لعبيد الله بن عمر : اني رأيت هؤلاء الثلاثة يتناجون ، فلما رأوني افترقوا وسقط منهم هذا الخنجر . فعدا عبيد الله عليهم فقتلهم ثلاثتهم . وأمسكهم سعد بن أبي وقّاص، وجاء به الى عثمان بعد البيعة وهو في المسجد فأشار عليّ بقتله . وقال عمرو بن العاص لا يقتل عمر بالأمس ويقتل ابنه اليوم . فجعلها عثمان دِيَةً واحتملها وقال : أنا وليّه . ثم قام عثمان وصعد المنبر وبايعه الناس كافّة . وولى لوقته سعد بن ابي وقّاص علي الكوفة وعزل المغيرة وذلك بوصيّة عمر ، لأنه أوصى بتولية سعد وقال لم أعزله عن

سوء ولا خيانة منه، وقيل إنما ولّاه وعزل المغيرة بعد سنة وانما أقر لأول أمره عمّال عمر كلهم .

نقض اهل الاسكندرية وفتحها

لما سار هِرَقْل الى القُسطنطينيّة وفارق الشام واستولى المسلمون على الاسكندرية، وبقي الروم بها تحت أيديهم، فكاتبوا هرقل فاستنجدوه، فبعث اليهم عسكراً مع منويل الخصِيّ، ونزلوا بساحل الاسكندرِيّةِ لمنعهم المُقَوْقَس من الدخول اليه فساروا الى مصر ولقيهم عمرو بن العاص والمسلمون فهزموهم واتبعوهم الى الاسكندرية. واثخنوا فيهم بالقتل وقتل قائدهم منويل الخصي، وكانوا قد أخذوا في مسيرهم الى مصر أموال أهل القرى، فردّها عمرو عليهم بالبَيّنَةِ، ثم هدم سور الاسكندرية ورجع الى مصر .

ولاية الوليد بن عقبة الكوفة وصلح ارمينيا واذربيجان

وفي سنة خمس وعشرين عزل عثمان سعداً عن الكوفة لأنه كان اقترض من عبدالله بن مسعود من بيت المال قرضاً، وتقاضاه ابن مسعود فلم يوسر[1] سعد، فتلاحيا وتناجيا بالقبيح وافترقا يتلاومان، وتداخلت[2] بينهما العصبية وبلغ الخبر عثمان فعزل

---

(١) كذا في الأصل وفي الكامل ج ٣ ص ٤٢ : فلما تقاضاه ابن مسعود لم يتيسّر له قضاؤه.
(٢) في نسخة ب : وقد دخلت.

سعداً، واستدعى الوليد بن عقبة من الجزيرة، وكان على غربها منذ ولاه عمر، فولاه عثمان على الكوفة فكان مكان سعد. ثم عزل عُتْبَةَ بن فَرْقَدٍ عن أَذْرَبَيْجَان، فنقضوا فغزاهم الوليد وعلى مُقَدِّمَتِه عبدالله بن شبيل الأَحْمَسِيّ، فأغار على أهل موقان والبَرْزَنْد والطَّيْلَسانِ، ففتح وغَنِمَ وسبى. وطلب أهل كور أذربيجان الصلح فصالحهم على صلح حذيفة ثمانمائة درهم، وقبض المال.

ثم بثّ سراياه، وبعث سلمان بن ربيعة الباهلي الى أهل أرمينية في اثني عشر ألفاً. فسار فيها وأثخن، ثم انصرف الى الوليد، وعاد الوليد الى الكوفة، وجعل طريقه على الموصل. فلقيه كتاب عثمان بأن الروم أجلبوا على معاوية بالشام، فابعث إليه رجلًا من أهل النجدة والبأس في عشرة آلاف عند قراءة الكتاب.

فبعث الوليد الناس مع سلمان بن ربيعة ثمانية آلاف، ومضوا الى الشام ودخلوا أرض الروم مع حبيب بن مسلمة، فشنّوا عليه الغارات وافتتحوا الحصون. وقيل: ان الذي أمدّ حبيب بن مسلمة بسلمان بن ربيعة هو سعيد بن العاص. وذلك ان عثمان كتب الى معاوية أن يغزي حبيب بن مسلمة في أهل الشام أرمينية، فبعثه وحاصر قاليقلا حتى نزلوا على الجلاء او الجزية، فجلا كثيراً الى بلاد الروم، وأقام فيها فيمن معه اشهراً.

ثم بلغه أن بطريك ارميناقس وهي بلاد ملطية وسيواس وقونية الى خليج قُسْطَنْطِينِيَّة قد زحف اليه في ثمانين ألفاً، فاستنجد معاوية فكتب الى عثمان فأمر سعيد بن العاص بامداد حبيب فأمدّه بسلمان في ستة آلاف، وبيَّت الروم فهزمهم وعاد الى قاليقلا. ثم سار في البلاد فجاء بطريك خلاط وبيده أمان عياض بن غنم وحمل ما عليهم من المال. فنزل حبيب خِلاط، ثم سار منها فصالحه صاحب السيرجان [١] ثم صاحب اردستان [٢] ثم صالح أهل دبيل بعد الحصار، ثم أهل بلاد السيرجان كلهم. ثم أتى أهل شميشاط فجاربوه فهزمهم وغلب على حصونهم. ثم صالحه بطريك خرزان [٣] على بلاده وسار الى تفليس فصالحوه وفتح عدّة حصون ومدن تجاورها.

وسار ابن ربيعة الباهلي الى أرّان، فصالح أهل البيلقان على الجزية والخراج. ثم أهل بردعة كذلك وقراها. وقاتل اكراد البوشِنْجان وظفر بهم، وصالح بعضهم على الجزية، وفتح مدينة شمكور وهي التي سميت بعد ذلك المتوكِّلِيَّة، وسار سلمان حتى فتح فِلْيَة وصالحه صاحب كَسْكَرَ على الجزية، وملكوا شِروان وسائر ملوك الجبال الى مدينة الباب وانصرفوا. ثم غزا معاوية

(١) في نسخة ب: السرفخان.
(٢) في نسخة ب: ازدشاط.
(٣) في نسخة ب: خزران.

الروم وبلغ عمورِيّةَ ووجد ما بين انطاكية وطرسوس من الحصون خالياً فجمع فيها العساكر حتى رجع وخرّبها .

ولاية عبد الله بن ابي سرح على مصر وفتح افريقية

وفي سنة ستّ وعشرين عزل عثمان عمرو بن العاص عن خراج مصر، واستعمل مكانه عبدالله بن أبي سرح أخاه من الرضاعة، فكتب الى عثمان يشكو عَمْراً، فاستقدمه واستقلّ عبدالله بالخراج والحرب، وأمره بغزو أفريقية . وقد كان عمرو بن العاص سنة إحدى وعشرين سار من مصر الى برقة فصالح أهلها على الجزية، ثم سار الى طرابلس فحاصرها شهراً وكانت مكشوفة [1] السور من جانب البحر، وسفن الروم في مرساها . فحصر القوم في بعض الأيام، وانكشف أمرها لبعض المسلمين المحاصرين، فاقتحموا البلد بين البحر والبيوت فلم يكن للروم ملجأ إلّا سفنهم .

وارتفع الصياح فاقبل عمرو بعساكره فدخل البلد، ولم تفلت الروم إلّا بما خفّ في المراكب . ورجع الى مدينة صبرة وقد كانوا قد آمنوا بمنعة طرابلس، فصبحهم المسلمون ودخلوها عنوة . وكمل الفتح ورجع عمرو الى برقة، فصالحه أهلها على ثلاثة عشر ألف دينار جزية وكان أكثر أهل برقة لواتة، وكان

(١) في نسخة ب: منكشفة السور.

يقال ان البربر ساروا بعد قتل ملكهم جالوت الى المغرب، وانتهوا الى لوبيا ومراقية، كورتان من كور مصر . فصارت زِنَاتَةُ ومُغَيْلَةُ من البربر الى المغرب، فسكنوا الجبال وسكنت لوتة برقة وتعرف قديماً انطابلس . وانتشروا الى السوس ونزلت هوّارة مدينة لِبْدَةَ، ونزلت نفوسة مدينة صبرة وجلوا من كان هنالك من الروم . وأقام الافارق وهم خدم الروم وبقيتهم على صلح يؤدونه الى من غلب عليهم، الى أن كان صلح عمرو بن العاص . ثم انّ عبدالله ابن ابي سرح كان أمره عثمان بغزو افريقية سنة خمس وعشرين . وقال له : إن فتح الله عليك فلك خمس الخمس من الغنائم، وامّر عقبة [1] بن نافع عبد القيس على جند، وعبدالله بن نافع بن الحرث على آخر، وسرّحهما فخرجوا الى افريقية في عشرة آلاف، وصالحهم أهلها على مال يؤدونه، ولم يقدروا على التوغل فيها لكثرة أهلها .

ثم لمـّا وَلِيَ عبدالله بن أبي سرح استأذن عثمان في ذلك واستمدّه، فاستشار عثمان الصحابة فاشاروا به، فجهّز العساكر من المدينة وفيهم جماعة من الصحابة، منهم ابن عباس وابن عُمَرَ وابن عمرو بن العاص وابن جعفر والحسن والحسين وابن الزبير، وساروا مع عبدالله بن أبي سرح سنة ست وعشرين . ولقيهم عُقْبَةُ بن نافع فيمن معه من المسلمين ببرقة ثم ساروا الى طرابلس

(١) في نسخة ب: عبد الله بن نافع.

فنهبوا الروم عندها . ثم ساروا الى افريقية وبثّوا السرايا في كل ناحية، وكان ملكهم جرجير يملك ما بين طرابلس وطَنْجَةَ تحت ولاية هِرَقْل، ويحمل إليه الخراج . فلما بلغه الخبر جمع مئة وعشرين الفاً من العساكر ولقيهم على يوم وليلة من سُبَيْطِلَة، دار ملكهم وأقاموا يقتتلون، ودعوه الى الاسلام او الجزية . فاستكبر ولحقهم عبد الرحمن[١] ابن الزبير مدداً بعثه عثمان لما ابطأت أخبارهم . وسمع جرجير بوصول المدد ففتّ في عضُده، وشهد ابن الزبير معهم القتال وقد غاب ابن ابي سرح وسأل عنه فقيل : إنه سمع منادي جرجير يقول : من قتل ابن ابي سرح فله مئة ألف دينار وأزوجه ابنتي، فخاف وتأخر عن شهود القتال . فقال له ابن الزبير تنادي أنت بان من قتل جرجير نفلته مئة ألف وزوجته ابنته واستعملته على بلاده، فخاف جرجير أشد منه .

ثم قال عبدالله بن الزبير لابن ابي سرح أن يترك جماعة من أبطال المسلمين المشاهير متأهبين للحرب ويقاتلوا الروم بباقي العسكر إلى أن يضجروا، فيركب عليهم في الآخرين على غرّة فلعلّ الله ينصرنا عليهم . ووافق على ذلك أعيان اصحابه[٢] ففعلوا ذلك وركبوا من الغد الى الزوال وألّحوا عليهم حتى اتبعوهم ثم افترقوا . وأركب عبدالله الفريق الذين كانوا مستريحين، فكبّروا وحملوا

---

(١) في نسخة ب: عبد الله.
(٢) في نسخة ب: أعيان الصحابة.

حملة رجل واحد حتى غشوا الروم في خيامهم، فانهزموا وقتل كثير منهم، وقتل ابن الزبير جرجير وأخذت ابنته سَبِيَّةً فنفلها ابن الزبير وحاصر ابن ابي سرح سبيطلة ففتحها . وكان سهم الفارس فيها ثلاثة آلاف دينار، وسهم الراجل ألف . وبثّ جيوشه في البلاد الى قفصة، فسبوا وغنموا .

وبُعث عسكر الى حصن الأجم، وقد اجتمع به أهل البلاد فحاصره وفتحه على الامان . ثم صالحه أهل افريقية على الفي ألف وخمسمئة ألف دينار . وأرسل ابن الزبير بالفتح والخمس فاشتراه مروان بن الحَكَم بخمسمئة ألف دينار وبعض الناس يقول اعطاه اياه ولا يصح، وانما اعطى ابن ابي سرح خمس الخمس من الغزوة الأولى . ثم رجع عبدالله ابن ابي سرح الى مصر بعد مقامه سنة وثلاثة اشهر .

ولما بلغ هِرَقْل أن أهل أفريقية صالحوه بذلك المال الذي أعطوه غضب عليهم، وبعث بطريقاً يأخذ منهم مثل ذلك، فنزل قرطاجَنّة وأخبرهم بما جاء له فأبوا وقالوا : قد كان ينبغي أن يساعدنا[1] مما نزل بنا . فقاتلهم البطريك وهزمهم وطرد الملك الذي ولّوه بعد جرجير، فلحق بالشام . وقد اجتمع الناس على معاوية بعد علي (رض) فاستجاشه على افريقية فبعث معه معاوية

(١) في نسخة ب: يسامحنا.

ابن حُديج[1] السكوني في عسكر، فلما وصل الاسكندرية وهلك الرومي ومضى ابن حديج في العساكر، فنزل قونية، وتسرّح اليه البطريق ثلاثين الف مقاتل وقاتلهم معاوية، فهزمهم معاويه وحاصر حِصْنَ جَلولاء فامتنع معه حتى سقط ذات سوره فلكه المسلمون وغنموا ما فيه .

ثم بثّ السرايا ودوّخ البلاد فاطاعوا، وعاد الى مصر . ولما اصاب ابن ابي سرح من افريقية ما اصاب ورجع الى مصر، خرج قسطنطين بن هرقل غازياً الى الاسكندريّة في ستمائة مركب، وركب المسلمون البحر مع ابن ابي سرح ومعه معاوية في اهل الشام . فلما تراءى الجمعان ارسوا جميعاً وباتوا على أمان والمسلمون يقرأون ويصلّون . ثم قرنوا سفنهم عند الصباح واقتتلوا ونزل الصبر، واستحر القتل . ثم انهزم قسطنطين جريحاً في فلّ قليل من الروم، وأقام ابن ابي سرح بالموضع أياماً، ثم قفل وسمي المكان ذات الصواري والغزوة كذلك لكثرة ما كان بها من الصواري . وكانت هذه الغزاة سنة احدى وثلاثين وقيل أربع وثلاثين . وسار قسطنطين الى صقليّة وعرّفهم خبرَ الهزيمة فنكروه وقتلوه في الحمام .

---

(١) حُديج بضم الحاء وفتح الدال المهملتين وآخره جيم اهـ . ـ كامل .

فتح قبرص

كان أبو عبيدة لما احتضر [١] استخلف على عمله عياض بن غَنْمٍ وكان ابن عمه وخاله، وقيل استخلف معاذ بن جبل . واستخلف عياض بعده سعد بن حُذَيْمٍ الجُمَحِي، ومات سعيد فولى عمر مكانه عُمَيْرَ بن سعيد الأنصاري، ومات يزيد بن ابي سفيان فجعل عمر مكانه على دمشق أخاه معاوية، فاجتمعت له دمشق والأردن ومات عمر وهو كذلك وعمير على حمص وقنسرين . ثم استعفى عمير عثمان في مرضه فاعفاه، وضمّ حمص وقنسرين الى معاوية، ومات عبد الرحمن بن أبي علقمة وكان على فلسطين فضمّ عثمان عمله الى معاوية .

فاجتمع الشام كلّه لمعاوية لسنتين من امارة عثمان . وكان يلحّ على عمر في غزو البحر، وكان وهو بحمص كتب إليه في شأن قبرص أن قرية من قرى حمص يسمع أهلها نباح كلاب قبرص وصياح دجاجهم، فكتب عمر الى عمرو بن العاص : صف لي البحر وراكبه ! فكتب إليه : هو خلق كبير يركبه خلق صغير ليس إلّا السماء والماء . إن ركد فلق [٢] القلوب، وإن تحرّك أزاغ العقول يزداد فيه اليقين قلّة والشك كثرة . وراكبه دود على عود إن مال غرق وان نجا برق .

(١) في نسخة ب: استحضر.
(٢) في نسخة ب: خرق.

فكتب عمر الى معاوية : والذي بعث محمداً بالحق لا أحمل فيه مسلماً أبداً . وقد بلغني ان بحر الشام يشرف على أطول شيء من الارض فيستأذن الله كل يوم وليلة في أن يغرق الارض، فكيف أحمل الجنود على هذا الكافر . وبالله لمسلم واحد احبّ اليّ مما حوت الروم، فاياك ان تعرض لي في ذلك . فقد علمت ما لقي العلاء مني . ثم كاتب ملك الروم عمر وقاربه واقصر عن الغزو . ثم الحّ معاوية على عثمان بعده في غزو البحر فأجابه على خيار الناس وطوعهم .

فاختار الغزو جماعة من الصحابة فيهم أبو ذرّ وابو الدرداء وشدّاد بن أوس وعبادة بن الصامت وزوجه أم حرام بنت ملحان، واستعمل عليهم عبدالله بن قيس حليف بني فزارة، وساروا الى قبرص، وجاء عبدالله بن ابي سرح من مصر فاجتمعوا عليها وصالحهم اهلها على سبعة آلاف دينار بكل سنة . ويؤدون مثلها للروم ولا منعة لهم عن المسلمين ممن ارادهم من سواهم، وعلى ان يكونوا عيناً للمسلمين على عدوّهم، ويكون طريق الغزو للمسلمين عليهم وكانت هذه الغزاة سنة ثماني وعشرين وقيل تسعة وعشرين وقيل ثلاثة وثلاثين، وماتت فيها ام حرام سقطت عن دابتها حين خرجت من البحر .

وكان النبي صلى الله عليه وسلم أخبرها بذلك وأقام عبدالله

ابن قيس المجاسي على البحر فغزا خمسين غزاة لم ينكب فيها أحد الى أن نزل في بعض أيام في ساحل المرقى من أرض الروم، فثاروا اليه فقتلوه ونجا الملّاح، وكان قد استخلف سفيان بن عوف الأزدي على السفن، فجاء الى أهل المرقى وقاتلهم حتى قتل وقتل معه جماعة .

ولاية ابن عامر على البصرة وفتوح فارس وخراسان

وفي السنة الثالثة من خلافة عثمان خرج أبو موسى من البصرة غازياً الى أهل آمِد والأكراد لما كفروا، وحمل ثقله على أربعين بغلة من القصر[1] بعد أن كان حضّ على الجهاد مشياً . فألّب الناس عليه ومضوا الى عثمان فاستعفوه منه . وتولّى كبر ذلك غَيلان بن خَرْشَةَ، فعزله عثمان وولّى عبدالله بن عامر بن كريز بن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس وهو ابن خال عثمان، وكان ابن خمس وعشرين سنة .

وجمع له جند ابي موسى وجند عثمان بن ابي العاص من عمّانَ والبحرين . فصرف عُبَيْدَالله بن معمر عن خراسان وبعثه الى فارس، وولّى على خراسان مكانه عمير بن عثمان بن سعد، فاثخن فيها حتى بلغ فَرْغَانَةَ . ولم يدع كورة الا اصلحها . ثم ولّى عليها سنة اربع أَمَيْر[2] بن أحمر اليَشْكُرِي، وعلى كرمان عبد الرحمن

(١) في نسخة ب: على أربعين من الضهر.

(٢) أمير بوزن زبير وكذا كريز وعبيس كما في الكامل اهـ .

ابن عُبَيْس. واستعمل على سِجِسْتَان في سنة أربع عِمْرَان بن الفَضِيل البَرْجُمِي، وعلى كرمان عاصم بن عمرو فجاشت فارس وانتقضت بعبيدالله بن عمرو، وجمعوا له[1] فلقيهم بباب اصطخر، فقتل عبيدالله وانهزم جنده، وبلغ الخبر عبدالله بن عامر، فاستنفر اهل البصرة.

وسار بالناس وعلى مقدّمته عثمان بن أبي العاص، وفي المجنبتين أبو برزة[2] الأسلميّ ومعقل بن يسار، وعلى الخيل عِمْرانُ بن حُصَيْن ولقيهم باصطخر. فقتل منهم مقتلة عظيمة، وانهزموا وفتح اصطخر عَنْوَةً، وبعدها دارا بجرد. وسار الى مدينة جور وهي أردشيرخرت، وكان هرم بن حيّان محاصراً لها فلما جاء بن عامر فتحها، ثم عاد الى اصطخر وقد نقضت، فحاصرها طويلاً ورماها بالمجانيق واقتحمها عنوة ففني فيها أكثر أهل البيوتات والأساورة لأنهم كانوا لجأوا إليها، ووطىء أهل فارس وطأة لم يزالوا منها في ذلّ. وكتب إلى عثمان بالفتح، فكتب اليه ان يستعمل على كُوَرِ فارس هَرِمَ بن حَيَّان اليَشْكُرِيّ وهرم بن حيّان العبسِيّ والخِرّيت بن راشد وأخاه المُنجاب من بني سَلَمَة، والبَرْجُمَانَ المَجَيْمِيّ[3]. وأن يفرق كور خراسان بين ستة نفر: الأحنف

(١) في نسخة ب: بعبيد الله بن معمر وحملوا له.
(٢) في نسخة ب: أبو بردة.
(٣) في نسخة ب: المحجمي.

ابن قيس على المرو، وحبيب بن قرط[1] اليربوعي على بَلْخ، وخالد ابن عبدالله بن زهير على هراة، وأمير بن احمر اليشكري على طوس، وقيس بن هُبَيْرَة السَلَمِيّ على نيسابور .

ثم جمع عثمان خراسان كلّها لقيس، واستعمل أمير بن أحمر اليشكري على سجستان، ثم بعده عبد الرحمن[2] بن سُمْرَةَ من قرابة ابن عامر بن كُرَيْز . فلم يزل عليها حتى مات عثمان، وعِمْرَان على كرمان، وعُمَير بن عثمان بن مسعود على فارس، وابن كريز القشيري على مُكْرَان. وخرج على قيس بن هُبَيرَة بعد موت عثمان ابن عمه عبدالله بن حازم كما نذكره .

ولما افتتح ابن عامر فارس أشار عليه الناس بقصد خراسان وكانوا قد انتقضوا، فسار اليها وقيل عاد الى البصرة، واستخلف على فارس شريك بن الأعور الحارثي فبنى مسجدها . فلما دخل البصرة أشار عليه الاحنف بن قيس وحبيب بن أوس بالمسير الى خُراسان، فتجهز واستخلف على البصرة زياد بن ابيه، وسار الى كرمان وقد نكثوا، فبعث لحربهم مجاشع بن مسعود السَلَمِيّ، ولحرب سجستان الربيع بن زياد الحارثي . وسار هو الى حوالي نيسابور . وتقدمهم الأحنف بن قيس الى الطَبَسَيْن حِصْنان هما بابا

(١) في نسخة ب: ابن فروة.
(٢) في نسخة ب: عبد الله.

خراسان، فصالحه أهلها وسار الى قوهستان [١] فقاتل أهلها حتى أحجرهم في حصنهم، ولحقه ابن عامر فصالحوه على ستمائة ألف درهم . وقيل كان المتولّي حرب قوهستان أمير بن أحمر اليشكري .

ثم بعث ابن عامر السرايا الى أعمال نيسابور ففتح رستاق رام عنوة وباخرز وجيرفت عنوة . وبعث الاسود بن كلثوم بن عديّ الرباب، ـ وكان ناسكاً ـ الى بيهق [٢] من أعمالها . فدخل البلد من ثلمة كانت في سورها، وقاتل حتى قتل، وظفر أخوه أدهم بالبلد . وفتح بن عامر بَشت ـ بالشين المعجمة ـ من أعمال نيسابور، ثم اسفارين [٣] ثم قصد نيسابور . وبعدها استولى على أعمالها فحاصرها شهراً، وكان بها أربع مرازبة من فارس فسأل واحد منهم الأمان على أن يدخلهم ليلاً، وفتح لهم الباب وتحصّن الأكبر منهم في حصنها حتى صالح على ألف ألف درهم .

وولّى ابن عامر على نيسابور قيس بن الهيثم السلمي . وبعث جيشاً الى نساوابورد . فصالحهم أهلها، وآخر الى سرخس فصالحوا مرزبانها على أمان مئة رجل لم يدخل فيها نفسه، فقتله واقتحمها [٤] عنوة . وجاء مرزبان طوس فصالحه على ستمائة ألف درهم، وبعث

---

(١) في نسخة ب: مهرستان.
(٢) في نسخة ب: إلى بهق.
(٣) في نسخة ب: استيفيراس.
(٤) في نسخة ب: وافتتحت عنوة.

جيشاً الى هراة مع عبدالله بن حازم فصالح مرزبانها على ألف ألف درهم . ثم بعث مرزبان مرو فصالح على ألف ألف ومائتي الف . وأرسل اليه ابن عامر حاتم بن النعمان الباهلي، ثم بعث الأحنف بن قيس الى طخارستان فصالح في طريقه رستاقا على ثلاثمائة ألف وعلى أن يدخل رجل يؤذن فيه ويقيم حتى ينصرف. وسرّ إلى مرو الروذ، وزحف إليه أهلها فهزمهم وحاصرهم، وكان مَرْزُبَانُهَا من أقارب باذان صاحب اليمن، فكتب إلى الأحنف متوسّلاً بذلك في الصلح، فصالحه على ستمائة ألف . ثم اجتمع أهل الجَوْزَجانِ والطالقان والفارياب في جمع عظيم، ولقيهم الأحنف فقاتلهم قتالاً شديداً، ثم انهزموا فقتلوا قتلاً ذريعاً .

ورجع الأحنف الى مرو الروذ ، وبعث الأقرع بن حابس الى فلّهم بالجَوْزَجان فهزمهم وفتحها عنوة . ثم فتح الاحنف الطالقان والفارياب صلحاً . وقيل بل فتحها أمـير بن أحمر . ثم سار الاحنف الى بلخ، وهي مدينة طخارستان ، فصالحوه على اربعمائة ألف ، وقيل سبعمائة ، واستعمل عليها أَسَيْد بن الْمُتَشَمِّرِ . ثم سار الى خوارزم على نهر جيحون فامتنعت عليه، فرجع الى بلخ وقد استوفى أسيد قبض المال ، وكتبوا الى ابن عامر . ولما سار مجاشع بن مسعود الى كرمان كما ذكرناه وكانوا قد انتقضوا ففتح هُمَيْد [1] عنوة وبنى بها قصراً ينسب اليه . ثم سار الى السّيرجان

(١) في نسخة ب: حمير.

وهي مدينة كرمان فحاصرها وفتحها عنوة وجلى كثيراً من أهلها. ثم فتح جيرفت عنوة، ودوّخ نواحي كرمان وأتى القفص، وقد تجمّع له من العجم من أهل الجلاء. وقاتلهم فظفر وركب كثير منهم البحر الى كرمان وسجستان.

ثم نزل العرب الى منازلهم وأراضيهم، وسار الربيع بن زياد الحارثي بولاية ابن عامر كما قدّمناه [1] الى سجستان، فقطع المفازة من كرمان حتى أتى حصن زالق، فأغار عليهم يوم المهرجان وأسر دهقانهم فافتدى بما غمر عنزة قاعة [2] من الذهب والفضة، وصالحوه على صلح فارس وصار الى زرنج، ولقيه المشركون دونها فهزمهم وقتلهم وفتح حصوناً عدّة بينها وبينه. ثم انتهى اليها وقاتله أهلها فاحجرهم وحاصرهم، وبعث مرزبانها في الأمان ليعضد فامنه، وجلس له على شلوٍ من أشلاء القتلى وارتفق بآخر وفعل أصحابه مثله.

فرُعِب المرزبان من ذلك، وصالح على ألف جام من الذهب يحملها ألف وصيف. ودخل المسلمون المدينة ثم سار منها إلى وادي سناروذ فعبره الى القرية التي كان رستم الشديد يربط بها فرسه فقاتلهم وظفر بهم، وعاد إلى زرنج فأقام بها سنة، ثم سار

---

(١) في نسخة ب: كما قلناه.

(٢) كذا بالأصل وفي الكامل ج ٣ ص ٦٤: فافتدى نفسه بأن غرز عنزة وغمرها ذهباً وفضة.

بها الى ابن عامر، واستخلف عليها عاملاً فأخرجوه وامتنعوا. فكانت ولاية الربيع سنة ونصف سنة، سبى فيها أربعين الف رأس وكان الحسن البصري يكتب له. ثم استعمل ابن عامر على سجستان عبد الرحمن بن سمرة فسار إليها وحاصر زريخ حتى صالحوه على ألفي ألف درهم، وألفي وصيف وغلب على ما بينها وبين الكشّ من ناحية الهند، وعلى ما بينها وبين الداذين[1] من ناحية المرّجح.

ولما انتهى الى بلد الداذين حاصرهم في بلد الزور[2] حتى صالحوه، ودخل على الزور، وهو صنم من ذهب عيناه ياقوتتان. فأخذهما وقطع يده وقال للمرزبان: دونك الذهب والجوهر وانما قصدت أنه لا يضر ولا ينفع. ثم فتح كابُل وزابَلَستان وهي بلاد غزنة فتحها صلحاً.

ثم عاد الى زريخ الى أن اضطرب أمر عثمان فاستخلف عليها أمير بن أحمر، وانصرف فاخرجه أهلها وانتقضوا. ولما كمل الفتح لابن عامر في فارس وخراسان وكرمان وسجستان قال له الناس: لم يفتح لاحد ما فتح عليك فقال: لا جرم لاجعلنّ شكري لله على ذلك أن أخرج محرماً من موقفي هذا. فاحرم بعمرة من نيسابور. وقدم على عثمان واستخلف على خراسان قيس بن الهيثم

---

(١) في نسخة ب: الدوان.
(٢) في نسخة ب: في جبل الرور.

فسار قيس في ارض طخارستان ودوّخها، وامتنع عليه اهل سنجار وافتتحها عنوة .

ولاية سعيد بن العاص الكوفة

كان عثمان لاول ولايته قد ولّى على الكوفة الوليد بن عقبة، استقدمه اليها من عمله بالجزيرة، وعلى بني تغلب وغيرهم من العرب . فبقي على ولاية الكوفة خمس سنين وكان ابو زُبَيْدٍ الشاعر قد انقطع اليه من اخواله بني تغلب ليَدٍ اسداها اليه، وكان نَصْرَانِيًّا فاسلم على يده، وكان يغشاه بالمدينة والكوفة . وكان أبو زبيد يشرب الخمر، وكان بعض السفهاء يتحدّث بذلك في الوليد لملازمته إيّاه . ثم عدا الشباب من الأزد بالكوفة على رجل من خُزاعَةَ فقتلوه ليلًا في بيته، وشهد عليهم أبو شريح الخزاعي، فقتلهم الوليد فيه بالقسامة . وأقام آباءهم للوليد على حقه، وكانوا ممن يتحدثون فيه وجاءوا الى ابن مسعود بمثل ذلك . فقال : لا نتبع عورة من استتر عنا .

وتغيّض الوليد من هذه المقالة، وعاتب ابن مسعود عليها . ثم عمد أحد اولئك الرهط الى ساحرٍ قد أتى به الوليد فاستفتى ابن مسعود فيه وافتى بقتله . وحبسه الوليد ثم أطلقه فغضبوا وخرجوا إلى عثمان شاكين من الوليد، وانه يشرب الخمر . فاستقدمه عثمان وأحضره وقال رأيتموه يشرب؟ قالوا لا وإنما رأيناه يقيّء .

الخمر . فأمر سعيد بن العاص فجلده وكان علي حاضراً فقال : انزعوا خميصته للجلد . وقيل ان علياً أمر ابنه الحسن أن يجلده فأبى، فجلده عبدالله بن جعفر . فلما بلغ اربعين قال امسك جلد رسول الله صلى الله عليه وسلم وابو بكر اربعين، وجلد عمر ثمانين، وكل سنة (١) .

ولما وقعت هذه الوقعة عزل عثمان الوليد عن الكوفة، وولّى مكانه سعيد بن العاص بن سعيد بن العاص بن أميّة، مات سعيد الأول كافراً، وكان يُكنى أحَيْحَةَ وخالد ابنه عم سعيد الثاني، ولّاه رسول الله صلى الله عليه وسلم صَنعاء، وكان يكتب له، واستُشهد يوم مرج الصُفّرِ . وربي سعيد الثاني في حُجْرِ عثمان، فلما فتح الشام اقام مع معاوية ثم استقدمه عثمان وزوّجه، واقام عنده حتى كان من رجال قريش . فلما استعمله عثمان وذلك سنة ثلاثين سار الى الكوفة ومعه الأشْتَرُ وابو خَيْفَةَ الغِفارِيّ وجُنْدُبُ بن عبدالله والصَعْبُ بن جُثامَة، وكانوا شخصوا مع الوليد ليعينوه فصاروا عليه .

فلما وصل خطب الناس وحذّرهم وتعرّف الاحوال وكتب الى عثمان ان اهل الكوفة قد اضطرب امرهم، وغلب الروادِفُ والتابعَةُ

(١) كذا في الأصل ويقتضي أن يكون كلمات ساقطة أثناء النسخ ولم تذكر هذه القصة بالتفصيل كما هي هنا في الكامل لابن الأثير وفي الطبري والمسعودي .

على اهل الشَرَفِ والسابِقَةِ. فكتب اليه عثمان ان يفضِّل اهل السابقة، ويجعل من جاء بعدهم تَبَعاً ويعرف لكلٍّ منزلته ويعطيه حقَّه. فجمع الناس وقرأ عليهم كتاب عثمان وقال: ابلغوني حاجة ذي الحاجة. وجعل القرّاء في سمرة، فلم ترض اهل الكوفة ذلك، وفشت المقالة وكتب سعيد الى عثمان، فجمع الناس واستشارهم فقالوا اصبت لا تُطمِع في الامور من ليس لها بأهل فتفسد فقال: يا أهل المدينة! اني ارى الفتن دبّت اليكم، واني ارى ان اتخلّص الذي لكم وانقله اليكم، من العراق، فقالوا وكيف ذلك؟ قال تبيعونه ممن شئتم بمالكم في الحجاز واليمن، ففعلوا ذلك واستخلصوا ما كان لهم بالعراق، منهم طَلْحَةُ ومروان والأشعثُ ابن قيسٍ ورجالٌ من القبائل اشتروا ذلك بأموال كانت لهم بِخَيْبَرَ ومَكَّةَ والطائف.

غزو طبرستان

وفي هذه السنة غزا سعيد بن العاص طبرستان، ولم يغزُها أحد قبله. وقد تقدم ان الأَصْبَهْبَذَ صالح سُوَيْدَ بن مُقَرِّن عنها أيام عمر على مال، فغزاها سعيد في هذه السنة ومعه ناس من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، منهم الحَسَنُ والحُسَيْنُ وابنُ عَبّاس وابن عُمَرَ وابن عَمْرو وابن الزُبَيْرِ وحُذَيْفَةُ بن اليمان في غيرهم. ووافق خروج ابن عامر من البصرة الى خُراسان،

فنزل نيسابور، ونزل سعيد قَوْمِسَ وهي صلح كان حذيفة صالحهم عليه بعد نهاوند، فاتى سعيد جرجان فصالحوه على مائتي ألف، ثم أتى متاخماً جرجان على البحر فقاتله أهلها .

ثم سألوا الأمان فأعطاهم على أن لا يقتل منهم رجلا واحداً . وفتحوا، فقتلهم أجمعين الا رجلاً، وقتل معهم مُحَمَّدَ بن الحَكَم بن أبي عقيل جدّ يوسف بن عمرو، وكان أهل جرجان يعطون الخراج تارةً مئة ألف وأخرى مائتين وثلاثمائة، وربما منعوه . ثم امتنعوا وكفروا، فانقطع طريق خراسان من ناحِيَةِ قَوْمِسَ الا على خوفٍ شديد . وصار الطريق الى خراسان من فارس كما كان من قبل، حتى وَلِيَ قُتَيْبَةُ بن مُسلِمٍ خُراسان، وقدمها يزيد بن المهلّب، فصالح المَرْزُبَانَ وفتح البُحَيْرَة ودَهِسْتَان وصالح أهل جَرْجَان على صلح سعيد .

غزو حذيفة الباب وامر المصاحف

وفي سنة ثلاثين هذه صرف حُذَيْفَة من غزو الريّ الى غزو الباب مدداً لعبد الرحمن بن ربيعة، وأقام له سعيد بن العاص بأذرَبيجان رِدْءاً حتى عاد بعد مقتل عبد الرحمن كما مرّ، فأخبره بما رأى من اختلاف أهل البلدان في القرآن، وان أهل حِمصَ يقولون : قراءتنا خير من قراءة غيرنا، وأخذناها عن المقداد، وأهل دِمَشقَ يقولون كذلك، وأهل البصرة عن أبي موسى، وأهل

الكوفة عن ابن مسعود . وأنكر ذلك واستعظمه وحذر من الاختلاف في القرآن، ووافقه من حضر من الصحابة والتابعين، وانكر عليه أصحاب ابن مسعود فاغلظ عليهم وخطّأهم، فاغلظ له ابن مسعود فغضب سعيد وافترق المجلس .

وسار حذيفة الى عثمان فاخبره وقال : أنا النّذير العريان، فادرك الأمّة . فجمع عثمان الصحابة فرأوا ما رآه حذيفة، فارسل عثمان الى حَفْصَة ان ابعثي الينا بالصُّحُف ننسخها، وكانت هذه الصحف هي التي كتبت أيام أبي بكر، فان القتل لما استحرّ في القراء يوم اليمامة قال عمر لأبي بكر : أرى أن تأمر بجمع القرآن، لئلّا يذهب الكثير منه لفناء القرّاء فأبى أولًا وقال : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يفعله . ثم استبصر ورجع إلى رأي عمر، وأمر زَيْدَ بن ثابت بجمعه من الرِقاعِ والعَسبِ[1] وصدور الرجال . وكتب في الصحف فكانت عند أبي بكر ثم عند عمر ثم عند حَفْصَة . وأرسل عثمان فأخذها . وأمر زيد بن ثابت وعبدالله بن الزُبَيْر وسعيد بن العاص وعبد الرحمن بن الحَرْثِ بن هِشام أن ينسخوها في المصاحف وقال : إذا اختلفتم فاكتبوها بلسان قُرَيْشٍ ففعلوا، ونسخوا المصاحف فبعث الى كلّ أفق بمصحف يعتمد عليه وحرّق ما سوى ذلك فقبل ذلك الصحابة في سائر

(١) كذا. ولعلها: العَسِيب؛ وهي جريدة النخل المستقيمة الدقيقة المكشوط خوصها. أما العَسْب فمعناه: النسل.

الأمصار، ونكره عبدالله بن مسعود في الكوفة حتى نهاهم عن ذلك وحملهم عليه .

مقتل يزدجرد

لما خرج ابن عامر من البصرة الى فارس وافتتحها هرب يَزْدَجُرْدُ من جور وهي أردشير خِرَه[1] في سنة ثلاثين ، فبعث ابن عامر في أثره مُجاشِعَ بن مسعود، وقيل هَرِمَ بن حَيَّان اليَشْكُرِيّ، وقيل العَنَسِيّ فاتبعه الى كرمان، فهرب الى خراسان . وهلك الجند في طريقهم بالثلج، فلم يسلم إلّا مجاشع ورجل معه، وكان مهلكهم على خمسة فراسخ من السِيْرَجان . ولحق يزدجرد بمروٍ ومعه خرَّزاذ أخو رُسْتُم، فرجع عنه الى العراق ووصّى به ما هو به مرزبان مرو، فسأله في المال فمنعه وخافه على نفسه وعلى مرو . واستجاش بالترك فبيّتوه وقتل اصحابه، وهرب يزدجرد ماشياً الى شطِّ المِرْغاب، وآوى الى بيت رجل ينقل الأرحاء، فلما نام قتله ورماه في النهر، وقيل انما بيّتهُ أهل مرو . ولما جاءوا الى بيت الرجل أخذوه وضربوه فأقر بقتله فقتلوه وأهله، واستخرجوا يزدجرد من النهر، وحملوه في تابوت الى اصطخر، فدفن في ناوس هنالك .

وقيل ان يزدجرد هرب من وقعة نَهاوند الى أرض أصْبَهان،

(١) في نسخة ب: وهو أزدشير خرج سنة ثلاثين.

واستأذن عليه بعض رؤسائها وحُجب فضرب البوّاب وشجّه، فرحل عن اصبهان الى الريّ . وجاء صاحب طبرستان وعرض عليه بلاده فلم يجبه، ومضى من فوره ذلك الى سجستان ثم الى مرو في ألف فارس . وقيل بل اقام بفارس اربع سنين ثم بكرمان سنتين، وطلبه دهقانها [1] في شيء فمنعه فطرده عن بلاده . وأقام بسجستان خمس سنين، ثم نزل خراسان ونزل مرو ومعه الرهن من اولاد الدهاقين وفرخزاذ، وكاتب ملوك الصين وفَرْغانَةَ والخَزَاذِ وكابُل .

وكان دهقان مرو قد منعه الدخول خوفاً من مكره، ووكل ابنه بحفظ الأبواب، فعمد يزدجرد يوماً الى مرو ليدخلها، فمنعه ابن الدهقان وأظهر عصيان أبيه في ذلك . وقيل بل أراد يزدجرد أن يجعل ابن أخيه دهقاناً عليها فعمل في هلاكه وكتب الى نَيْزَك طُرْخان يستقدمه لقتل يزدجرد ومصالحة العرب عليه، وأن يعطيه في اقتناعه كل يوم ألف درهم فكتب نيزك إلى يزدجرد يعده المساعدة على العرب، وانه يقدم عليه فيلقاه منفرداً عن العسكر وعن فرخزاذ، فاجابه الى ذلك بعد أن امتنع فرخزاذ واتهمه يزدجرد في امتناعه، فتركه لشأنه بعد أن أخذ خطّه برضاه بذلك .

وسار الى نيزك فاستقبله باشياء وجاء به الى معسكره، ثم

(١) في نسخة ب: قهرمانها.

سأله أن يزوّجه ابنته، فأنف يزدجرد من ذلك وسبّه . فعلا راسه بالمقرعة، فركض منهزماً وقتل أصحابه، وانتهى الى بيت طحّان فمكث فيه ثلاثاً لم يُطعَم، ثم عُرِضَ عليه الطعام فقال لا أُطْعَمُ إلّا بالزَمْزَمَةِ فسأل من زمزم له حتى أكل، ووشى المزمزم بأمره، الى بعض الأساورة[1] فبعث الى الطحّان بخنقه وإلقائه في النهر، فأبى من ذلك وجحده، فدلّ عليه ملبسه وعرف المسك فيه فأخذوا ما عليه وخنقوه وألقوه في الماء، فجعله أسقف مرو في تابوت ودفنه .

وقيل بل سار يزدجرد من كرمان قبل وصول العرب اليها الى مرو في اربعة آلاف على الطَبَسَيْن وقَهَسْتَان ، ولقيه قبل مرو قائدان من الفرس متعاديين ، فسعى احدهما في الآخر ووافقه يزدجرد في قتله، ونمى الخبر اليه فبيت يزدجرد وعدوّه، فهرب الى رحى على فرسخين من مرو ، وطلب منه الطحّان شيئاً فاعطاه منطقته . فقال انما احتاج الى اربعة دراهم، فقال : ليست معي ثم نام ، فقتله الطحّان والقى شلوه في الماء . وبلغ خبر قتله الى المطران بمرو، فجمع النصارى وعظم عليهم من حقوق سلفه ، فدفنوه وبنوا له ناووساً ، واقاموا له مأتماً بعد عشرين سنة من ملكه، ستة عشر منها في محاربة العرب . وانقرض ملك الساسانية بموته .

(١) في نسخة ب: إلى بعض المرازبة .

ويقال: إن قتيبة حين فتح الصُغْد وجد جاريتين من ولد المُخدَج [1] ابنه قد وطئا أمّه بمرو، فولدت هذا الغلام بعد موته ذاهب الشقّ، فسمِّي المخدج وولد له أولاد بخراسان. وجد قتيبة هاتين الجاريتين من ولده، فبعث بهما الى الحَجّاج وبعث بهما الى الوليد او باحداهما فولدت له يزيد الناقص.

ظهور الترك بالثغور

كان الترك والخزر يعتقدون أن المسلمين لا يقتلون لما رأوا من شدّتهم وظهورهم في غزواتهم، حتى أكمنوا لهم في بعض الغِياض فقتلوا بعضهم، فتجاسروا على حربهم. وكان عبد الرحمن ابن ربيعة على ثغور أرمينيا الى الباب استخلفه عليها سُراقَةُ بن عمرو، وأقرّه عمر وكان كثير الغزو في بلاد الخَزَرِ، وكثيراً ما كان يغزو بَلَنْجَر، وكان عثمان قد نهاه عن ذلك فلم يرجع. فغزاهم سنة اثنين وثلاثين، وجاء الترك لمظاهرتهم وتذامروا، فاشتدّت الحرب بينهم. وقتل عبد الرحمن كما مرّ، وافترقوا فرقتين: فرقة سارت نحو الباب لقوا سلمان بن ربيعة، قد بعثه سعيد بن العاص من الكوفة مدداً للمسلمين بأمر عثمان فساروا معه، وفرقة سلكوا على جيلان وجرجان فيهم سلمان الفارسِيّ وأبو هُرَيْرَة.

ثم استعمل سعيد بن العاص على الباب سلمان بن ربيعة

(١) في نسخة ب: ولد المجدّع. ومعنى المُخْدَج: ناقص الخلق.

مكان اخيه، وبعث معه جنداً من اهل الكوفة حُذَيفَةَ بن اليمان، وامدهم عثمان بحبيب بن مَسْلَمَةَ في جند الشام، وسلمان امير على الجميع . ونازعه حبيب الأمارة فوقع الخلاف . ثم غزا حذيفة بعد ذلك ثلاث غزوات عند آخرها مقتل عثمان .

وخرجت جموع الترك سنة اثنين وثلاثين من ناحية خراسان في اربعين ألفاً عليهم قارن من ملوكهم فانتهوا الى الطَبَسَيْن . واجتمع له اهل بادَغِيس وهَرَاة وقَهَسْتان، وكان على خراسان يومئذ قيس بن الهيثم السَلَمِيّ، استخلفه عليها ابن عامر عند خروجه الى مكّة محرماً فدوّخ جهتها، وكان معه ابن عمّه عبدالله بن حازم، فقال لابن عامر: اكتب لي على خراسان عهداً اذا خرج منها قيس ففعل، فلما أقبلت جموع الترك قال قيس : لابن حازم ما ترى ؟ قال أرى أن تخرج عن البلاد فان عهد ابن عامر عندي بولايتها، فترك منازعته وذهب الى ابن عامر. وقيل أشار عليه أن يخرج الى ابن عامر يستحدّه، فلما خرج أظهر عهد ابن عامر له بالولاية عند مغيب قيس .

وسار ابن حازم للقاء الترك في أربعة آلاف، ولما التقى الناس أمر جيشه بايقاد النار في أطراف رحالهم، فهاج العدوّ على دهش وغشيهم[1] ابن حازم بالناس متتابعين، فانهزموا واثخن المسلمون

---

(١) غشي: بمعنى أتى.

فيهم بالقتل والسبي . وكتب ابن حازم بالفتح الى ابن عامر فأقرّه على خراسان، فلم يزل والياً عليها الى حرب الجمل . فأقبل الى البصرة . وبقي أهل البصرة بعد غزوة ابن حازم هذه حتى غزوا المنتقضين من أهلها، وعادوا جهّزوا كتيبة من أربعة آلاف فارس هنالك .

بدء الانتقاض على عثمان (رض)

لما استكمل الفتح واستكمل للملة الملك ونزل العرب بالأمصار في حدود ما بينهم وبين الأمم من البصرة والكوفة والشام ومصر، وكان المختصون بصحابة الرسول صلى الله عليه وسلم والاقتداء بِهَدْيه وآدابه المهاجرين والانصار من قريش وأهل الحجاز، ومن ظفر بمثل ذلك من غيرهم . وأما سائر العرب من بني بكرِ بن وائل وعبد القيس وسائر ربيعة والأَزْد وكِنْدَة وتميم وقُضاعَة وغيرهم فلم يكونوا من تلك الصحبة بمكان إلّا قليلًا منهم، وكان لهم في الفتوحات قدم .

فكانوا يرون ذلك لأنفسهم مع ما يدين به فضلاؤهم من تفضيل أهل السابقة من الصحابة ومعرفة حقهم، وما كانوا فيه من الذهول والدهش لأمر النبوّة وتردّد الوحي وتنزل الملائكة، فلما انحسر ذلك العباب، وتنوسي الحال بعض الشيء، وذلّ العدوّ واستفحل الملك .

كانت عروق الجاهلية تنبض ووجدوا الرياسة عليهم للمهاجرين والأنصار من قريش وسواهم فأنفت نفوسهم منه، ووافق أيام عثمان، فكانوا يظهرون الطعن في ولاته بالأمصار، والمؤاخذة لهم باللحظات والخطرات، والاستبطاء [1] عليهم في الطاعات، والتجني بسؤال الاستبدال منهم والعزل، ويفيضون في النكير على عثمان.

وفشت المقالة في ذلك من اتباعهم، وتنادوا بالظلم من الأمراء في جهاتهم، وانتهت الأخبار بذلك الى الصحابة بالمدينة فارتابوا لها، وأفاضوا في عزل عثمان وحمله على عزل أمرائه. وبعث الى الأمصار من يأتيه بصحيح الخبر: محمَّد بن مَسْلَمَة الى الكوفة، وأسامَةَ بن زَيْدٍ إلى البصرة، وعبدالله بن عمر الى الشام، وعمّار ابن ياسر الى مصر، وغيرهم الى سوى هذه.

فرجعوا إليه فقالوا: ما أنكرنا شيئاً ولا أنكره أعيان المسلمين ولاعوامهم الا عمّاراً فانه استماله قوم من الاشرار انقطعوا إليه، منهم عبدالله بن سبأ ويعرف بابن السوداء، كان يهودياً وهاجر أيام عثمان فلم يَحْسُن اسلامه، وأُخرِجَ من البصرة فلحق بالكوفة ثم بالشام، وأخرجوه فلحق بمصر، وكان يكثر الطعن على عثمان ويدعو في السرّ لأهل البيت، ويقول: ان محمَّداً يرجع كما يرجع عيسى.

---

(١) في نسخة ب: والاشتطاط.

وعنه أخذ ذلك أهل الرجعة وإن علياً (ر ض) وصيّ رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث لم يجز وصيّته، وان عثمان أخذ الأمر بغير حقّ، ويحرض الناس على القيام في ذلك والطعن على الامراء. فاستمال الناس بذلك في الامصار، وكاتب به بعضهم بعضاً. وكان معه خالد بن مُلجم وسودان بن حَمْرَان وكنانَة بن بِشر، فثبّطوا عماراً عن المسير الى المدينة.

وكان مما انكروه على عثمان إخراج أبي ذرّ من الشام ومن المدينة الى الرَّبَذَة. وكان الذي دعا الى ذلك شدّة الورع من أبي ذرّ، وحمله الناس على شدائد الامور والزهد في الدنيا، وإنه لا ينبغي لاحد أن يكون عنده أكثر من قوت يومه، ويأخذ بالظاهر في ذم الادخار بكنز الذهب والفضة. وكان ابن سبأ يأتيه فيغريه بمعاوية، ويعيب[1] قوله: المال مال الله. ويوهم ان في ذلك احتجانه للمال وصرفه على المسلمين، حتى عتب أبو ذر في ذلك معاوية فاستعتب له وقال: سأقول ما للمسلمين[2]. وأتى ابن سبأ الى ابي الدَّرْداء وعَبادَة بن الصامت بمثل ذلك فدفعوه، وجاء به عبادة الى معاوية وقال: هذا الذي بعث[3] عليك أبا ذرّ.

---

(١) في نسخة ب: ونقيم.
(٢) في نسخة ب: مال المسلمين.
(٣) في نسخة ب: خبّر.

ولما كثر ذلك على معاوية شكاه الى عثمان فاستقدمه وقال له: ما لأهل الشام يشكون منك؟ فاخبره فقال: يا أبا ذرّ لا يمكن حمل الناس على الزهد وانما عليّ ان أقضي [1] بينهم بحكم الله وأرغبهم في الاقتصاد فقال أبو ذرّ: لا نرضى من الأغنياء حتى يبذلوا المعروف ويحسنوا للجيران والاخوان ويصلوا القرابة. فقال له كعب الأحبار: من أدّى الفريضة فقد قضى ما عليه، فضربه أبو ذرّ فشجّه وقال: يا ابن اليهوديّة ما أنت وهذا؟ فاستوهب عثمان من كعب شجّته فوهبه.

ثم استأذن أبو ذرّ عثمان في الخروج من المدينة وقال: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرني بالخروج منها اذا بلغ البناء سلعاً فاذن له. ونزل الربذة وبنى بها مسجداً، واقطعه عثمان صِرْمَةً [2] من الابل واعطاه مملوكين وأجرى عليه رزقاً، وكان يتعاهد المدينة. فعدّ اولئك الرهط خروج أبي ذرّ فيما ينقمونه على عثمان مع ما كانوا يعدون عليه من اعطاء مروان خمس مغانم افريقية، والصحيح أنه اشتراه بخمسمائة ألف فوضعها عنه.

ومما عدوا عليه أيضاً زيادة النداء الثالث على الزوراء يوم الجمعة، واتمامه الصلاة في منى وعرفة، مع أن الامر في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم والشيخين بعده كان على القصر.

---

(١) في نسخة ب: اقصد.

(٢) الصرمة القطعة من الإبل.

ولما سأله عبد الرحمن واحتجّ عليه بذلك قال له : بلغني انّ بعض حاجّ اليمن والجفاة جعل صلاة المقيم ركعتين من أجل صلاتي ، وقد اتخذت بمكة اهلاً ، ولي بالطائف مال . فلم يقبل ذلك عبد الرحمن فقال : زوجتك بمكة انما تسكن بسكناك ولو خرجت خرجت ، ومالك بالطائف على اكثر من مسافة القصر .

واما حاجّ اليمن فقد شهدوا ذلك من رسول الله صلى الله عليه وسلم والشيخين بعده، وقد كان الاسلام ضرب بجرانه . فقال عثمان : هذا رأي رأيته . فمن الصحابة من تبعه على ذلك، ومنهم من خالفه .

ومما عدّوا عليه سقوط خاتم النبي صلى الله عليه وسلم من يده في بئر أريس على ميلين من المدينة فلم يوجد .

وأما الحوادث التي وقعت في الأمصار فمنها قِصَّةُ الوَلِيد ابن عُقْبَةَ وقد تقدّم ذكرها، وانه عزله على شرب الخمر، واستبدله بسعيد بن العاص منه . وكان وجوه الناس وأهل القادِسِيَّةِ يسمرون عنده، مثل مالك بن كعب الأرْحَبي والأسود بن يزيد وعلقمة بن قيس من النخع، وثابت بن قيس الهَمَدَانِيّ وجندب ابن زهير العامريّ وجندب بن كعب الأزدِيّ وعُروة بن الجَعْد، وعمرو بن الحَمِق الخزاعِيّ وصَعْصَعَة بن صَوحان وأخوه زيد وابن الكوّاء، وكُمَيْل بن زياد وعُمَيْر بن ضابيء وطُلَيْحَة بن خُوَيْلد .

وكانوا يُفيضون في أيّام الوقائع وفي انساب الناس وأخبارهم، وربما ينتهون الى الملاحاة، ويخرجون منها الى المشاتَمَة والمقاتلة، ويعذلهم في ذلك حُجَّاب سعيد بن العاص فيهزمونهم ويضربونهم. وقد قيل: ان سعيداً قال يوماً انما هذا السواد بستان قريش، فقال له الأشتر: السواد الذي أفاء الله علينا بأسيافنا تزعم أنه بستان لك ولقومك؟ وخاض القوم في ذلك فاغلظ لهم عبد الرحمن الأزدي صاحب شرطته فوثبوا عليه وضربوه حتى غُشِيَ عليه. فمنع سعيد بعدها السمرَ عنده، فاجتمعوا في مجالسهم يثلبون سعيداً وعثمان، والسفهاء يغشونهم.

فكتب سعيد وأهل الكوفة الى عثمان في إخراجهم فكتب ان يُلحِقوهم بمعاوية، وكتب الى معاوية أن نفراً خلقوا الفتنة فقم عليهم وانههم، وان آنَسْت منهم رَشَدًا فاقبل منهم، وان أعيوك فارددهم عليّ. فانزلهم معاوية وأجرى عليهم ما كان لهم بالعراق وأقاموا عنده يحضرون مائدته، ثم قال لهم يوماً: انتم قوم من العرب لكم اسنان وألسنة، وقد ادركتم بالاسلام شرفاً، وغلبتم الامم وحويتم مواريثهم، وقد بلغني أنكم نقمتم قريشاً، ولو لم تكن قريش كنتم أذلّة. اذ ائمتكم لكم جُنَّة فلا تفترقوا على جنّتكم، وان ائمتكم يصبرون لكم على الجور ويحملون عنكم المؤنة والله لتنتهنّ او ليبتلينّكم الله بمن يسومكم ولا يحمدكم على الصبر، ثم

تكونوا شركاءهم[1] فيما جررتم على الرعيّة في حياتكم وبعد وفاتكم .

فقال له صَعْصَعَةُ منهم : أمّا ما ذكرت من قريش فانها لم تكن اكثر الناس ولا أمنعها في الجاهلية فتخوّفنا ، واما ما ذكرت من الجُنَّةِ فان الجنة اذا اخترقت خلص الينا . فقال معاوية : الآن عرفتكم وعلمت ان الذي اغراكم على هذا قلّة العقول وانت خطيبهم ، ولا ارى لك عقلاً اعظم عليك امر الاسلام . وتذكرني في الجاهلية ، اخزى الله قوماً عظّموا امركم ، افقهوا عني ولا اظنكم تفقهون .

ثم ذكر شأن قريش وان عِزّها انما كان بالله في الجاهليّةِ والاسلام ولم يكن بكثرة ولا شِدّة ، وكانوا على اكرم أحسَاب واكمل مروءة وبوأهم الله حَرَمَهُ فآمنوا فيه مما اصاب العرب والعجم والاسود والاحمر في بلادهم . ثم ذكر بعثة النبي صلى الله عليه وسلم وان الله ارتضى له اصحاباً كان خيارهم قريشاً . فبنى المُلك عليهم ، وجعل الخلافة فيهم ، فلا يصلح ذلك الا بهم . ثم قرّعهم ووبّخهم وهددهم ، ثم احضرهم بعد ايام وقال : اذهبوا حيث شئتم لا ينفع الله بكم احداً ولا يضره ، وان اردتم النجاة فالزموا الجماعة ولا تبطرنّكم النعمة وسأكتب الى امير المؤمنين فيكم .

(١) في نسخة ب: ثم يكونون شركاءكم .

وكتب الى عثمان انه قدم عليّ أقوام ليست لهم عقول ولا أديان ابطرهم العدل، إنمّا هَمّهُم الفتنة وأموال أهل الذمّة والله مبتليهم ثم فاضحهم وليسوا بالذين يأتون الأمر إلا مع غيرهم، فانه سعيداً ومن عنده عنهم[1]. فخرجوا من عنده قاصدين الجزيرة، ومرّوا بعبد الرحمن بن خالد بن الوليد بحمص فأحضرهم وقال: يا ألّة[2] الشيطان لا مرحباً بكم ولا أهلاً، قد رجع الشيطان محسوراً وانتم بعد في نشاط. خسّر الله عبد الرحمن إن لم يؤدّبكم، يا معشر من لا أدري أعَرَبٌ هم أم عجم. ثم مضى في توبيخهم على ما فعلوه وما قالوه لسعيد ومعاوية. فهابوا[3] سطوته وطفقوا يقولون نتوب الى الله، أقِلْنا أقالك الله. حتى قال: تاب الله عليكم، وسرّح الأشتر الى عثمان تائباً. فقال له عثمان: احلُلْ حيث تشاء. فقال: مع عبد الرحمن بن خالد. قال ذاك اليك! فرجع اليه وقيل: إنهم عادوا الى معاوية من القابلة، ودار بينهم وبينه القول وأغلظوا له، وأغلظ عليهم وكتب الى عثمان فأمر أن يردّهم إلى سعيد، فردّهم فأطلقوا السنتهم وضجّ

---

(١) في الطبري ج ٥ ص ٨٧: وليسوا بالذين ينكون أحداً إلا مع غيرهم، فإنه سعيداً ومن قبله عنهم، فإنهم ليسوا لأكثر من شغب أو نكير.

(٢) الألّة بتشديد اللام الحربة اهـ.

(٣) في نسخة ب: فرهبوا.

سعيد منهم، وكتبوا إلى عثمان فكتب إليه أن يسيّرهم إلى عبد الرحمن بن خالد، فدار بينهم وبينه ما قدّمناه.

وحدث بالبصرة مثل ذلك من الطعن، وكان بدؤه فيما يقال شأن عبدالله بن سبأ المعروف بابن السوداء، هاجر إلى الاسلام من اليهوديّة ونزل على حكيم بن جَبَلَةَ العَبْدِيّ، وكان يتشيّع لأهل البيت ففشت مقالته بالطعن، وبلغ ذلك حكيم بن جبلة، فأخرجه وأتى الكوفة، فأخرج أيضاً واستقر بمصر. وأقام يكاتب اصحابه بالبصرة ويكاتبونه، والمقالات تفشو بالطعن والنكير على الأمراء. وكان حُمران[1] بن أبان أيضاً يحقد لعثمان انه ضربه على زواجه امرأة في العِدّة وسيّره الى البصرة فلزم ابن عامر. وكان بالبصرة عامر بن عبد القيس وكان زاهداً متقشِّفاً، فأغرى به حمران صاحبه ابن عامر، فلم يقبل سِعايته. ثم أذن له عثمان فقدم المدينة ومعه قوم فسعوا بعامر بن عبد القيس انه لا يرى التزويج ولا يأكل اللحم ولا يشهد الجمعة، فالحقه عثمان بمعاوية وأقام عنده حتى تبينت براءته وعرف فضله وحقّه، وقال: ارجع الى صاحبك! فقال لا أرجع الى بلد استحل أهله مني ما استحلوا! وأقام بالشام كثير العبادة والانفراد بالسواحل إلى أن هلك.

ولما فشت المقالات بالطعن والارجاف على الامراء اعتزم سعيد

(١) في نسخة ب: عمران.

ابن العاص على الوفادة على عثمان سنة اربع وثلاثين، وكان قبلها قد ولّى على الأعمال أمراء من قبله فولّى الاشعث بن قيس على أذربَيْجان، وسعيد بن قَيْس على الريّ، والنُّسَيْرُ العِجْلِيّ على هَمَدان والسائب بن الأقرع على أصْبَهان، ومالك بن حبيب على ماه، وحكيم بن سلامة على الموصل، وجرير بن عبدالله على قرقيسيا، وسلمان بن ربيعة على الباب. وجعل على حُلوان عُتَيْبَةَ[1] بن النَّهّاس، وعلى الحرب القَعْقَاع بن عمرو. فخرجوا لأعمالهم وخرج هو وافداً على عثمان، واستخلف عمرو بن حُرَيْث، وخلت الكوفة من الرؤساء. وأظهر الطاعنون أمرهم وخرج بهم يزيد بن قيس يريد خلع عثمان، فبادره القعقاع بن عمرو فقال له: انما تستعفي من سعيد. وكتب يزيد الى الرهط الذين عند عبد الرحمن بن خالد بحمص في القدوم، فساروا اليه وسبقهم الاشتر، ووقف على باب المسجد يوم الجمعة يقول: جئتكم من عند عثمان، وتركت سعيداً يريده على نقصان نسائكم على مئة درهم وردّ اولى[2] البلاء منكم الى الفين، ويزعم أن فيئكم بستان قريش. ثم استخلف الناس، ونادى يزيد في الناس: من شاء أن يلحق بيزيد لردّ سعيد فليفعل. فخرجوا وذوو الرأي يعذلونهم فلا

---

(١) في نسخة ب: عيينة.

(٢) في نسخة ب: على نقض أعطيتكم للنساء وذر البلاء.

يسمعون . وأقام اشراف الناس وعقلاؤهم مع عمرو بن حُرَيث، ونزل يزيد وأصحابه الجرعة[1] قريباً من القادسيّة لاعتراض سعيد وردّه . فلما وصل قالوا : ارجع فلا حاجة لنا بك . قال : انما كان يكفيكم أن تبعثوا واحداً إليّ او الى عثمان . وقال مولىً له : ما كان ينبغي لسعيد أن يرجع ، فقتله الاشتر، ورجع سعيد إلى عثمان فاخبره بخبر القوم، وانهم يختارون أبا موسى الأشعري فولّاه الكوفة، وكتب إليهم : أما بعد فقد أُمرت عليكم من اخترتم وأعفيتكم من سعيد، ووالله لأُقرضنّكم عرضي، ولأبذلنّكم صبري ، ولأستصلحنّكُمْ بجهدي .

وخطب أبو موسى الناس وأمرهم بلزوم الجماعة وطاعة عثمان فرضوا ، ورجع الأمراء من قرب الكوفة، واستمر ابو موسى على عمله .

وقيل إن أهل الكوفة أجمع رأيهم أن يبعثوا الى عثمان ويعذلوه فيما نقم عليه، فأجمع رأيهم على عامر بن عبد القيس الزاهد، وهو عامر بن عبدالله من بني تميم ثم من بني العُنَيس فأتاه . وقالوا له : ان ناساً اجتمعوا ونظروا في أعمالك فوجدوك ركبت أموراً عظاماً، فاتق الله وتب إليه . فقال عثمان : ألا تسمعون الى هذا الذي يزعم الناس انه قارىء، ثم يجيء يكلمني في المحقرات ؟ ووالله

(١) في نسخة ب : المخزعة .

لا يدري أين الله . فقال عامر : بل والله اني لأدري ان الله لبالمرصاد . فارسل عثمان الى معاوية وعبدالله بن أبي سرح وسعيد ابن العاص وعبدالله بن عامر وعمرو بن العاص ــ وكانوا بطانته دون الناس ــ فجمعهم وشاورهم وقال : انكم وزرائي ونصحائي وأهل ثقتي، وقد صنع الناس ما رأيتم . فطلبوا أن أعزل عمالي وأرجع الى ما يحبُّون، فاجتهدوا رأيكم . فقال ابن عامر : أرى أن تشغلهم بالجهاد، وقال سعيد : متى تهلك قادتهم تفرقوا . وقال معاوية : اجعل كفالتهم الى أمرائهم وانا أكفيك الشام . وقال عبدالله : استصلحهم بالمال . فردهم عثمان الى اعمالهم، وأمرهم بتجهيز الناس في البعوث ليكون لهم فيها شغل، وردّ سعيداً الى الكوفة، فلقيه الناس بالجزعة وردّوه كما ذكرناه، وولّى أبا موسى . وأمر عثمان حذيفة بغزو الباب فسار نحوه .

ولما كثر هذا الطعن في الأمصار، وتواتر بالمدينة، وكثر الكلام في عثمان والطعن عليه، وكان له منهم شيعة يذبّون عنه : مثل زيد بن ثابت وأبي أسيد الساعِديّ وكعب بن مالك وحسّان بن ثابت، فلم يغنوا عنه . واجتمع الناس الى عليّ بن أبي طالب وكلّموه وعدّدوا عليه ما نقموه . فدخل على عثمان وذكر له شأن الناس وما نقموا عليه، وذكّره بافعال عُمَرَ وشدّته ولينه هو لعمّاله، وعرض عليه ما يخاف من عواقب ذلك في الدنيا والآخرة . فقال له : ان المغيرة بن شعبة ولّيناه وعمر ولّاه

ومعاوية كذلك . وابن عامر تعرفون رحمه وقرابته . فقال له علي : ان عمر كان يطأ على صماخ من ولاه، وانت ترفق بهم، وكان أخوف لعمر من غلامه يرفأ[1] . ومعاوية يستبد عليك ويقول هذا أمر عثمان فلا تغير عليه . ثم تكالما طويلاً وافترقا، وخرج عثمان على أثر ذلك وخطب، وعرض بما هو فيه من الناس وطعنهم، وما يريدون منه، وانهم تجرأوا عليه لرفقه بما لم يتجرأوا بمثله على ابن الخطاب، ووافقهم برجوعه في شأنه الى ما يقدمهم .

حصار عثمان ومقتله (رض) واثابه ورفع درجته

ولما كثرت الاشاعة في الامصار بالطعن على عثمان وعماله، وكتب بعضهم الى بعض في ذلك، وتوالت الاخبار بذلك على أهل المدينة، جاءوا الى عثمان واخبروه فلم يجدوا عنده علماً منه . وقال : أشيروا علي وانتم شهود المؤمنين . قالوا : تبعث من تثق به الى الامصار يأتوك[2] بالاخبار . فارسل محمد بن مَسلَمَة الى الكوفة وأسامَة بن زيد الى البصرة وعبدالله بن عمر الى الشام وغيرهم الى سواها . فرجعوا وقالوا : ما انكرنا شيئاً ولا أنكره علماء المسلمين ولا عوامهم، وتأخر عمار بن ياسر بمصر واستماله ابن السوداء وأصحابه خالد بن ملجم وسَوْدان بن حمران

(١) وفي الكامل لابن الأثير ج ٣ ص ٧٦ : فقال عليّ أنشدك الله! هل تعلم أن معاوية كان أخوف لعمر من يرفأ غلام عمر له؟

(٢) كذا . وينبغي : ياتونك .

وكنانة بن بِشر . وكتب عثمان الى أهل الامصار اني قد رفع إليّ أهل المدينة انّ عمّالي وقع منهم اضرار بالناس، وقد أخذتهم بان يوافوني في كل موسم، فمن كان له حق فليحضر يأخذ حقّه مني او من عمّالي، او تصدّقوا فان الله يجزي المتصدّقين. فبكى الناس عند قراءة كتابه عليهم، ودعوا له .

وبعث الى عمّال الامصار فقدموا عليه في الموسم : عبدالله ابن عامر وابن أبي سرح ومعاوية وأدخل معهم سعيد بن العاص وعمْراً وقال : ويحكم ما هذه الشكاية والاذاعة ؟ واني لاخشى والله أن يكونوا صادقين ! فقالوا له : ألم يخبرك رسلك بان أحداً لم يشافههم بشيء، وانما هذه إشاعة لا يحلّ الاخذ بها، واختلفوا في وجه الرأي في ذلك . فقال عثمان : ان الامر كائن وبابه سيفتح، ولا أحب ان تكون لاحد عليّ حجّة في فتحه . وقد علم الله اني لم آل الناس خيراً، فسكِّنوا الناس وبيِّنوا لهم حقوقهم .

ثم قدم المدينة فدعا علياً وطَلْحَةَ والزُبَير ــ ومعاوية حاضر ــ، فحمد الله واثنى عليه ثم قال : انتم ولاة هذا الامر واخترتم صاحبكم[1] يعني عثمان، وقد كَبُرَ واشرف وفَشَتْ مقالة خفتها عليكم فما عنيتم به من شيء فأنالكم به، ولا تطمعوا الناس في امركم . فانتهره عليّ، ثم ذهب عثمان يتكلم، وقال : اللذان

(١) في نسخة ب: وولوا صاحبهم.

كانا قبلي منعا قرابتهما احتساباً، وان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يعطي قرابته، وان قرابتي أهل عيلة وقلّة معاش فأعطيتهم، فان رأيتم ذلك خطأً فردّوه. فقالوا: أعطيت عبد الله ابن خالد بن أَسَيْد خمسين ألفاً، ومَرْوان خمسة عشر ألفاً. قال: آخذ ذلك منهما. فانصرفوا راضين.

وقال له معاوية: اخرج معي الى الشام قبل أن يهجم عليك ما لا تطيقه. قال: لا ابتغي بجوار رسول الله صلى الله عليه وسلم بدلًا قال: فابعث اليك جنداً يقيمون معك. قال: لا أضيّق على جيران رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال معاوية: لتغتالنّ ولتغيّرن، قال: حسبي الله ونعم الوكيل. ثم سار معاوية ومرّ على عليّ وطلحة والزبير فوصّاهم بعثمان وودّعهم ومضى.

وكان المنحرفون عن عثمان بالامصار قد تواعدوا عند مسير الامراء الى عثمان أن يثبوا عليه في مغيبهم. فرجع الامراء ولم يتهيأ لهم ذلك. وجاءتهم كتب من المدينة ممن صار الى مذهبهم في الانحراف عن عثمان ان اقدموا علينا فان الجهاد عندنا، فتكاتبوا من أمصارهم في القدوم الى المدينة، فخرج المصريّون وفيهم عبد الرحمن بن عُدَيْس البَلَوِيّ في خمسمائة وقيل في ألف، وفيهم كنانة بن بشر الليثيّ وسودان بن حمران السَّكونيّ ومَيْسَرة

أو قيترة بن فلان[1] السكوني، وعليهم جميعاً الفافِقي بن حرب العكيّ .

وخرج أهل الكوفة وفيهم زيد بن صوحان العَبْدِي والاشتر النَخَعِيّ وزياد بن النَضْر الحارِثي وعبدالله بن الأصمّ العامِرِيّ . وخرج أهل البصرة وفيهم حكيم بن جَبَلَة العَبْدِيّ وذُرَيح بن عَبّاد وبشر بن شُرَيْح القَيْسِيّ وابن المحرش، وعليهم حَرْقُوص بن زُهَيْر السَعْدي، وكلهم في مثل عدد أهل مصر .

وخرجوا جميعاً في شوال مظهرين للحجّ، ولما كانوا من المدينة على ثلاثة مراحل تقدّم ناس من أهل البصرة وكان هواهم في طلحة فنزلوا ذا خَشَب، وتقدّم ناس من أهل الكوفة وكان هواهم في الزُبَيْر فنزلوا الأعوَص، ونزل معهم ناس من أهل مِصْرَ وكان هواهم في عليّ، وتركوا عامتهم بذي المروة . وقال زياد بن النضر وعبدالله بن الأصمّ من أهل الكوفة : لا تعجلوا حتى ندخل المدينة فقد بلغنا أنّهم عَسكروا لنا، فوالله إن كان حقّاً لا يقوم لنا أمر .

ثم دخلوا المدينة ولقوا عَليّاً وطَلْحَة والزُبَيْر وأمهاتِ المؤمنين واخبروهم انهم إنما اتوا للحجّ، وان يستعفوا من بعض العُمّال، واستأذنوا في الدخول فمنعوهم ورجعوا الى اصحابهم وتشاوروا

(١) في الكامل ج ٣ ص ٧٩ : قتيرة بن فلان السكوني .

في ان يذهب من أهل الكوفة وكل مصر فريق الى اصحابهم كياداً وطلباً في الفرقة. فأتى المصريّون علياً وهو في عسكره عند احجار الزيت، وقد بعث ابنه الحسن الى عثمان فيمن اجتمع عليه فعرضوا عليه أمرهم، فصاح بهم وطردهم وقال: ان جيش ذي المروة وذي خشب والأعوص ملعونون على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد علم ذلك الصالحون.

واتى البَصْريُّون طَلْحَةَ والكوفيُّون الزُّبَيْر فقالا مثل ذلك، فانصرفوا وافترقوا عن هذه الأماكن الى عسكرهم على بعد. فتفرق أهل المدينة فلم يشعروا إلّا والتكبير في نواحيها وقد هجموا وأحاطوا بعثمان، ونادوا بأمان من كفّ يده.

وصلّى عثمان بالناس أياماً، ولزم الناس بيوتهم ولم يمنعوا الناس من كلامه. وغدا عليهم عليٌّ فقال: ما ردّكم بعد ذهابكم؟ قالوا: أخذنا كتاباً مع يزيد بقتلنا. وقال البَصريُّون لطلحة والكوفيُّون للزُّبَيْر مثل مقالة أهل مصر وانهم جاءوا لينصروهم. فقال لهم عليٌّ: كيف علمتم بما لقي أهل مصر وكلكم على مراحل من صاحبه حتى رجعتم علينا جميعاً؟ هذا أمر أُبْرِمَ بِلَيْل: فقالوا: أجعلوه كيف شئتم، لا حاجة لنا بهذا الرجل ليعتزلنا وهم يصلُّون خلفه، ومنعوا الناس من الاجتماع معه.

وكتب عثمان الى أهل الأمصار يستحثُّهم، فبعث معاوية حبيب بن مَسْلَمَةَ الفِهْرِيّ، وبعث عبدالله بن أبي سرح معاوية بن

جُرَيْح، وخرج من الكوفة القَعْقَاعُ بن عمرو، وتسابقوا الى المدينة على الصعب والذَلول . وقام بالكوفة نفر يَحُضُّون على إعانة أهل المدينة، فمن الصحابة عُقْبَةُ بن عامر [1] وعبدالله بن أبي أوفى وحَنْظَلَةُ الكاتب، ومن التابعين مسروق الأسود وشُرَيْح وعبدالله ابن حكيم . وقام بالبصرة في ذلك عِمران بن حُصَيْن وأَنَس بن مالك وهشام بن عامر، ومن التابعين كعب بن سِوار وهَرِم بن حَيَّان . وقام بالشام وبمصر جماعة أخرى من الصحابة والتابعين . ثم خطب عثمان في الجمعة القابلة وقال : يا هؤلاء ! الله، الله ! فوالله إن أهل المدينة ليعلمون انكم ملعونون على لسان محمد فامحوا الخطأ بالصواب . فقال محمد بن مسلمة أنا أشهد بذلك، فأقعده حكيم ابن جَبَلَة . وقام زيد بن ثابت فاقعده آخر، وحصبوا الناس حتى أخرجوهم من المسجد، وأُصيب عثمان بالحَصْبَاء فصَرَخ، وقاتل دونه سعد بن أبي وقّاص والحُسَيْن وزيد بن ثابت وابو هُرَيْرَة . ودخل عثمان بيته وعزم عليهم في الانصراف فانصرفوا . ودخل عليّ وطلحة والزبير على عثمان يعودونه وعنده نفر من بني أُمَيَّة فيهم مروان فقالوا لعليّ : اهلكتنا وصنعت هذا الصنع، والله لئن بلغت الذي تريد لتحزن عليك الدنيا، فقام مغضباً، وعادوا الى منازلهم .

---

(١) في نسخة ب: ابن عمر.

وصلّى عثمان بالناس وهو محصور ثلاثين يوماً. ثم منعوه الصلاة وصلّى بالناس امير المصريين الغافِقِيّ بن حَرْبٍ العَكّي. وتفرّقَ أهل المدينة في بيوتهم وحيطانهم ملازمين للسلاح، وبقي الحصار اربعين يوماً. وقيل بل أمّر عثمان ابا ايوب الأنصاري فصلى اياماً. ثم صلّى عليّ بعده بالناس وقيل أمّر عليّاً سهل بن حنيف فصلى عشر ذي الحجة، ثم صلّى العيد والصلوات حتى قتل عثمان. وقد قيل في حصار عثمان: إن محمد بن ابي بكر ومحمد بن حُذَيْفَةَ كانا بمصر يحرضان على عثمان. فلما خرج المصريون في رجب مظهرين للحج ومضمرين قتل عثمان او خلعه، وعليهم عبد الرحمن بن عديس البلوي، كان فيمن خرج مع المصريين محمد بن ابي بكر. وبعث عبدالله بن سعيد في آثارهم واقام محمد بن ابي حذيفة بمصر. فلما كان ابن ابي سرح بأَيْلَةَ بلغه ان المصريين رجعوا الى عثمان فحصروه، وان محمد بن ابي حذيفة غلب على مصر، فرجع سريعاً اليها فمنع منها فأتى فلسطين واقام بها حتى قتل عثمان.

وأما المصريون فلما نزلوا ذا خشب جاء عثمان الى بيت عليّ ومتّ إليه بالقرابة في أن يركب إليهم ويردّهم لئلا تظهر الجرأة منهم فقال له عليّ: قد كلّمتك في ذلك فأطعت أصحابك وعصيتني ا — يعني مروان ومعاوية وابن عامر وابن ابي سرح وسعيد — فعلى أي شيء أردّهم؟ فقال على أن أصير الى ما تراه وتشيره، وأن اعصي أصحابي وأطيعك. فركب عليّ في ثلاثين من المهاجرين

والأنصار فيهم سعد بن زيد وأبو جَهْمٍ العَدْوِيّ وجُبَيْر بن مُطعِم وحكيم بن حِزام ومروان بن الحَكَم وسعيد بن العاص وعبد الرحمن ابن عِتاب، ومن الأنصار ابو أُسَيْد الساعِدي وأبو حميد وزيد بن ثابت وحسّان وكعب بن مالك، ومن العرب دينار[1] بن مكرز. فأتوا المصريين وتولّى الكلام معهم عليّ ومحمد بن مسلمة. فرجعوا الى مصر وقال ابن عديس لمحمد: اتوصينا بحاجة؟ قال تتقي الله وتردّ من قبلك عن أمانه، فقد وعدنا أن يرجع وينزع.

ورجع القوم الى المدينة ودخل عليّ على عثمان وأخبره برجوع المصريين. ثم جاءه مروان من الغد فقال له: أخبر الناس بان أهل مصر قد رجعوا وان ما بلغهم عنك كان باطلًا قبل أن تجيء الناس من الأمصار ويأتيك ما لا تطيقه ففعل. فلما خطب ناداه الناس من كل ناحية[2]: اتق الله يا عثمان وتب الى الله، وكان أوّلهم عمرو بن العاص. فرفع يده وقال لهم: إني تائب. وخرج عمرو بن العاص الى منزله بفلسطين، ثم جاء الخبر بحصاره وقتله. وقيل: إن عليًّا لما رجع عن المصريين أشار على عثمان ان يسمع الناس ما اعتزم عليه من النزوع قبل أن يجيء غيرهم ففعل وخطب بذلك، وأعطى الناس من نفسه التوبة وقال: أنا أوّل من اتعظ، استغفر الله مما فعلت وأتوب إليه، فليأت أشرافكم يروني

(١) في نسخة ب: ينار.
(٢) في نسخة ب: من كل جهة.

رأيهم، فوالله إن ردّني الحقّ عبداً لاستنّ[1] بسنّة العبد ولاذلنّ ذلّ العبد، وما عن الله مذهب إلا إليه. فوالله لاعطينكم الرضى ولا احتجب عنكم. ثم بكى وبكى الناس ودخل منزله.

فجاءه نفر من بني أميّة يعذلونه في ذلك فوبختهم نائلَةُ بنت القَرافِصَةِ، فلم يرجعوا إليها وعابوه فيما فعل واستذلّوه في إقراره بالخطيئة والتوبة عند الخوف، واجتمع الناس في الباب وقد ركب بعضهم بعضاً. فقال لمروان كلّمهم! فاغلظ لهم في القول وقال: جئتم لنزع[2] ملكنا من أيدينا. والله لئن رمتمونا ليمرّن عليكم منا أمر لا يسرّكم ولا تحمدوا غبّ[3] رأيكم، ارجعوا الى منازلكم فانا والله ما نحن مغلوبون على ما في أيدينا.

وبلغ الخبر عليّاً فنكر ذلك وقال لعبد الرحمن بن الأسود ابن عبد يغوث: اسمعت خطبته بالأمس، ومقالة مروان للناس اليوم؟ يا لله ويا للناس! إن قعدت في بيتي قال تركتني وقرابتي وحقي، وان تكلمت فجاء ما يريد يلعب به مروان ويسوقه حيث يشاء بعد كبر السنّ وصحبة الرسول. وقام مغضباً الى عثمان واستقبح مقالة مروان وأنّبه عليها وقال: ما أنا عائد بعد مقامي هذا لمعاتبتك، فقد اذهبت شرفك وغلبت على رأيك. ثم دخلت

---

(١) في نسخة ب: لأسيرن.

(٢) في نسخة ب: تنزعون.

(٣) في نسخة ب: راغب.

عليه امرأته نائلة وقد سمعت قول عليّ، فعذلته في طاعة مروان وأشارت عليه باستصلاح عليّ، فبعث إليه فلم يأته .

فأتاه عثمان الى منزله ليلاً يستلينه ويعده الثبات على رأيه معه، فقال : بعد أن أقام مروان على بابك يشتم الناس ويؤذيهم؟ فخرج عثمان وهو يقول خذلتني وجرّأت عليّ الناس ! فقال عليّ : والله اني اكثر الناس ذبًّا عنك، ولكني كلما جئت بشيء أظنّه لك رضاً جاء مروان بأخرى فسمعتَ قوله وتركتَ قولي .

ثم مُنِعَ عثمان الماء فغضب عليّ غضباً شديداً حتى دخلت الروايا على عثمان، وقيل إن علياً كان عند حصار عثمان بخيبر فقدم[1] والناس يجتمعون عند طلحة فجاءه عثمان وقال يا عليّ ! إن لي حقّ الاخاء والقرابة والصهر، ولو كان أمر الجاهِلِيَّةِ فقط لكان عاراً على بني عبد مناف أن تنتزع تيم أمرهم ! فجاء عليّ الى طلحة وقال ما هذا ؟ فقال طلحة : أَبَعْدَ ما مسَّ الحِزام الطِّبْيَيْن[2] يا أبا حسن ! فانصرف عليٌّ الى بيت المال واعطى الناس فبقي طلحة وحده. وسرّ بذلك عثمان وجاء إليه طلحة فقال له : والله ما جئت تائباً ولكن مغلوباً، فالله حسيبك يا طلحة .

---

(١) في نسخة ب : فقام .

(٢) مثنى طِبْي وجمعها أطباء وهي حلمات الضرع التي من ذوات خف وظلف وحافر والسباع . وهو مثل وقد روي : بلغ الحزام الطبيين . ويضرب للأمر يبلغ غايته في الشدة .

وقيل إن المصريين لما رجعوا خرج إليهم محمد بن مَسْلَمَة فأعطوه صحيفة قالوا وجدناها عند غلام عثمان بالبُوَيْب، وهو على بعير من إبل الصَّدَقةِ يأمر فيها بجلد عبد الرحمن بن عُدَيْس وعمرو بن الحَمِق وعُرْوَة بن البيّاع، وحبسهم وحلق رؤوسهم ولحاهم وصلب بعضهم. وقيل وُجِدَتِ الصحيفة بيد أبي الأعْوَرِ السَلَمِيّ. فعاد المصريون وعاد معهم الكوفيّون والبَصريّون، وقالوا لمحمد بن مسلمة حين سألهم: قد كلمنا علياً وسعد بن أبي وقاص وسعيد بن زيد فوعدونا أن يكلّموه، فليحضر عليّ معنا عند عثمان. ثم دخل عليّ ومحمد على عثمان وأخبروه بقول أهل مصر فحلف ما كتب ولا علم.

فقال محمد: صدق! هذا من عمل مروان. ودخل المصريّون، فشكا ابن عُدَيْس بابن أبي سَرْح وما أحدثه بمصر، وانه ينسب ذلك الى كتاب عثمان، وانا جئنا من مصر لقتلك فردّنا عليّ ومحمد وضمنا لنا النزوع عن هذا كلّه، فرجعنا ولقينا هذا الكتاب وفيه أمرك لابن ابي سرح بجلدنا والمُثْلَة بنا وطول الحبس، وهو بيد غلامك وعليه خاتمك. فحلف عثمان ما كتب ولا أمر ولا علم. قالوا فكيف يجترىء عليك بمثل هذا؟ فقد اسْتَحَقَّيْتَ الخَلْع على التقديرين، ولا يحلّ أن يولّى الامور من ينتهي الى هذا الضعف فاخلع نفسك. فقال: لا أنزع ما البسني الله، ولكن أتوب وأرجع.

قال: رأيناك تتوب وتعود فلا بدّ من خلعك أو قتلك، وقتال اصحابك دون ذلك الى ان يخلص اليك او تموت. فقال: لا ينالكم أحد بأخرى[1] ولو أردت ذلك لاستجشت بأهل الأمصار. ثم كثر اللغط وأخرجوا ومضى عليّ الى منزله، وحصر المصريون عثمان وكتب الى معاوية وابن عامر يستحثهم. وقام يزيد بن أَسَدٍ القسري فاستنفر أهل الشام وسار الى عثمان وبلغهم قتله بوادي القرى فرجعوا. وقيل سار من الشام حبيب بن مسلمة، ومن البصرة مُجاشِعُ بن مسعود فبلغهم قتله بالرَّبَذةِ فرجعوا.

وكان بطانة عثمان أشاروا عليه أن يبعث الى عليّ في كفهم عنه على الوفاء لهم، فبعث إليه في ذلك فاجاب بعد توقف. ثم بعث اليهم فقالوا: لا بد أن تتوثّق منه، وجاءه فاعلمه وتوثّق منه، على أجل ثلاثة أيّام. وكتب بينهم كتاباً على ردّ المظالم وعزل من كرهوه من العُمّال. ثم مضى الأجل وهو مستعدّ ولم يغيّر شيئاً، فجاءه المصريّون من ذي خشب يستنجزون عهدهم فأبى فحصروه.

وأرسل الى عليٍّ وطَلْحَةَ والزُّبَيْر وأشرف عليهم فحيّاهم ودعا لهم ثم قال: انشدكم الله تعالى هل تعلمون أنكم دعوتم الله عند مصاب عمر أن يختار لكم ويجمعكم على خيركم؟ أتقولون إنه لم يستجب لكم، او تقولون إن الله لم يبال بمن ولّى هذا الدين، ام

---

(١) في الكامل لابن الأثيرج ٣ ص ٨٥: فمن قاتلكم فبغير أمري قاتل.

تقولون إن الأئمة ولو مكابرة وعن غير مشورة فوكلهم الى أمرهم. أولم يعلم عاقبة أمري! ثم أنشدكم الله هل تعلمون لي من السوابق ما يجب حقه! فهلّا فلا يحلّ إلا قتل ثلاثة: زانٍ بعد إحصان، وكافر بعد إيمان، وقاتل بغير حقّ. ثم إذا قتلتموني وضعتم السيف على رقابكم، ثم لا يرفع الله عنكم الاختلاف.

فقالوا له: اما ذكرت من الاستخارة بعد عمر فكل ما صنع الله تعالى فيه الخِيَرة، ولكنّ الله ابتلى بك عباده. وأما حقّك وسابقتك فصحيح، لكن أحدثت ما علمت، ولا تترك اقامة الحق مخافة الفتنة عاماً قابلًا. وأمّا حصر القتل في الثلاثة ففي كتاب الله: قتل من سعى في الأرض فساداً، ومن قاتل على البغي وعلى منع الحق والمكابرة عليه، وانت إنما تمسّكت بالأمارة علينا، وانما قاتل دونك هؤلاء بهذه التسمية، فلو نزعتها انصرفوا.

فسكت عثمان ولزم الدار، وأقسم على الناس بالانصراف فانصرفوا إلّا الحَسَن بن عليّ ومحمد بن طَلْحة وعبدالله بن الزُّبَيْر، وكانت مدة الحصار اربعين يوماً. ولثمان عشرة منها وصل الخبر بمسير الجنود من الأمصار فاشتد الحصار ومنعوه من لقاء الناس ومن الماء. وارسل الى عليّ وطلحة والزبير وأمهات المؤمنين يطلب الماء. فركب عليّ اليهم مُغلِساً وقال: يا أيها الناس ان هذا لا يشبه أمر المؤمنين ولا الكافرين! وانّ الأسير عند فارس والروم يُطعَم ويُسقى. فقالوا لا والله ونعمة عين، فرجع وجاءت أم حُبَيْبَة

على بغلتها مشتملةً على أَدَاوَةٍ وقالت : أردت أن أسأل هذا الرجل عن وصايا عنده لبني أميّة او تهلك اموال أيتامهم واراملهم فقالوا : لا والله وضربوا وجه البغلة فنفرت وكادت تسقط عنها، وذهب بها الناس الى بيتها .

واشرف عليهم عثمان وقرّر حقوقه وسوابقه . فقال بعضهم : مهلًا عن أمير المؤمنين . فجاء الأشتر وفرّق الناس وقال : لا يمكر بكم . ثم خرجت عائشة الى الحج ودعت أخاها فأبى فقال له حنظلة الكاتب : تدعوك أم المؤمنين فلا تتبعها وتتبع سفهاء العرب فيما لا يحلّ؟ ولو قد صار الأمر الى الغلبة غلبك عليه بنو عبد مناف . ثم ذهب حنظلة الى الكوفة، وبلغ طلحة والزبير ما لقي عليّ وأم حبيبة فلزموا بيوتهم . وكان آل حزم يدسّون الماء الى بيت عثمان في الغفلات، وكان ابن عبّاس ممّن لزم باب عثمان للمدافعة، فأشرف عليه عثمان وأمره أن يحجّ بالناس فقال : جهاد هؤلاء أحب إليّ ! فأقسم عليه وانطلق .

ولما رأى أهل مصر أن أهل الموسم يريدون قصدهم، وأن أهل الأمصار يسيرون إليهم اعتزموا على قتل عثمان (رض) وتقبل شهادتهم يرجون في ذلك خلاصهم، واشتغال الناس عنهم، فقاموا إلى الباب ليفتحوه فمنعهم الحسن بن علي وابن الزُّبَيْر ومحمد بن طَلْحَةَ ومروان وسعيد بن العاص ومن معهم من أبناء الصحابة، وقاتلوهم وغلبوهم دون الباب . ثم صدّهم عثمان عن

القتال وحلف ليدخلنّ فدخلوا واغلق الباب فجاءوا بالنار وأحرقوه، ودخلوا وعثمان يصلّي وقد افتتح سورة طه . وقد سار أهل الدار فما شغله شيء من أمرهم حتى فرغ وجلس الى المصحف يقرأ فقرأ : ﴿ ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَـٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴾ . ثم قال لمن عنده : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد عَهِدَ إليَّ عهداً فانا صابر عليه ومنعهم من القتال، وأذن للحسن في اللحاق بأبيه وأقسم عليه، فأبى وقاتل دونه . وكان المُغيرَةُ بن الأخنَس بن شُرَيق قد تعجّل من الحج في عِصابَةٍ لنصره فقاتل حتى قتل . وجاء ابو هُرَيْرَة ينادي : يا قوم ما لي أدعوكم الى النَّجاةِ وتَدعُونَني إلى النار، وقاتل .

ثم اقتُحِمَت الدار من ظهرها من جهة دار عَمرو بن حَزم فامتلأت قوماً ولا يشعر الذين بالباب، وانتدب رجل فدخل على عثمان في البيت فحاوره في الخلع فأبى، فخرج ودخل آخر ثم آخر كلّهم يعظه فيخرج ويفارق القوم . وجاء ابن سلّام فوعظهم فهمّوا بقتله . ودخل عليه محمد بن أبي بكر فحاوره طويلًا بما لا حاجة إلى ذكره، ثم استحيا وخرج . ثم دخل عليه السُفَهاء فضربه أحدهم وأكبت عليه نائلة امرأته تتقي الضرب بيدها، فنفحها أحدهم بالسيف في أصابعها . ثم قتلوه وسال دمه على المصحف .

وجاء غلمانه فقتلوا بعض اولئك القاتلين وقتلاء أخر وانتهبوا

ما في البيت وما على النساء حتى ملاءة نائلة، وقتل الغلمان منهم، وقتلوا من الغلمان . ثم خرجوا إلى بيت المال فانتهبوه وارادوا قطع رأسه فمنعهم النساء . فقال ابن عديس : اتركوه .

ويقال ان الذي تولى قتله كنانة بن بشر التجيبي . وطعنه عمرو بن الحمق طعنات . وجاء عمير بن ضابي، وكان أبوه مات في سجنه فوثب عليه حتى كسر ضلعاً من أضلاعه . وكان قتله لثمان عشرة خلت من ذي الحجة، وبقي في بيته ثلاثة أيام .

ثم جاء حكيم بن حزام وجبير بن مطعم إلى علي فأذن لهم في دفنه، فخرجوا به بين المغرب والعشاء ومعهم الزبير والحسن وأبو جهم بن حذيفة ومروان فدفنوه في حش كوكب [١] وصلى عليه جبير وقيل مروان وقيل حكيم . ويقال : إن ناساً تعرضوا لهم ليمنعوا من الصلاة عليه فأرسل اليهم علي وزجرهم . وقيل إن علياً وطلحة حضرا جنازته، وزيد بن ثابت وكعب بن مالك .

وكان عماله عند موته على ما نذكره : فعلى مكة عبدالله ابن الحضرمي، وعلى الطائف القاسم بن ربيعة الثقفي، وعلى صنعاء يعلى بن منية، وعلى الجند عبدالله بن ربيعة، وعلى البصرة والبحرين عبدالله بن عامر، وعلى الشام معاوية بن أبي سفيان، وعلى حمص عبد الرحمن بن خالد من قبله، وعلى قنسرين حبيب بن مسلمة

(١) هو حائط من حيطان المدينة وهو خارج البقيع .

كذلك، وعلى الأُرْدُنّ أبو الأعوَر السّلَميّ كذلك، وعلى فِلَسْطِين علقَمَةُ بن حكيم الكِنْدِي[1] كذلك، وعلى البحرين عبدالله بن قيس الفَزَاري، وعلى القضاء أبو الدَرْداء، وعلى الكوفة أبو موسى الأشعري على الصلاة، والقَعْقَاع بن عمرو على الحرب، وعلى خراج السواد جابر المُزَنِيّ، وسماك الأنصاريّ على الخراج، وعلى قرقيسيا جرير بن عبدالله، وعلى أَذْرَبِيْجان الأشعَث بن قيس، وعلى حُلْوان عُتَيْبَة بن نهّاس[2] وعلى أَصبَهان السائب بن الأقرع، وعلى ماسبدان خُنَيْس[3]، وعلى بيت المال عُقْبَةُ بن عمرو، وعلى القضاء زيد بن ثابت .

بيعة عليّ (رض)

لما قتل عثمان اجتمع طلحة والزبير والمهاجرون والانصار وأتوا عليًّا يبايعونه فأبى وقال : أكون وزيرًا لكم خير من ان أكون أميراً، ومن اخترتم رضيته، فألحّوا عليه وقالوا له : لا نعلم أحق منك ولا نختار غيرك حتى غلبوه في ذلك، فخرج الى المسجد وبايعوه. وأول من بايعه طَلْحَةُ ثم الزُبَيْرُ بعد ان خيّرهما ــ ويقال

(١) في نسخة ب : الكناني.
(٢) في نسخة ب : عيينة بن النهاس.
(٣) في نسخة ب : عنيس.

إنهما ادعيا الاكراه بعد ذلك بأربعة اشهر وخرجا الى مكة ـ ثم بايعه الناس وجاءوا بسَعْدٍ فقال لعليٍّ حتى تبايعك[1] الناس فقالوا خلّوه ! وجاءوا بابن عُمَرَ فقال كذلك . فقال ائتني بكفيل قال لا أجده، فقال الأشتر دعني أقتله، فقال عليٌّ دعوه أنا كفيله .

وبايعت الانصار، وتأخر منهم حسّان بن ثابت وكعب بن مالك ومسلمة بن مخلد وأبو سعيد الخدريّ ومحمد بن مَسْلَمَة والنُعمان ابن بشير وزيد بن ثابت ورافع بن خَديج وفُضالَة بن عُبيد وكعب بن عُجْرَة وسَلَمَة بن سَلامَة بن وخش . وتأخر من المهاجرين عبدالله بن سلّام وصُهيب بن سنان وأسامة بن زيد وقُدامَة بن مَظعون والمُغيرَة بن شُعبَة . وأما النُعمان بن بشير فأخذ اصابع نائلة امرأة عثمان وقميصه الذي قتل فيه ولحق بالشام صريخاً .

وقيل إن عثمان لما قتل بقي الغافِقيُّ بن حرب أميراً على المدينة خمسة أيّام والتمس من يقوم بالأمر فلم يجبه أحد، وأتوا الى عليّ فامتنع، وأتى الكوفيُّون الزُبَير والبَصريُّون طلحة فامتنعا ، ثم بعثوا الى سعد وابن عمر فامتنعا[2] فبقوا حيارى ورأوا أن رجوعهم إلى الامصار بغير إمام يوقع في الخلاف والفساد، فجمعوا أهل المدينة وقالوا : انتم أهل الشورى وحكمكم جائز على الامة فاعقدوا الامام ونحن لكم تبع ، وقد أجّلناكم يومين وإن

(١) كذا في الأصل والأصح : حتى يبايعك الناس.
(٢) في نسخة ب: ثم بعثوا إلى سعد بن عمر فامتنع.

لم تفعلوا قتلنا فلاناً وفلاناً وغيرهم يشيرون الى الاكابر . فجاء الناس الى عليّ فاعتذر وامتنع، فخوّفوه الله في مراقبة الاسلام، فوعدهم الى الغد .

ثم جاءوه من الغد . وجاء حكيم بن جَبَلَةَ[1] في البصريين فاحضر الزبير كرهاً، وجاء الأشتر في الكوفيين فاحضر طلحة كذلك، وبايعوا لعليٍ وخرج الى المسجد وقال : هذا أمركم ليس لاحد فيه حق إلا من أردتم، وقد افترقنا امس وانا كاره فأبيتم إلا ان اكون عليكم، فقالوا نحن على ما افترقنا لك عليه بالامس فقال لهم : اللهمّ اشهد! ثم جاءوا بقوم ممن تخلف قالوا نبايع على إقامة كتاب الله . ثم بايع العامة، وخطب عليّ وذكّر الناس، وذلك يوم الجمعة لخمس بقين من ذي الحجة، ورجع الى بيته فجاءه طلحة والزبير وقالا : قد اشترطنا إقامة الحدود فَلْتُقِمْها على قتلة هذا الرجل فقال : لا قدرة لي على شيء مما تريدوه[2] حتى يهدأ الناس وتستقِرّ الأُمور فتؤخَذ الحقوق . فافترقوا عنه، وأكثر بعضهم المقالة في قتلة عثمان وباستناده الى اربعة في رأيه .

وبلغه ذلك فخطبهم وذكر فضلهم وحاجته اليهم ونظره لهم . ثم هرب مروان وبنو أميّة ولحقوا بالشام، فاشتدّ على عليّ منع

(١) في نسخة ب : وجاء حكم بن عبلة .
(٢) كذا . وينبغي : تريدونه .

قريش من الخروج . ثم نادى في اليوم الثالث برجوع الأعراب الى بلادهم فأبوا وتذامرت معهم السبئيَّة، وجاءه طلحة والزبير فقالا : دعنا نأت البصرة والكوفة فنستنفر الناس فامهلهما . وجاء المغيرة فأشار عليه باستبقاء العمال حتى يستقر الأمر ويستبدلوا بمن شاء، فامهله . ورجع من الغد، فأشار بعاجلة الاستبدال . وجاءه ابن عباس فأخبره بخبر المغيرة فقال : نصحك أمس وغشّك اليوم . قال : فما الرأي؟ قال : كان الرأي أن تخرج عند قتل الرجل أو قبل ذلك إلى مكّة، وأما اليوم فان بني أميّة يشبّهون على الناس بأن يلجموك طرفاً من هذا الأمر ويطلبون ما طلب أهل المدينه في قَتَلَةِ عثمان فلا يقدرون عليهم، والرأي أن تقرّ معاوية . فقال عليّ (رض) والله لا أعطيه إلّا السيف .

فقال له ابن عبّاس : انت رجل شجاع، لست صاحب رأي في الحرب . أما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : الحرب خدعة : قال بلى ! فقال ابن عبّاس : أما والله إن اطعتني لاتركنّهم ينظرون في دُبْرِ الأمور ولا يعرفون ما كان وجهها من غير نقصان عليك ولا اثم لك . فقال يا ابن عبّاس : لست من هنيّاتك ولا هنيّات معاوية في شيء[1] . فقال ابن عبّاس :

---

(١) في نسخة ب: لست من سامك ولا سنامك معاوية في شيء، وفي الكامل ج ٣ ص ١٠١ : لست من هناتك ولا من هنات معاوية في شيء، وفي الطبري ج ٥ ص ١٦١ : لست من هُنيئتك وهُنيئات معاوية في شيء.

أطعني والحق بمالك بِيَنْبُعَ، وأغلق بابك عليك، فان العرب تجول جولة وتضطرب ولا تجد غيرك. وإن نهضت مع هؤلاء اليوم يُحَمِّلُكَ الناس دم عثمان غداً. فأبى علي وقال: أشر علي واذا خالفتك أطعني. قال: أيسر مالك عندي الطاعة. قال: فسر الى الشام فقد وليتكها. قال اذاً يقتلني معاوية بعثمان او يحبسني فيتحكَّم عليّ لقرابتي منك، ولكن اكتب إليه وعده فأبى. وكان المُغِيرَةُ يقول: نصحته فلم يقبل، فغضب ولحق بمكّة. ثم فرّق عليّ العمال على الأمصار فبعث على البصرة عثمان بن حنيف، وعلى الكوفة عِمارَةَ بن شهاب من المهاجرين، وعلى اليمن عبدالله ابن عبّاس، وعلى مصر قيس بن سعد، وعلى الشام سهل بن حنيف. فمضى عثمان إلى البصرة فدخلها واختلفوا عليه فاطاعته فرقة، وقال آخرون: ننظر ما يصنع أهل المدينة فنقتدي بهم. ومضى عمارة الى الكوفة، فلما بلغ زبالة لقي طليحة بن خويلد فقال له: ارجع فان القوم لا يستبدلون بأبي موسى والا ضُرِبَتْ عنقك. ومضى ابن عبّاس الى اليمن فجمع يعلى بن مَنِيَّةَ[1] مال الجباية وخرج به الى مكة ودخل عبدالله الى اليمن، ومضى قيس بن سعد الى مصر ولقيه بأيلة خيّالة من أهل مصر فقالوا: من أنت: قال قَيْس بن سعد من فلّ عثمان أطلب من آوي إليه وانتصر به.

---

(١) في نسخة ب: ابن حقبة.

ومضى حتى دخل مصر وأظهر أمره فافترقوا عليه، فرقة كانت معه، وأخرى تربّصوا حتى يروا فعله في قتلة عثمان .

ومضى سهل بن حنيف الى الشام حتى اذا كان بتبوك لقيته خيل فقال لهم : أنا أمير على الشام قالوا إن كان بعثك غير عثمان فارجع فرجع . فلما رجع وجاءت أخبار الآخرين دعا عليّ طلحة والزبير وقال: قد وقع ما كنت احذركم، فسألوه الاذن في الخروج من المدينة وكتب عليّ الى أبي موسى مع معبد[1] الأسلميّ فكتب إليه بطاعة أهل الكوفة وبيعتهم، ومن الكاره منهم والراضي حتى كأنه يشاهد . وكتب الى معاوية مع سَبْرَةَ الجُهَنِيّ فلم يجبه الى ثلاثة أشهر من مقتل عثمان . ثم دعا قُبَيْصَةَ من عبس وأعطاه كتاباً مختوماً عنوانه : من معاوية الى عليّ واوصاه بما يقول وأعاده مع رسول عليّ . فقدم في ربيع الأول، ودخل العبسي وقد رفع الطومار كما أمره حتى دفعه الى علي ففضّه فلم يجد فيه كتاباً. فقال للرسول: ما وراءك قال آمن أنا؟ قال نعم ! قال تركت قوماً لا يرضون إلا بالقود، قال وممّن؟ قال منك . وتركت ستين ألف شيخ يبكون تحت قميص عثمان منصوباً على منبر دمشق .

فقال : اللهم إني أبرأ اليك من دم عثمان ! قد نجا والله

---

(١) في نسخة ب: فهد.

قتلة عثمان إلا أن يشاء الله . ثم رده الى صاحبه وصاحت السَبَئِيَّة : اقتلوا هذا الكلب وافد الكلاب. فنادى يا لمضر يا لقيس أحلف بالله ليردّنها عليكم أربعة آلاف خصي، فانظروا كم الفحول والركاب وتقاووا عليه فمنعته مضر، ودسّ أهل المدينة على عليّ من يأتيهم برأيه في القتال، وهو زياد بن حنظلة التميمي وكان منقطعاً إليه، فجالسه ساعة، فقال له عليّ : سيروا لغزوا الشام. فقال لعليّ الأناة والرفق أمثل فتمثل يقول:

متى تَجْمَع القَلْبَ الذَكِيّ وصارِماً وأنفاً حَمِيًّا تَجْتَنِبْكَ المظـالِمُ

فعلم أن رأيه القتال[1]، ثم جاء إلى القوم الذين دسّوه فاخبرهم ثم استأذنه طلحة والزبير في العمرة ولحقا بمكّة . ثم اعتزم على الخروج الى الشام ودعا أهل المدينة الى قتالهم وقال: انطلقوا الى هؤلاء القوم الذين يريدون تفريق جماعتكم، لعلّ الله يصلح بكم ما أفسد أهل الآفاق وتقضون الذي عليكم . وأمر الناس بالتجهزّ إلى الشام، ورفع اللواء لمحمد بن الحَنَفِيَّة، وولّى عبدالله بن عبّاس ميمنته وعمرو بن أبي سَلَمَة ميسرته، ويقال بل عمرو بن سفيان ابن عبد الأسد وولّى أبا ليلى بن عمرو بن الجرّاح ابن أخي عُبَيْدَة مقدّمته، ولم يولّ أحداً ممّن خرج على عثمان .

---

(١) وفي الطبري ج ٥ ص ١٦٣ : فخرج زياد على الناس والناس ينتظرونه، فقالوا ما وراءك؟ فقال السيف يا قوم، فعرفوا ما هو فاعل.

واستخلف على المدينة تمام بن العباس، وعلى مكّة قثم بن العباس . وكتب الى قيس بن سعد بمصر وعثمان بن حنيف بالبصرة وابي موسى بالكوفة أن يندبوا الناس الى الشام، وبينما هو على التجهيز للشام إذ أتاه الخبر عن أهل مكّة بنحو آخر وأنهم على الخلاف فانتقض عن الشام .

امر الجمل

ولما جاء خبر مكّة إلى عليّ قام في الناس وقال : ألا إن طلحة والزبير وعائشة قد تمالأوا على نقض إمارتي ودعوا الناس إلى الاصلاح، وسأصبر ما لم أخف على جماعتكم وأكفّ إن كفّوا وأقتصد نحوهم . وندب أهل المدينة فتثاقلوا وبعث كُمَيْلاً النَّخَعِيّ فجاءه بعبدالله بن عمر فقال : انهض معي ! فقال أنا من أهل المدينة أفعل ما يفعلون . قال : فاعطني كفيلاً بانك لا تخرج [١] قال ولا هذه، فتركه ورجع الى المدينة .

وخرج الى مكّة وقد أخبر أخته أم كلثوم بما سمع من أهل المدينة في تثاقلهم وأنه على طاعة عليّ ويخرج معتمراً، وجاء الخبر من الغداة الى عليّ بأنه خرج إلى الشام فبعث في أثره على كل طريق، وماج أهل المدينة وركبت أم كلثوم الى ابيها وهو في

---

(١) في نسخة ب: بأنه لا يخرج.

السوق يبعث الرجال ويظاهر في طلبه، فحدثته فانصرف عن ذلك. ووثق فيما قاله ورجع إلى أهل المدينة فخاطبهم [١] وحرّضهم فرجعوا إلى إجابته. وأول من أجابه أبو الهيثم بن التيهان البَدْرِيّ، وخُزَيْمَةُ بن ثابت وليس بذي الشهادتين. ولما رأى زياد بن حنظلة تثاقل الناس عن عليّ انتدب إليه وقال: من مثاقل عنك فانا نخفّ معك ونقاتل دونك.

وكان سبب اجتماعهم بمكّة أن عائشة كانت خرجت إلى مكّة وعثمان محصور كما قدّمناه، فقضت نسكها وانقلبت تريد المدينة، فلقيت في طريقها رجلًا من بني ليث أخوالها فاخبرها بقتل عثمان وبيعة عليّ فقالت: قتل عثمان والله ظلماً ولأطلبنّ بدمه فقال لها الرجل ولِمَ أنت كنت تقولين ما قلت؟ فقالت: انهم استتابوه ثم قتلوه وانصرفت الى مكّة.

وجاءها الناس فقالت: إن الغوغاء من أهل الأمصار وأهل المياه وعبيد أهل المدينة اجتمعوا على هذا الرجل المقتول ظلماً ونقموا عليه استعمال من حدثت سنه، وقد استعمل أمثالهم من كان قبله ومواضع من الحمى حماها لهم، فتابعهم ونزع لهم عنها. فلما لم يجدوا حجّة ولا عذراً بادروا بالعدوان، فسفكوا الدم الحرام واستحلّوا البلد الحرام والشهر الحرام، وأخذوا المال الحرام. والله

(١) في نسخة ب: فخطبهم.

لأصبع من عثمان خير من طباق الأرض أمثالهم، ولو أن الذي اعتدوا به عليه كان ذنباً لخلص منه كما يخلص الذهب من خَبَثِه او الثوب مـن دَرَنِه . فقال عبدالله بن عامر الحضرمي وكان عامل مكَّة لعثمان : أنا أوّل طالب فكان أوّل مجيب وتبعه بنو أميَّه وكانوا هربوا إلى مكَّة بعد قتل عثمان : منهم سعيد بن العاص والوليد بن عُقْبَة . وقدم عليهم عبدالله بن عامر من البصرة بمال كثير ويعلى بن منيَّة[1] مـن اليمن بستمائة بعير وستمائة ألف فاناخ بالأبطح .

ثم قدم طلحة والزبير من المدينة فقالت لهما عائشة : ما وراءكما؟ قالا تحملنا هراباً من المدينة من غوغاء وأعراب غلبوا على خيارهم فلم يمنعوا أنفسهم ولا يعرفون حقاً ولا ينكرون باطلا . فقالت: انهضوا بنا إليهم وقال آخرون : نأتي الشام . فقال ابن عامر : ان معاوية كفاكم الشام فأتوا البصرة فلي بها صنائع ولهم في طلحة هوى، فنكروا عليه مجيئه من البصرة واستقام رأيهم على رأيه وقالوا : ان الذين معنا لا يطيقون من بالمدينة، ويحتجون ببيعة عليّ، وإذا أتينا البصرة أنهضناهم كما انهضنا أهل مكَّة وجاهدنا،

---

(١) يعلى بن منيّة هو يعلى بن أمية، وهو أبوه، ومنيّة أمه كما في شرح مسلم والكامل، ينتسب تارة إلى أبيه وتارة إلى أمه وقول الناس منبّه تحريف، قاله نصر.

فاتفقوا ودعوا عبد الرحمن[1] بن عمر الى النهوض فأبى وقال: أنا من أهل المدينة افعل ما يفعلون.

وكانت أمهات المؤمنين معها على قصد المدينة. فلما نهضت إلى البصرة قعدوا عنها، وأجابتها حفصة فمنعها أخوها عبدالله. وجهزهم ابن عامر بما معه من المال، ويعلى بن منيّة بما معه من المال والظهر. ونادوا في الناس بالحملان، فحملوا على ستمائة بعير وساروا في ألف من أهل مكّة ومن أهل المدينة. وتلاحق بهم الناس فكانوا ثلاثة آلاف، وبعثت أم الفضل أم عبدالله بن عبّاس بالخبر استأجرت على كتابها من أبلغه علياً، ونهضت عائشة ومن معها، وجاء مروان بن الحكم الى طلحة والزبير فقال على أيّكما أسلّم بالامرة وأوذّن بالصلاة فقال ابن الزبير: على أبي، وقال ابن طلحة: على أبي، فارسلت عائشة الى مروان تقول له: أتريد أن تفرّق أمرنا ليصلّ بالناس ابن اختي[2] تعني عبدالله بن الزبير. وودّع أمهات المؤمنين عائشة من ذات عرق باكيات، وأشار سعيد بن العاص على مروان ابن الحكم وأصحابه بادراك ثأرهم من عائشة وطلحة والزبير. فقالوا: نسير لعلنا نقتل قتلة عثمان جميعاً.

ثم جاء الى طلحة والزبير فقال لمن تجعلان الأمر إن ظفرتما؟

---

(١) في نسخة ب: عبد الله.

(٢) في نسخة ب: ابن أخي.

قالا : لأحدنا الذي تختاره الناس . فقال : بل اجعلوه لولد عثمان لانكم خرجتم تطلبون بدمه فقالا : وكيف ندع شيوخ المهاجرين ونجعلها لابنائهم؟ قال : فلا أراني أسعى إلّا لأخراجها من بني عبد مناف . فرجع ورجع عبدالله بن خالد بن أُسيد، ووافقه المغيرة ابن شعبة ومن معه من ثقيف . فرجعوا ومضى القوم ومعهم أبان والوليد ابنا عثمان. وأركب يعلى بن منيّة عائشة جملًا اسمه عسكر اشتراه بمئة دينار، وقيل بثمانين، وقيل بل كان لرجل من عُرَيْنَةَ عرض لهم بالطريق على جمل فاستبدلوا به جمل عائشة على أن حمله بألف، فزادوه أربعمائة درهم وسألوه عن دلالة الطريق، فدلّهم ومرّ بهم على ماء الحوأب فنبحتهم كلابه . وسألوه عن الماء فعرّفهم باسمه .

فقالت عائشة : ردّوني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول وعنده نساؤه : ليت شعري أيتكنّ تنبحها كلاب الحوأب؟ ثم ضربت عضد[1] بعيرها فأناخته وأقامت بهم يوماً وليلة الى ان قيل النجاء ! النجاء ! قد أدرككم عليّ فارتحلوا نحو البصرة. فلما كانوا بفنائها لقيهم عُمَيْرُ بن عبدالله التميميّ، وأشار بأن يتقدم عبدالله بن عامر إليهم، فارسلته عائشة وكتبت معه الى رجال من

(١) في نسخة ب: عضب بعيرها.

البصرة : الى الأحنف بن قَيس وسُمْرَة وأمثالهم وأقامت بالحَفِيْنَ[1] تنتظر الجواب .

ولما بلغ ذلك أهل البصرة دعا عثمان بن حنيف عِمران بن حُصَين وكان رجلًا عامّة ، وأبا الأسود الدؤلي وكان رجلًا خاصّة وقال : انطلقا الى هذه المرأة فاعلما علمها وعلم من معها ، فجاآها بالحفير وقالا : إن أميرنا بعثنا نسألك عن مسيرك فقالت : ان الغوغاء ونزاع القبائل فعلوا ما فعلوا . فخرجت في المسلمين اعلمهم بذلك وبالذي فيه الناس وراءنا ، وما ينبغي من اصلاح هذا الامر . ثم قرأت : لا خير في كثير من نجواهم الآية .

ثم عدلا عنها الى طلحة فقالا ما أقدمك . قال الطلب بدم عثمان ! فقالا : ألم تبايع عليًّا ؟ قال بلى والسيف على رأسي ، وما أستقيل على البيعة إن هو لم يخلّ بيننا وبين قتلة عثمان . وقال لهما الزبير مثل ذلك ، ورجعا الى عثمان بن حنيف فاسترجع وقال : دارت رحى الاسلام وربّ الكعبة . ثم قال : أشيروا عليّ ! فقال عمران اعتزل قال بل امنعهم حتى يأتي أمير المؤمنين . فجاءه هشام ابن عامر فأشار عليه بالمسالمة والمساحة حتى يأتي أمر عليّ ، فأبى ونادى في الناس بلبس السلاح . ثم دسّ من يتكلم في الجمع ليرى ما عندهم . فقال رجل : إن هؤلاء القوم ان كانوا

(١) في الكامل لابن الأثير ج ٣ ص ١٠٧ : فأقامت بالحفير تنتظر الجواب .

جاءوا خائفين فبلدهم يأمن فيه الطير، وان جاءوا لدم عثمان فما نحن بقتلته، فأطيعوني وردّوهم من حيث جاءوا .

فقال الأسود بن سريع السعدي انما جاءوا يستعينون بنا على قتلته منا ومن غيرنا، فحصبه الناس . فعرف عثمان ان لهم بالبصرة ناصراً وكسر ذلك كلّه . وانتهت عائشة ومن معها الى المِرْبَد، وخرج اليها عثمان فيمن معه . وحضر أهل البصرة فتكلم طلحة من الميمنة، فحمد الله وذكر عثمان وفضله ودعا الى الطلب بدمه وحثّ عليه، وكذلك الزبير . فصدقهما أهل الميمنة، وقال أصحاب عثمان من الميسرة : بايعتم علياً ثم جئتم تقولون . ثم تكلمت عائشة وقالت : كان الناس يتجنون على عثمان ويأتوننا بالمدينة فنجدهم فجرة ونجده برًّا تقيًّا، وهم يحاولون غير ما يظهرون . ثم كثروا واقتحموا عليه داره، وقتلوه واستحلّوا المحرّمات بلا تِرَة ولا عذر . ألا وان مما ينبغي لكم ولا ينبغي غيره أخذ قتلة عثمان واقامة كتاب الله . ثم قرأت : ألم تر الى الذين أوتوا نصيباً من الكتاب يدعون الى كتاب الله ليحكم بينهم الآية .

فاختلف اصحاب عثمان عليه وقال بعضهم الى عائشة . ثم افترق الناس وتحاصبوا وانحدرت عائشة الى المِرْبَدِ وجاءها جارية[1]

---

(١) في نسخة ب : حارثة .

ابن قدامة السعديّ فقال يا أم المؤمنين : والله لقتل عثمان أهون من خروجك من بيتك على هذا الجمل الملعون عرضة للسلاح . انه قد كان لك من الله ستر وحرمة، فهتكت سِتْرَك وأبحت حُرْمتك، وان من رأى قتالك يرى قتلك .

فان كنت اتيتينا طائعة فارجعي الى منزلك، وان كنت مكرهة فاستعيني بالله وبالناس على الرجوع . وأقبل حكيم بن جَبَلَة وهو على ظهر الخيل فانشب القتال . واشرع أصحاب عائشة رماحهم فاقتتلوا على فم السكّة [1] وحجز الليل بينهم وباتوا يتأهبون وعاداهم حكيم بن جبلة فاعترضه رجل من عبد القيس [2] فقتله حكيم ثم قتل امرأة أخرى، واقتتلوا الى أن زال النهار . وكثر القتل في أصحاب عثمان بن حنيف ولما عفتهم الحرب تنادوا الى الصلح وتواعدوا على ان يبعثوا الى المدينة، فان كان طلحة والزبير أكرها سلم لهم عثمان الأمر، وإلّا رجعا عنه .

وسار كعب بن سوار القاضي الى أهل المدينة يسألهم عن ذلك فجاءهم يوم جمعة وسألهم فلم يجبه الا أسامة بن زيد فانه قال : بايعا مكرهين . فضربه الناس حتى كاد يقتل . ثم خلصه صهيب وأبو أيوب ومحمد بن مسلمة الى منزله . ورجع كعب وبلغ

---

(١) في نسخة ب : فم السمكة .
(٢) في نسخة ب : من عبد الله بن القيس .

الخبر بذلك الى عليّ، فكتب الى عثمان بن حنيف يُعجزه ويقول: والله ما أكره على فرقة ولقد أكره على جماعة وفضل، فان كانا يريدان الخلع فلا عذر لهما، وان كانا يريدان غير ذلك نظرنا ونظروا.

ولما جاء كعب بقول أهل المدينة بعث طلحة والزبير الى عثمان ليجتمع بهما فامتنعا واحتجّ بالكتاب وقال: هذا غير ما كنا فيه. فجمع طلحة والزبير الناس وجاآ الى المسجد بعد صلاة العشاء في ليلة ظلماء شاتية، وتقدم عبد الرحمن بن عتاب في الوحل فوضع السلاح في الجابيَةِ من الزُطِّ والسابِجَةِ وهو أربعون رجلًا فقاتلوهم وقتلوا عن آخرهم. واقتحموا على عثمان فأخرجوه الى طلحة والزبير وقد نتفوا شعر وجهه كلّه وبعثا الى عائشة بالخبر فقالت: خلُّوا سبيله. وقيل أمرت بإخراجه وضربه، وكان الذى تولّى إخراجه وضربه مجاشع بن مسعود. وقيل ان الاتفاق إنما وقع بينهم على أن يكتبوا الى عليّ فكتبوا اليه. وأقام عثمان يصلّي فاستقبلوه ووثبوا عليه فظفروا به وأرادوا قتله، ثم استبقوه من أجل الأنصار وضربوه وحبسوه.

ثم خطب طلحة والزبير وقالا: يا أهل البصرة! توبة بحوبة[1]

(١) في نسخة ب: توبة تحويه، وفي الكامل ج ٣ ص ١١١: توبة لحوبة، والحوبة الاثم.

انا اردنا أن نستعتب عثمان فغلب السفهاء فقتلوه . فقالوا لطلحة : قد كانت كتبك تأتينا بغير هذا ! قال الزبير : أما أنا فلم أكاتبهم وأخذ يرمي علياً بقتل عثمان . فقال رجل من عبد القيس : يا معشر المهاجرين انتم أول من أجاب داعي الاسلام، وكان لكم بذلك الفضل ثم استخلفتم مراراً ولم تشاورونا وقتلتم كذلك، ثم بايعتم علياً، وجئتم تستعدوننا عليه فماذا الذي نقمتم عليه ؟ فهموا بقتله ومنعته عشيرته . ثم وثبوا من الغد على عثمان ومن معه فقتلوا منهم سبعين .

وبلغ حكيم بن جَبَلَةَ ما فعل بعثمان بن حنيف فجاء لنصره في جماعة من عبد القيس، فوجد عبدالله بن الزبير فقال له : ما شأنك ؟ قال تخلّوا عن عثمان وتقيمون على ما كنتم حتى يقدم عليّ . وقد استحللتم الدم الحرام تزعمون الطلب بثأر عثمان وهم لم يقتلوه، ثم ناجزهم الحرب في ربيع الآخر سنة ست وثلاثين . وأقام حكيم أربعة قوّاد فكان هو بحيال طلحة، وذريح بحيال الزبير، وابن المحرش بحيال عبد الرحمن بن عتاب وحرقوص بن زهير بحيال عبد الرحمن بن الحرث بن هشام . وتزاحفوا واستحرّ القتل فيهم حتى قتل كثير منهم وقتل حكيم وذريح وأفلت حرقوص في فلّ من اصحابه الى قومهم بني سعد، وتتبّعوهم بالقتل وطالبوا بني سعد بحرقوص وكانوا عثمانيّة فاعتزلوا، وغضبت عبد القيس كلّهم والكثير من بكر بن وائل، وأمر طلحة والزبير

بالعطاء في أهل الطاعة لهما . وقصدت عبد القيس وبكر بيت المال فقاتلوهم ومنعوهم، وكتبت عائشة إلى أهل الكوفة بالخبر[1] وأمرتهم أن يثبّطوا الناس عن عليّ وأن يقوموا بدم عثمان، وكتبت بمثل ذلك الى اليمامة والمدينة .

ولنرجع الى خبر عليّ : وقد كان لما بلغه خبر طلحة والزبير وعائشة ومسيرهم الى البصرة دعا أهل المدينة للنصرة وخطبهم فتثاقلوا أوّلاً، وأجابه زياد بن حنظلة وأبو الهيثم وخزيمة بن ثابت وليس بذي الشهادتين وأبو قتادة في آخرين، وبعثت أم سلمة معه ابن عمها وخرج يسابق طلحة والزبير الى البصرة ليردّهما .

واستخلف على المدينة تمام بن عباس وقيل سهل بن حنيف وعلى مكّة قُثَمُ بن العباس . وسار في ربيع الآخر سنة ست وثلاثين وسار معه من نشط من الكوفيين والمصريين متخففين في تسعمائة، ولقيه عبد الله بن سلّام فأخذ بعنانه وقال يا أمير المؤمنين : لا تخرج منها فوالله إن خرجت منها لا يعود اليها سلطان المسلمين ابداً . فبدر الناس اليه . فقال دعوه فنعم الرجل من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم، وسار فانتهى الى الرَّبَذَة، وجاء خبر سبقهم إلى البصرة فأقام يأتمر بما يفعل، ولحقه ابنه الحسن وعذله في خروجه وما كان من عصيانه إيّاه . فقال : ما الذي

(١) في نسخة ب: بالفتح .

عصيتك فيه حين أمرتني؟ قال أمرتك أن تخرج عند حصار عثمان من المدينة ولا تحضر لقتله، ثم عند قتله ألّا تبايع حتى تأتيك وفود العرب وبيعة الأمصار، ثم عند خروج هؤلاء أن تجلس في بيتك حتى يصطلحوا.

فقال: أما الخروج من المدينة فلم يكن إليه سبيل، وقد كان أحيط بنا كما أحيط بعثمان، وأما البيعة فخفنا ضياع الأمر والحلّ والعقد لأهل المدينة لا للعرب ولا للأمصار، ولقد مات رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا أحقّ بالأمر بعده. فبايع الناس غيري واتبعتهم في أبي بكر وعمر وعثمان، فقتلوه وبايعوني طائعين غير مكرهين. فأنا أقاتل من خالف بمن أطاع الى أن يحكم الله فهو خير الحاكمين. وأما القعود عن طلحة والزبير فاذا لم أنظر فيما يلزمني من هذا الأمر فمن ينظر فيه؟ ثم أرسل الى الكوفة محمد بن أبي بكر ومحمد بن جعفر يستنفران الناس، وأقام بالربذة يحرّض الناس وأرسل الى المدينة في اداته وسلاحه وقال له بعض أصحابه: عرّفنا بقصدك من القوم؟ قال الاصلاح إن قبلوا والا ننظرهم وان بادرونا امتنعنا.

ثم جاءه جماعة من طيء نافرين معه فقبلهم وأثنى عليهم. ثم سار من الربذة وعلى مقدّمته ابو ليلى بن عمرو بن الجراح. ولما انتهى الى فيد [1] أتته أسد وطيء وعرضوا عليه النفير معه فقال:

(١) في نسخة ب: قير وهو تحريف، وفي الكامل ج ٣ ص ١١٥: فيد.

الزموا قراركم ففي المهاجرين كفاية . ولقيه هنالك رجل من أهل الكوفة من بني شيبان فسأله عن أبي موسى فقال : ان اردت الصلح فهو صاحبه، وان أردت القِتال فليس بصاحبه فقال : والله ما اريد إلّا الصلح حتى يردّ علينا . ثم انتهى الى الثَّعْلَبِيَّةِ والأساد فبلغه ما لقِي عثمان بن حنيف وحكيم بن جبلة . ثم جاءه بذي قار عثمان بن حنيف وأراه ما بوجهه فقال : اصبت أجراً وخيراً . ان الناس وليهم قبلي، رجلان فعملا بالكتاب، ثم ثالث فقالوا وفعلوا ثم بايعوني ومنهم طلحة والزبير ثم نكثا وألّبا عليّ . ومن العجب انقيادهما لابي بكر وعمر وعثمان وخلافهما عليّ ! والله انهما ليعلمان أني لست دونهم . ثم أخذ في الدعاء عليهما وابن وائل هنالك يعرضون عليه النفير، فاجابهم مثل طيء وأسد .

وبلغه خروج عبد القيس على طلحة والزبير فاثنى عليهم . وأما محمد بن أبي بكر ومحمد بن جعفر فبلغا الى الكوفة ودفعا الى أبي موسى كتاب عليّ، وقاما في الناس بأمره فلم يجبهما أحد . وشاوروا أبا موسى في الخروج إلى عليّ فقال : الخروج سبيل الدنيا والقعود سبيل الآخرة فقعدوا كلهم . وغضب محمد ومحمد وأغلظا لأبي موسى فقال لهما : والله إن بيعة عثمان لفي عنقي وعنق عليّ وان كان لا بدّ من القتال فحتى نفرغ من قتلة عثمان حيث كانوا، فرجعا الى عليّ بالخبر وهو بذي قار . فرجع عليّ باللائمة على الاشتر

وقال: انت صاحبنا في أبي موسى فاذهب أنت وابن العباس واصلح ما أفسدت.

فقدما على أبي موسى وكلماه واستعانا عليه بالناس، فلم يجب الى شيء ولم ير الا القعود حتى تنجلي الفتنة ويلتئم الناس. فرجع ابن عباس والأشتر الى عليّ فارسل علي ابنه الحسن وعمّار بن ياسر وقال لعمار: انطلق فاصلح ما افسدت، فانطلقا حتى دخلا المسجد، وخرج ابو موسى فلقي الحسن بن علي فضمّه إليه وقال لعمّار: يا أبا اليقظان أعدوت على أمير المؤمنين فيمن عدا وأحللت نفسك مع الفجّار؟ فقال لم أفعل! فاقبل الحسن على أبي موسى فقال: لِمَ تثبّط الناس عنّا وما أردنا إلا الاصلاح؟ ومثل أمير المؤمنين لا يخاف على شيء! قال: صدقت! بأبي أنت وأمّي سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ستكون فتنة القاعد فيها خير من القائم والقائم خير من الماشي، والماشي خير من الراكب والمسلمون اخوان ودماؤهم وأموالهم حرام. فغضب عمّار وسبّه فسبّه آخر وتثاور الناس، ثم كفّهم ابو موسى وجاء زيد بن صوحان بكتاب عائشة اليه وكتابها الى أهل الكوفة، فقرأها على الناس في سبيل الانكار عليها. فسبّه شبث بن ربعي [1] وتهاوى الناس وأبو موسى يكفّهم ويأمرهم بلزوم البيوت حتى تنجلي الفتنة

(١) شبث بفتح الشين المعجمة والموحّدة كما في القاموس.

ويقول : أطيعوني وخلّوا قريشاً إذ أبوا إلّا الخروج من دار الهجرة وفراق أهـل العلم حتى ينجلي الأمر . وناداه زيد بن صوحان باجابة عليّ والقيام بنصرته، وتابعه القَعقَاع بن عمرو فقَام بعده فقَال لا سبيل الى الفوضى . وهذا أمير المؤمنين مليء بما ولي، وقـد دعاكم فانفروا وقال عبد خير مثل ذلك وزاد : يا أبا موسى هل تعلم أن طلحة والزبير بايعا ؟ قال نعم ! قال فهل أحدث عليّ ما ينقض البيعة قال لاأدري . قالا ! دريت ونحن نتركك حتى تدري .

ثم قال سيحان[1] بن صوحان مثلما قال القعقاع وحرّض على طاعة عليّ وقال : فانه دعاكم تنظرون ما بينه وبين صاحبيه[2] وهو المأمون على الأمّة الفقيه في الدين فقال عمّار : هو دعاكم الى ذلك لتنظروا في الحقّ وتقاتلوا معه لا عليه . فقال الحسن أجيبوا دعوتنا وأعينونا على ما ابتلينا به وابتليتم، وإن أمير المؤمنين يقول ان كنت مظلوماً أطيعوني[3] او ظالماً فخذوا مني بالحقّ والله إن طلحة والزبير أوّل من بايعني وأول من غدر . فأجاب الناس وحرّض عَدِيّ بن حاتم قومه وحُجر بن عَدِي كذلك، فنفر مع الحسن من الكوفة تسعة آلاف سارت منها ستّة في الـبر وباقيهم في الماء .

(١) سيحان بوزن جيحان اهـ .
(٢) في نسخة ب : صاحبه .
(٣) في نسخة ب : أعينوني .

وارسل عليّ بعد مسير الحسن وعمّار الاشتر الى الكوفة، فدخلها والناس في المسجد وأبو موسى والحسن وعمّار في منازعة معه ومع الناس فجعل الأشتر يمرّ بالقبائل ويدعوهم الى القصر حتى انتهى اليه في جماعة الناس فدخله وأبو موسى بالمسجد يخطبهم وَيُثَبِّطُهُم والحسن يقول له: اعتزل عملنا واترك منبرنا، فدخل الأشتر الى القصر وأمر باخراج غلمان أبي موسى من القصر. وجاءه أبو موسى فصاح به الاشتر: اخرج لا أمّ لك وأجله تلك العشيّة. ودخل الناس لينهبوا متاعه فمنعهم الأشتر، ونفر الناس مع الحسن كما قلنا وكان الأمراء على أهل النفير: على كِنَانَة وأسد وتميم والرّباب ومُزَيْنَة معقل بن يسار الرياحيّ، وعلى قبائل قيس سعد بن مسعود الثقفيّ عمّ المختار، وعلى بكر وتغلب وَعْلَة ابن مجدوح الذُهليّ، وعلى مَذْحِج والأشعريين حجر بن عَديّ، وعلى بَجِيلَة وأنمار وخَثْعَم والأزد مخنف بن سليم الأزدي.

ورؤساء الجماعة من الكوفيين القعقاع بن عمرو وسعد بن مالك وهند بن عمرو والهيثم بن شهاب، ورؤساء النفار زيد بن صوحان والأشتر وعديّ بن حاتم والمسيب بن نَجَبَة [1] ويزيد بن قيس وأمثالهم. فقدموا على عليّ بذي قار، فركب إليهم ورحّب بهم. وقال: يا أهل الكوفة دعوتكم لتشهدوا معنا إخواننا من أهل

(١) نجبة بنون وجيم وموحّدة مفتوحات اهـ كامل:

البصرة فان يرجعوا فهو الذي نريد وان يلجُّوا داويناهم بالرفق حتى يبدأونا بالظلم، ولا ندع امراً فيه الصلاح الا آثرناه على ما فيه الفساد ان شاء الله .

فاجتمع الناس عنده بذي قار وعبد القيس باسرها وهم ألوف ينتظرونه ما بينه وبين البصرة. ثم دعا القَعْقَاع وكان من الصحابة فارسله الى أهــل البصرة وقال: الْقَ هذين الرجلين فادعُمُا للالفة والجماعة وعظِّم عليهما الفرقة فقال له : كيف تصنع إذا قالوا ما لا وصاة مني فيه عندك قال : نلقاهم بالذي أمرت به، فاذا جاء منهم ما ليس عندنا منك رأي فيه اجتهدنا رأينا وكلناهم كما نسمع ونرى انه ينبغي، قال: انت لها .

فخرج القعقاع فقدم البصرة وبدأ بعائشة . فقال أي أمّة ما أشخَصَكِ؟ قالت اريد الاصلاح بين الناس . قال فابعثي الى طلحة والزبير تسمعي مني ومنهما . فبعثت إليهما فجاآ فقال لهما : اني سألت أمّ المؤمنين ما أقدمها فقالت الاصلاح وكذلك قالا . قال فأخبراني ما هو؟ قال قتلة عثمان ! فان تركهم ترك للقرآن . قال: فقد قتلت منهم ستمائة من اهل البصرة وغضب لهم ستة آلاف واعتزلوكم، وطلبتم حرقوص بن زهير فمنعته ستة آلاف فان قاتلتم هؤلاء كلهم اجتمعت مضر وربيعة على حربكم فاين الاصلاح؟ قالت عائشة فماذا تقول أنت؟ قال هذا الامر دواؤه التسكين وإذا سكن اختلجوا، فآثِروا العافِيَةَ تُرْزَقوها وكونوا مفاتيح خير ولا

تُعَرِّضونا للبلاء فنتعرَّض له ويصرعنا وإيّاكم. فقالوا قد أصبت وأحسنت فارجع، فان قدم عليّ وهو على مثل رأيك صلح هذا الامر. فرجع وأخبر علياً فاعجبه واشرف القوم على الصلح. وقد كانت وفود أهل البصرة أقبلوا الى عليّ قبل رجوع القعقاع، وتفاوضوا مع اهل الكوفة واتفقوا جميعاً على الاصلاح. ثم خطب عليّ الناس وأمرهم بالرحيل من الغد وان لا يرجع معه أحد ممن أعان على عثمان.

فاجتمع من أهل مصر ابن السوداء وخالد بن ملجم والأشتر والذين رضوا بمن سار اليه، مثل علباء بن الهَيْثَم وعَدِي بن حاتم وسالم بن ثعلبة القَيْسِيّ وشُرَيح[1] بن أوفى. وتشاوروا فيما قال عليّ وقالوا: هو أبصَر بكتاب الله وأقرب الى العمل به من اولئك وهو يقول ما يقول، وانما معه الذين اعانوا على عثمان، فكيف اذا اصطلحوا واجتمعوا ورأوا قِلّتنا في كثرتهم. فقال الأشتر رأيهم والله فينا واحد وان يصطلحوا فعلى دمائنا، فهلموا نثب على طلحة نلحقه بعثمان ثم يرضى منا بالسكوت. فقال ابن السوداء: طلحة واصحابه نحو من خمسة آلاف وانتم الفان وخمسمائة فلا تجدون الى ذلك سبيلاً.

وقال علباء بن الهيثم اعتزلوا الفريقين حتى يأتيكم من تقومون

(١) في نسخة ب: سويد.

به. فقال ابن السوداء : ودّ والله الناس لو انفردتم فَيَتَخَطَّفونكم
فقال عديّ : والله ما رضيت ولا كرهت ، فأما اذا وقع ما وقع
ونزل الناس بهذه المنزلة فان لنا خيلًا وسلاحاً ، فان اقدمتم أقدمنا
وان احجمتم احجمنا . ثم قال سالم بن ثعلبة وسويد بن اوفى
ابرموا امركم . ثم تكلّم بن السوداء فقال : يا قوم ان عزّكم في
خلطة الناس فصانعوهم ، واذا التقى الناس غداً فانشبوا القتال فلا
يجدون بدًّا منه ويشغلهم الله عما تكرهون .

وافترقوا على ذلك واصبح عليّ راحلًا حتى نزل على عبدالقيس
فانضمُّوا اليه وساروا معه . فنزل الزاوية وسار من الزاوية الى
البصرة ، وسار طلحة والزبير وعائشة من الفُرْضَة والتقوا بموضع
قصر عُبَيْدِالله بن زياد منتصف جمادى الآخرة . وتراسلت بكر بن
وائل وعبد القيس وجاءوا الى عليّ رضي الله تعالى عنه فكانوا
معه . وأشار على الزبير بعض أصحابه ان يناجز القتال ، فاعتذر
بما وقع بينه وبين القعقاع .

وطلب من عليّ (رض) اصحابه مثل ذلك فأبى ، وسئل ما
حالنا وحالهم في القتلى فقال : أرجو ان لا يقتل منّا ومنهم أحد
نقي قلبه لله الا أدخله الجنّة . ونهى عن قتالهم ، وبعث اليهم حكيم
ابن سلّام ومالك بن حبيب ان كنتم على ما جاء به القعقاع فكفُّوا
حتى ننزل وننظر في الامر . وجاءه الأحنف بن قيس وكان معتزلًا
عن القوم ، وقد كان بايع علياً بالمدينة بعد قتل عثمان مرجعه من

الحجّ. قال الأحنف: ولم أبايعه حتى لقيت طلحة والزبير وعائشةّ بالمدينة وعثمان محصور وعلمت أنه مقتول فقلت لهم: من أبايع بعده؟ قالوا علياً! فلما رجعت وقد قتل عثمان بايعت علياً. فلما جاءوا الى البصرة دعوني الى قتال عليّ، فحرت في أمري ما بين خذلانهم او خلع طاعتي. فقلت: ألم تأمروني بمبايعته؟ قالوا نعم لكنه بدّل وغيّر فقلت: لا انقض بيعتي ولا أقاتل أم المؤمنين ولكن اعتزل. ونزل بالجلحاء على فرسخين من البصرة في زهاء ستة آلاف.

فلما قدم علي جاءه وخيّره بين القتال معه او كفّ عشرة آلاف سيف عنه فاختار الكفّ، ونادى في تميم وبني سعد فاجابوه، فاعتزل بهم حتى ظفر علي فرجع اليه واتبعه. ولما تراءى الجمعان خرج طلحة والزبير وجاءهم عليّ حتى اختلفت أعناق دوابهم. فقال عليّ: لقد اعددتما سلاحاً وخيلًا ورجالًا، إن كنتما اعددتما عند الله عذراً ألم أكن أخاكما في دينكما تحرمان دمي وأحرّم دمكما فهل من حدث أحلّ لكما دمي؟ قال طلحة: ألّبت على عثمان! قال عليّ يومئذ يوفيهم الله دينهم الحقّ. فلعن الله قتلة عثمان يا طلحة: أما بايعتني؟ قال والسيف على عنقي. ثم قال للزبير أتذكر يوم قال لك رسول الله صلى الله عليه وسلم لتقاتلنّه وأنت له ظالم؟ قال اللهمّ نعم ولو ذكرته قبل مسيري ما سرت. ووالله لا اقاتلك أبداً وافترقوا.

فقال علي لأصحابه أن الزبير قد عهد ان لا يقاتلكم ورجع الزبير الى عائشة وقال : ما كنت في موطن منذ عقلت إلّا وانا أعرف أمري غير موطني هذا . قالت فما تريد ان تصنع؟ قال أدعهم وأذهب . فقال له ابنه عبدالله : خشيت رايات ابن أبي طالب وعلمت ان حامليها فتية أنجاد وان تحتها الموت الأحمر فجنبت ، فاحفظه ذلك . وقال : حلفت : قال : كفّر عن يمينك ، فاعتق غلامه مكحولاً ، وقيل انما اراد الرجوع عن القتال حين سمع أن عمّار بن ياسر مع عليّ لما ورد : ويح عمّار تقتله الفئة الباغية .

وكان أهل البصرة على ثلاث فرق مفترقين مع هؤلاء وهؤلاء ، وثالثة اعتزلت كالاحنف بن قيس وعمران بن حصين . ونزلت عائشة في الأزد ورأسهم صبرة بن شيمان . وأشار عليه كعب بن سور بالاعتزال فأبى وكان معها قبائل كثيرة من مضر الرباب ، وعليهم المنجاب بن راشد وبنو عمرو بن تميم وعليهم أبو الجربا ، وبنو حنظلة وعليهم هلال بن وكيع ، وسُلَيم وعليهم مجاشع بن مسعود وبنو عامر وغَطَفان وعليهم زُفَر بن الحرث ، والأزد وعليهم صبرة بن شيمان ، وبكر وعليهم مالك بن مسمع وبنو ناجية وعليهم الخِرّيت[1] بن راشد وهم في نحو ثلاثين ألفاً . وعليّ في عشرين ألفاً والناس

(١) الخريت بكسر الخاء المعجمة والراء المشدّدة اهـ . كامل.

جميعاً متنازلون : مضر الى مضر وربيعة الى ربيعة ولا يشكّون في الصلح وقد ردّوا حكيماً ومالكاً الى عليّ إنا على ما فارقنا عليه القَعقَاع. وجاء ابن عَبّاسٍ الى طَلْحَةَ والزُبَيْرِ، ومحمَّد بن طلحة الى عليّ، وتقارب أمر الصلح وبات الذين أثاروا أمر عثمان بشرّ ليلة يتشاورون، واتفقوا على إنشاب الحرب بين الناس فغلسوا وما [1] يشعر بهم أحد. وقصد مضر الى مضر وربيعة الى ربيعة ويمن الى يمن فوضعوا السلاح. وثار أهل البصرة وثار كل قوم في وجوه أصحابهم. وبعث طلحة والزبير عبد الرحمن بن الحرث ابن هشام الى الميمنة وهم ربيعة. وعبد الرحمن بن عتاب الى الميسرة وركبا في القلب وتساءل الناس ما هذا؟ فقالوا : طرقنا أهل الكوفه ليلاً ! فقال طلحة والزبير : إن علياً لا ينتهي حتى يسفك الدماء.

ثم دفعوا اولئك المقاتلين فسمع عليٌّ وأهل عسكره الصيحة فقال ما هذا؟ فقيل له أظنّه سقط من هنا طرقنا او نحوه السبَئيّة بيّتونا ليلاً فرددناهم، فوجدنا القوم على أهبة فركبونا وثار الناس وركب عليّ. وبعث الى الميمنة والميسرة صاحبها وقال : ان طلحة والزبير لا ينتهيان حتى تسفك الدماء، ونادى في الناس كفُّوا وكان رأيهم جميعاً في تلك الفتنة ان لا يقتتلوا حتى يقيموا الحجة، ولا

(١) في نسخة ب: ولم.

يقتلوا مدبراً، ولا يجهزوا على جريح، ولا يستحلّوا سلباً . وأقبل كعب بن سور الى عائشة وقال : قد أبى القوم إلا القتال فلعل الله يصلح بك . فاركبها وألبسوا هودجها الأدراع واوقفوها بحيث تسمع الغوغاء، واقتتل الناس حتى انهزم اصحاب الجمل وذهب وأصيب طلحة بسهم في رجله. فدخل البصرة ودمه يسيل الى ان مات .

وذهب الزبير الى وادي السباع لما ذكره عليّ، فمر بعسكر الأحنف واتّبعه عمرو بن جرموز، وكان يسائله حتى قام الى الصلاة قبله ورجع بفرسه وسلاحه وخاتمه الى الأحنف فقال : والله ما تدري أحسنت أم اسأت ! فجاء ابن جرموز الى عليّ وقال للحاجب : استأذن لقاتل الزبير فقال لحاجبه ائذن له وبشّره بالنار . ولما بلغت الهزيمة البصرة ورأوا الخيل أطافت بالجمل، رجعوا وشبت الحرب كما كانت .

وقالت عائشة لكعب بن سور.وناولته مصحفاً : تقدّم فادعهم إليه واستقبل القوم، فقتله السَبَئِيَّة رشقاً بالسهم، ورموا عائشة في هودجها حتى جأرت بالاستغاثة ثم بالدعاء على قتلة عثمان، وضجّ الناس بالدعاء فقال عليّ ما هذا ؟ قالوا عائشة تدعو على قتلة عثمان ! فقال : اللهم العن قتلة عثمان . ثم ارسلت عائشة الى الميمنة والميسرة وحرّضتهم ! وتقدّم مضر الكوفة ومضر البصرة فاجتلدوا أمام الجمل حتى ضرسوا، وقتل زيد بن صوحان من أهل الكوفة وأخوه سيحان وارتثّ أخوهما صعصعة .

وتزاحف الناس وتأخرت يَمَنُ الكوفة وربيعتها . ثم عادوا فقتل على رايتهم عشرة ثم أخذها يزيد بن قيس فثبت . وقتل تحت راية ابن ربيعة زيد وعبدالله بن رُقَيّة وابو عبيدة بن راشد بن سَلَمة . واشتدّ الأمر ولزقت ميمنة الكوفة بقلبهم وميسرة أهل البصرة بقلبهم، ومنعت ميمنة هؤلاء ميسرة هؤلاء وميسرة هؤلاء ميمنة هؤلاء، وتنادى شجعان مضر من الجانبين بالصبر وقصدوا الأطراف يقطعونها . واصيبت يد عبد الرحمن بن عتاب قبل قتله. وقاتل عند الجمل الأزد ثم بنو ضُبّة وبنو عَديّ بن عبد مناف، وكثر القتل والقطع وصارت المجنبات الى القلب، ومحمد بن طلحة أمامهم، وحمل عديّ بن زيد ففقئت عينه، وحمل الأشتر واستمر القتل الى الجمل حتى قتل على الخطام اربعون رجلاً او سبعون كلهم من قريش .

فجرح عبدالله بن الزبير، وقتل عبدالرحمن بن عتاب وجُنْدُب ابن زهير العامري وعبدالله بن حكيم بن حزام ومعه راية قريش، فقتله الأشتر وأعانه فيه عديّ بن حاتم، وقتل الأسود بن أبي البختري وهو آخذ بالخطام، وبعده عمر بن الأشرف الأزدي في ثلاثة عشر من أهل بيته، وجرح مروان بن الحكم وعبدالله بن الزُبَير سبعاً وثلاثين جراحة ما بين طعنة ورمية . ونادى عليٌّ اعقروا الجمل يتفرّقوا، وضربه رجل فسقط فما كان صوت أشدّ عجيجاً منه . وكانت راية الأزد من اهل الكوفة مع مخنف بن سليم

فقتل فأخذها الصَقْعَبُ أخوه فقتل ثم أخوهما عبدالله كذلك فأخذها العلاء بن عروة فكان الفتح وهي بيده .

وكانت راية عبد القيس من أهل الكوفة مع القاسم بن سليم، فقتل ومعه زيد وسيحان ابنا صوجان. وأخذها عدّة فقتلوا منهم عبدالله بن رقية، ثم مُنقِذ بن النُعْمان ودفعها الى ابنه مُرّة فكان الفتح وهي بيده . وكانت راية بكر بن وائل في بني ذُهل [1] مع الحرث بن حسّان فقتل في خمسة من بني أهله ورجال من بني مخزوم وخمسة وثلاثين من بني ذهل .

وقيل في عقر الجمل ان القَعْقَاعَ دعا الأَشْتَرَ وقد جاء من القتال عند الجمل الى العود فلم يجبه، وحمل القعقاع والخطام بيد زُفَر بن الحرث، فأصيب شيوخ من بني عامر . وقال القعقاع لبجير بن دلجة [2] من بني ضُبَّة وهو من أصحاب عليّ يا بجير ا صِحْ بقومك يعقروا الجمل قبل أن يصابوا وتصاب أم المؤمنين . فضرب ساق البعير فوقع على شِقِّه وأمر القعقاع من يليه، واجتمع هو وزفر على قطع بطان البعير، وحملا الهودج فوضعاه وهو كالقُنْفُذ بالسهام ومرّ من ورائه . وامر عليّ فنودي لا تتبعوا مدبراً ولا تجهزوا على جريح ولا تدخلوا الدور . وأمر بحمل الهودج

---

(١) في نسخة ب: في بني هذيل.
(٢) في نسخة ب: ابن دجلة.

من بين القتلى . وأمر محمد بن أبي بكر أن يضرب عليها قبّة وان وينظر هل بها جراحة، وجاء يسألها .

وقيل لما سقط الجمل اقبل محمد بن ابي بكر اليه ومعه عمّار فاحتملا الهودج الى ناحية ليس قربه احد واتاها عليّ فقال : كيف انت يا امة ! قالت بخير ! قال يغفر الله لك ! قالت ولك ، وجاء وجوه الناس اليها فيهم القعقاع بن عمرو ، فسلّم عليها وقالت له : وددت اني متّ قبل هذا اليوم بعشرين سنة وجاء الى عليّ فقال له مثل قولها . ولما كان الليل ادخلها اخوها محمد بن ابي بكر الصديق البصرة ، فأقرّها في دار عبدالله بن خلف الخزاعي على صفيّة زوجته بنت الحرث بن ابي طلحة من بني عبد الدار ام طلحة الطلحات بن عبدالله . وتسلل الجرحى من بين القتلى فدخلوا ليلًا الى البصرة ، واذن عليّ في دفن القتلى فدفنوا بعد ان طاف عليهم .

ورأى كعب بن سور وعبد الرحمن بن عتاب وطلحة بن عبيد الله وهو يقول : زعموا انه لم يخرج الينا إلّا الغوغاء وامثال هؤلاء فيهم . ثم صلّى على القتلى من الجانبين وامر بالأطراف فدفنت في قبر عظيم ، وجمع ما كان في العسكر من كل شيء وبعث به الى مسجد البصرة وقال : من عرف شيئاً فليأخذه إلّا سلاحاً عليه سمة السلطان . واحصى القتلى من الجانبين فكانوا عشرة آلاف منهم من ضُبّة الف رجل . ولما فرغ علي من

الوقعة جاءه الأحنف بن قيس في بني سعد فقال له : تربّصت ! فقال : ما اراني إلّا قد احسنت وبأمرك كان، فارفق فان طريقك بعيد وانت إليّ غداً احوج منك امس، فلا تقل لي مثل هذا، فاني لم ازل لك ناصحاً . ثم دخل البصرة يوم الاثنين فبايعه اهلها على راياتهم حتى الجرحى والمستأمنة .

واتاه عبد الرحمن بن ابي بكر فبايعه وعرّض له في عمّه زياد بأنه متربّص . فقال : والله انه لمريض وعلى مسرّتك لحريص فقال : انهض امامي فمضى، فلما دخل عليه عليّ فتبعه فقبل عذره واعتذر بالمرض قبل عذره . واراده على البصرة فامتنع وقال : ولها رجلاً من اهلك تسكن اليه الناس وسأشير عليه، واشار بابن عبّاس فولّاه . وجعل زياداً على الخراج وبيت المال وامر ابن عباس بموافقته فيما يراه . ثم راح علي الى عائشة في دار ابن خَلف، وكان عبدالله بن خلف قتل في الوقعة فاستاءت امه وبعض النسوة عليه فأعرض عنهن وحرّضه بعض اصحابه عليهن فقال : ان النساء ضعيفات وكنا نؤمر بالكفّ عنهنّ وهنّ مشركات فكيف بهن مسلمات ؟

ثم بلغه ان بعض الغوغاء عرض لعائشة بالقول والاساءة فأمر من أحضر له بعضهم وأوجعهم ضرباً . ثم جهّزها عليّ الى المدينة بما احتاجت اليه وبعثها مع أخيها محمد مع أربعين من نسوة البصرة اختارهنّ لمرافقتها، وأذن للفلّ ممّن خرج معها أن يرجعوا معها

ثم جاء يوم ارتحالها، فودّعها واستعتبت له واستعتب لها ومشى معها أميالًا وشيّعها بنوه مسافة يوم، وذلك غرّة رجب، فذهبت الى مكّة فقضت الحج ورجعت الى المدينة وخرج بنو أميّة من الفل ناجين الى الشام .

فعتبة بن أبي سفيان وعبد الرحمن[١] ويحيى أخو مروان خلصوا الى عصمة بن أُبَيْر[٢] التيمي الى ان اندملت جراحهم ثم بعثهم الى الشام، وأما عبدالله بن عامر فخلص الى بني حرقوص ومضى من هنالك، وأما مروان بن الحكم فاجاره أيضاً مالك بن مسَمع وبعثه، وقيل كان مع عائشة فلما ذهبت الى مكّة فارقها الى المدينة . وأما الزبير فاختفى بدار بعض الأزد وبعث الى عائشة يعلمها بمكانه فارسلت أخاها محمّداً، وجاء اليها به . ثم قسم عليّ جميع ما في بيت المال على من شهد معه، وكان يزيد على ستمائة ألف فاصاب كل رجل خمسمائة وقال : ان اظفركم الله بالشام فلكم مثلها الى اعطياتكم، فخاض السبَئِيّة بالطعن عليه بذلك وبتحريم أموالهم مع إراقة دمائهم، ورحلوا عنه فأعجلوه عن المقام بالبصرة، وارتحل في آثارهم ليقطع عليهم أمراً ان ارادوه .

وقد قيل في سياق أمر الجمل غير هذا . وهو ان علياً لما ارسل محمد بن أبي بكر الى أبي موسى ليستنفر له أهل الكوفة

---

(١) في نسخة ب: عبد الله.

(٢) أبير بضم الهمزة وفتح الموحّدة اهـ . كامل.

وامتنع، سار هاشم بن عتبة بن أبي وقاص الى عليّ بالربذة فأخبره فاعاده اليه يقول له : اني لم اولّك الا لتكون من أعواني على الحق، فامتنع أبو موسى وكتب اليه هاشم مع المحلّ بن خليفة الطائي، فبعث عليّ ابنه الحسن وعمار بن ياسر يستنفران كما مرّ .

وبعث قرظة[1] بن كعب الأنصاري أميراً وبعث اليه : اني قد بعثت الحسن وعماراً يستنفران الناس، وبعثت قرظة بن كعب والياً على الكوفة، فاعتزل عملنا مذموماً مدحوراً، وإن لم تفعل فقد أمرته أن ينابذك وان ظفر بك أن يقطِّعك إرباً إرباً . وان الناس تواقفوا للقتال وأمر عليّ من يتقدم بالمصحف يدعوهم الى ما فيه وان قطع وقتل . وحمله بعض الناس وفعل ذلك فقتل وحملت ميمنة عليّ على ميسرتهم، فاقتتلوا ولاذ الناس بجمل عائشة اكثرهم من ضبَّة والأزد ثم انهزموا آخر النهار . واستحرّ في الأزد القتل وحمل عمار على الزبير يحوزه بالرمح، ثم استلان له وتركه .

والقى عبدالله بن الزبير نفسه في الجرحى وعقر الجمل، واحتمل عائشة أخوها محمد فانزلها وضرب عليها قبَّة ووقف عليها عليّ يعاتبها . فقالت له : ملكت فاسجح[2] نعم ما أبكيت قومك

(١) في نسخة ب: قرطة .
(٢) أي أحسن العفو اهـ . وفي نسخة ب: ملكت فاسمح .

اليوم، فسرّحها في جماعة رجال ونساء الى المدينة وجهزها بما تحتاج اليه .

هذا أمر الجمل ملخّص من كتاب ابي جعفر الطبري اعتمدناه للوثوق به ولسلامته من الأهواء الموجودة في كتب ابن قتيبة وغيره من المؤرخين . وقتل يوم الجمل عبد الرحمن أخو طلحة من الصحابة والمحرز بن حارثة العبشمي، وكان عمر ولّاه على مكّة، ومجاشع ومجالد ابنا مسعود مع عائشة . وعبدالله بن حكيم بن حزام وهند بن أبي هالة وهو ابن خديجة قتل مع عليّ وقيل بالبصرة وغيرهم . انتهى أمر الجمل .

ولما فرغ الناس من هذه الوقعة اجتمع صعاليك من العرب، وعليهم جبلة بن عتاب الحنظلي، وعمران بن الفضل البرجمي وقصدوا سجستان، وقد نكث أهلها وبعث عليّ اليهم عبد الرحمن بن جرو الطائي فقتلوه، فكتب الى عبدالله بن عبّاس أن يبعث الى سجستان والياً . فبعث ربعي بن كاس العنبري في أربعة آلاف ومعه الحصين ابن ابي الحرّ، فقتل جبلة وانهزموا وضبط ربعي البلاد واستقامت .

انتقاض محمد بن ابي حذيفة بمصر ومقتله

لما قتل أبو حذيفة بن عتبة يوم اليمامة ترك ابنه محمداً في كفالة عثمان وأحسن تربيته، وسكر في بعض الأيام فجلده عثمان ثم

تنسّك وأقبل على العبادة، وطلب الولاية من عثمان فقال: لست لها بأهل فاستأذنه على اللحاق بمصر لغزو البحر، فاذن له وجهّزه ولزمه الناس وعظموه لما رأوا من عبادته. ثم غزا مع ابن ابي سرح غزوة الصواري كما مرّ، فكان يتعرّض له بالقدح فيه وفي عثمان وبتوليته، ويجتمع في ذلك مع محمد بن ابي بكر، وشكاهما ابن ابي سرح الى عثمان فكتب اليه بالتجافي عنهما لوسيلة ذلك بعائشة وهذا لتربيته.

وبعث الى ابن أبي حذيفة ثلاثين الف درهم وحمل من الكسوة فوضعهما ابن ابي حذيفة في المسجد وقال: يا معشر المسلمين كيف اخادع عن ديني وآخذ الرشوة عليه، فازداد أهل مصر تعظيماً له وطعناً على عثمان وبايعوه على رياستهم، وكتب اليه عثمان يذكره بحقوقه عليه فلم يردّه ذلك. وما زال يحرّض الناس عليه حتى خرجوا لحصاره، وأقام هو بمصر وخرج ابن أبي سرح الى عثمان فاستولى هو على مصر وضبطها الى أن قتل عثمان، وبويع عليّ، وبايع عمرو بن العاص لمعاوية وسارا الى مصر قبل قدوم قيس بن سعد فمنعها فخدع محمد حتى خرج الى العريش فتحصّن بها في الف رجل فحاصره حتى نزل على حكمهم فقتلوه. وفي هذا الخبر بعض الوهن لأن الصحيح أن عمراً ملك مصر بعد صفّين، وقيس ولّاه عليّ لأول بيعته. وقد قيل: ان ابن ابي حذيفة لما حوصر عثمان بالمدينة، أخرج هو ابن أبي سرح عن

مصر وضبطها، وأقام ابن أبي سرح بفلسطين حتى جاء الخبر بقتل عثمان وبيعة عليّ، وتوليته قيس بن سعد على مصر.

فأقام بمعاوية. وقيل ان عمراً سار الى مصر بعد صفّين، فبرز اليه ابن ابي حذيفة في العساكر وخادعه في الرجوع الى بيعة عليّ، وان يجتمعا لذلك بالعريش في غير جيش من الجنود. ورجع الى معاوية عمرو فأخبره ثم جاء الى ميعاده بالعريش، وقد استعدّ بالجنود وأكمنهم خلفه، حتى اذا التقيا طلعوا على أثره، فتبين ابن ابي حذيفة الغدر فتحصّن بقصر العريش الى ان نزل على حكم عمرو. وبعث به الى معاوية فحبسه الى أن فرّ من محبسه فقتل. وقيل انما بعثه عمرو الى معاوية عند مقتل محمد بن ابي بكر وانه أمنه ثم حمله الى معاوية فحبسه بفلسطين.

ولاية قيس بن سعد على مصر

كان عليّ قد بعث الى مصر لأول بيعته قيس بن سعد أميراً في صفر من سنة ست وثلاثين، واذن له في الاكثار من الجنود وأوصاه وقال له: لو كنت لا أدخلها إلّا بجند آتي بهم من المدينة، فلا أدخلها ابداً، فانا ادعو لك الجند تبعثهم في وجوهك. وخرج في سبعة من أصحابه حتى أتى مصر، وقرأ عليهم كتاب علي بمبايعته وطاعته وأنه اميرهم. ثم خطب فقال بعد حمد الله: أيها الناس قد بايعنا خير من نعلم بعد نبيّنا، فبايعوه على كتاب

الله وسنّة رسوله، فبايعه الناس واستقامت مصر وبعث عليها عمّاله إلا بعض القرى كان فيها قوم يدعون الى الطلب بدم عثمان: مثل يزيد بن الحرث ومسلمة بن مخلد فهادنهم وجبى الخراج وانقضى أمر الجمل، وهو بمصر.

وخشي معاوية ان يسير اليه عليّ في أهل العراق، وقيس من ورائه في أهل مصر، فكتب اليه يعظم قتل عثمان ويطوّقه علياً ويحضّه على البراءة من ذلك ومتابعته على أمره على أن يوليه العراقين اذا ظفر ولا يعزله. يولي من اراد من أهله الحجاز كذلك ويعطيه ما شاء من الأموال. فنظر في أهله بين موافقته او معاجلته بالحرب فآثر الموافقة فكتب اليه: أما بعد فاني لم أقارف[1] شيئاً مما ذكرته وما اطلعت لصاحبي على شيء منه. وأما متابعتك فانظر فيها وليس هذا مما يسرع اليه، وأنا كافٍ عنك فلا يأتيك شيء من قبلي تكرهه حتى نرى وترى.

فكتب اليه معاوية: اني لم ارك تدنو فاعدك سلماً، ولا تتباعد فاعدك حرباً وليس مثلي يصانع المخادع وينخدع للمكايد ومعي عدد الرجال واعنّة الخيل والسلام.

فعلم قيس ان المدافعة لا تنفع معه، فاظهر له ما في نفسه وكتب اليه بالردّ القبيح والشتم، والتصريح بفضل عليّ والوعيد.

(١) في نسخة ب: لم أفارق.

فحينئذ أيس معاوية منه وكاده من قبل عليّ، فاشاع في الناس أن قيساً شيعة له تأتينا كتبه ورسله ونصائحه، وقد ترون ما فعل باخوانكم القائمين بثأر عثمان وهو يجري عليهم من الاعطية والارزاق. فابلغ ذلك الى عليّ محمد بن أبي بكر ومحمد بن جعفر وعيونه بالشام، فاعظم ذلك وفاوض فيه الحسن والحسين وعبدالله بن جعفر. فقال له عبدالله: دع ما يريبك الى ما لا يريبك واعزله عن مصر. ثم جاء كتابه بالكف عن قتال المعتزلين فقال ابن جعفر: مره بقتالهم خشية أن تكون هذه ممالأة، فكتب اليه يأمره بذلك فلم يرَ قيس ذلك رأياً وقال: متى قاتلناهم ساعدوا عليك عدوّك وهم الآن معتزلون، والرأي تركهم. فقال ابن جعفر: يا أمير المؤمنين! ابعث محمد بن أبي بكر على مصر وكان أخاه لأمّه واعزل قيساً، فبعثه وقيل بعث قبله الأشتر النخعي ومات بالطريق فبعث محمداً. ولما قدم محمد على قيس خرج عنها مغضباً الى المدينة، وكان عليها مروان بن الحكم فاخافه فخرج هو وسهل بن حنيف الى عليّ. وكتب معاوية الى مروان يعاتبه لو امددت علياً بمئة الف مقاتل كان أيسر[1] عليّ من قيس بن سعد.

ولما قدم قيس على علي وكشف له عن وجه الخبر قبل عذره

(١) في نسخة ب: أهين.

واطاعه في امره كله . وقدم محمد مصر فقرأ كتاب علي على الناس وخطبهم[1] . ثم بعث الى اولئك القوم المعتزلين الذين كان قيس وادعهم ادخلوا في طاعتنا او اخرجوا عن بلادنا ! فقالوا : دعنا حتى ننظر ! وأخذوا حذرهم، ولما انقضت صفين وصار الأمر الى التحكيم بارزوه، وبعث العساكر الى يزيد بن الحرث الكناني بخربتا وعليهم الحرث بن جمهان فقتلوه، ثم بعث آخر فقتلوه .

مبايعة عمرو بن العاص لمعاوية

لما احيط بعثمان خرج عمرو بن العاص الى فلسطين ومعه ابناه عبدالله ومحمد، فسكن بها هارباً مما توقعه من قتل عثمان الى ان بلغه الخبر بقتله، فارتحل يبكي ويقول كما تقول النساء حتى اتى دمشق، فبلغه بيعة عليّ فاشتد عليه الامر وأقام ينتظر ما يصنعه الناس . ثم بلغه مسير عائشة وطلحة والزبير فأمل فرجاً من أمره، ثم جاءه الخبر بوقعة الجمل فارتاب في أمره، وسمع ان معاوية بالشام لا يبايع علياً وانه يعظم قتل عثمان، فاستشار بنيه في المسير اليه . فقال له ابنه عبدالله : توفي النبي صلى الله عليه وسلم والشيخان بعده وهم راضون عنك، فارى ان تكف يدك وتجلس في بيتك حتى يجتمع الناس، وقال له محمد : انت ناب من

---

(١) في نسخة ب : وخاطبهم .

أنياب العرب، وكيف يجتمع هذا الأمر وليس لك فيه صيت ؟ فقال يا عبدالله ! أمرتني بما هو خير لي في ديني، ويا محمد ! أمرتني بما هو خير لي في دنياي وشرّ لي في آخرتي . ثم خرج ومعه ابناه حتى قدم على معاوية، فوجدوهم يطلبون دم عثمان فقال : انتم على الحق اطلبوا بدم الخليفة المظلوم، فاعرض معاوية قليلاً ثم رجع اليه وشركه في سلطانه .

أمر صفين

لما رجع عليّ بعد وقعة الجمل الى الكوفة مجمعاً على قصد الشام بعث الى جرير بن عبدالله البجلي بهمدان، والى الاشعث بن قيس باذربيجان ــ وهما من عمّال عثمان ــ لان يأخذا له البيعة ويحضرا عنده، فلما حضرا بعث جرير الى معاوية يعلمه ببيعته، ونكث طلحة والزبير وحزبهما، ويدعوه الى الدخول فيما دخل فيه الناس . فلما قدم عليه طاوله في الجواب وحمل اهل الشام ليرى جرير قيامهم في دم عثمان، واتهامهم علياً به . وكان أهل الشام لما قدم عليهم النعمان بن بشير بقميص عثمان ملوثاً بالدم كما قدّمناه، وباصابع زوجته نائلة، وضع معاوية القميص على المنبر والاصابع من فوقه . فمكث الناس يبكون مدة، وأقسموا أن لا يمسهم ماء الجنابة ولا يناموا على فراش حتى يثأروا من عثمان ومن

حال دون ذلك قتلوه. فرجع جرير بذلك الى عليّ، وعذله الاشتر في بعث جرير، وانه طال مقامه حتى تمكن أهل الشام من رأيهم[1].
فغضب لذلك جرير ولحق بقرقيسيا، واستقدمه معاوية فقدم عليه.

وقيل ان شرحبيل بن الصمت الكِنْدِيّ أشار على معاوية بردّ جرير لمنافسة كانت بينهما منذ أيام عمر. وذلك ان شرحبيل كان عمر بن الخطاب بعثه الى سعد بالعراق ليكون معه، فقرّبه سعد وقدّمه ونافسه له أشعث بن قيس. فاوصى جريراً عند وفادته على عمر أن ينال من شرحبيل عنده ففعل، فبعث عمر شرحبيل الى الشام فكان يحقد ذلك على جرير. فلما جاء الى معاوية اغراه شرحبيل به وحمله على الطلب بدم عثمان. ثم خرج عليّ وعسكر بالنخيلة واستخلف على الكوفة ابا مسعود الانصاري، وقدم عليه عبدالله بن عبّاس في اهل البصرة. وتجهّز معاوية واغراه عمرو بقلّة عسكر عليّ واضطغان اهل البصرة له بمن قتل منهم.

وعبّى معاوية اهل الشام، وعقد لعمرو ولابنيه وغلامه وردان الألوية. وبعث علي في مقدّمته زيادَ بن النَضْر الحارِثيّ في ثمانية آلاف، وشُرَيح بن هانيء في اربعة آلاف. وسار من النُخَيْلَة الى المدائن، واستنفر من كان بها من المقاتلة، وبعث منها معقلَ بن قيس في ثلاثة آلاف يسير من الموصل ويوافيه بالرقّة. وولّى عليّ

(١) في نسخة ب: من ورائهم.

على المدائن سعد بن مسعود الثقفي عمّ المختار بن ابي عبيد وسار ، فلما وصل الى الرقّة نصب له جسر فعبر ، وجاء زياد وشريح من ورائه وكانا سمعا بمسير معاوية ، وخشيا ان يلقاهما معاوية وبينهما وبين علي البحر ، ورجعا الى هيت وعبرا الفرات ولحقا بعلي فقدّمهما امامه .

فلما اتيا الى سور الروم لقيهما ابو الأعور السلمي في جند من أهل الشام فطاولاه ، وبعثا الى علي فسرح الأشتر وامره أن يجعلهما على مجنبتيه وقال : لا تقاتلهم حتى آتيك ! وكتب الى شريح وزياد بطاعته فقدم عليهما ، وكفّ عن القتال سائر يومه حتى حمل عليهم أبو الأعور بالعشيّ فاقتتلوا ساعة وافترقوا ، ثم خرج من الغداة . وخرج اليه من اصحاب الأشتر هاشم بن عتبة المرقال ، واقتتلوا عامة يومهم . وبعث الأشتر سِنانَ بن مالك النَخَعيّ الى أبي الأعور السَلَمِيّ يدعوه الى البراز ، فأبى وحجز بينهم الليل ووافاهم من الغد عليّ وعساكره .

فتقدم الأشتر وانتهى الى معاوية ولحق به عليّ ، وكان معاوية قد ملك شريعة الفرات ، فشكا الناس الى عليّ العطش ، فبعث صَعْصَعَة بن صوحان الى معاوية بأنّا سرنا ونحن عازمون على الكفّ عنكم حتى نعذر اليكم فسابقنا جندكم بالقتال . ونحن رأينا الكف حتى ندعوك ونحتجّ عليك ، وقد منعتم الماء والناس غير منتهين فابعث الى اصحابك يخلون عن الماء للورد حتى ننظر بيننا وبينكم ،

واذا اردت القتال حتى يشرب الغالب فعلنا . فاشار عمرو بن العاص بتخلية المـاء لهم، واشار ابن ابي سرح والوليد بن عقبة بمنعهم الماء وعرضا بشتم فتشاتم معهم صعصعة ورجع، واوعز الى أبي الأعور بمنعهم الماء . وجاء الأشعث بن قيس الى المـاء فقاتلهم عليه .

ثم امر معاوية أبا الأعور يزيد بن أبي أسد القسري جدّ خالد ابن عبدالله، ثم بعمرو بن العاص بعده . وأمر علي الأشعث بشِبْثِ بن رَبَعِي ثم بالاشتر وعليهم أصحاب علي وملكوا الماء عليهم، وارادوا منعهم منه فنهاهم علي عن ذلك، وأقام يومين .

ثم بعث الى معاوية أبا عمرو بشير بن عمرو بن محصن الانصاري وسعيد بن قيس الهمداني وشبث بن ربعي التميمي يدعونه الى الطاعة، وذلك أوّل ذي الحجة سنة ست وثلاثين، فدخلوا عليه . وتكلّم بشير بن عمرو بعد حمد الله والثناء عليه والموعِظَة الحَسَنَة، وناشده الله ان لا يفرّق الجماعة ولا يسفك الدماء فقال : هلّا اوصيت بذلك صاحبك . فقـال بشير : ليس مثلك هو أحقّ بالأمر بالسابقة والقرابة . قال فما رأيك ؟ قال تجيبه الى ما دعا اليه من الحق قال معاوية : ونترك دم عثمان لا والله لا أفعله أبداً ! ثم قال شبث بن ربعي : يا معاوية ! انما طلبت دم عثمان تستميل به هؤلاء السفهاء الطغام الى طاعتك، ولقـد علمنا انك ابطأت على عثمان بالنصر لطلب هذه المنزلة، فاتق الله ودع ما انت عليه

ولا تنازع الامر أهله . فأجـابه معاوية وابدع في سبِّه وقال : انصرفوا فليس بيني وبينكم إلّا السيف . فقال له شبث : أقسم بالله لنجعلنها لك .

ورجعوا الى علي بالخبر وأقاموا يقتتلون أيام ذي الحجة كلها ، عسكر من هؤلاء وعسكر من هؤلاء ، وكرهوا أن يلقوا جمع أهل العراق بجمع أهل الشام حذراً من الاستئصال والهلاك . ثم جاء المحرّم فذهبوا الى الموادعة حتى ينقضي طمعاً في الصلح ، وبعث الى معاوية عديّ بن حاتم ويزيد بن قيس الارحبي وشبث بن ربعي وزياد بن حفصَة . فتكلم عدي بعد الحمد والثناء ودعا الى الدخول في طاعة عليّ ليجمع الله به الكلمة ، فلم يبق غيرك ومن معك ، واحذر يا معاوية ان يصيبك واصحابك مثل يوم الجمل . فقال معاوية : كأنك جئت مهدّداً لا مصلحاً ، هيهات يا عدي ! انا ابن حرب ! والله ما يقعقع لي بالشنان ، وإنك من قتلة عثمان وأرجو أن يقتلك الله به . فقال له يزيد بن قيس : انما اتيناك رسلًا ولا ندع مع ذلك النصح والسعي في الالفة والجماعة ، وذكر من فضل علي واستحقاقه للامر بتقواه وزهده .

فقال معاوية : بعد الحمد والثناء أما الجماعة التي تدعون اليها فهي معنا ، وأما طاعة صاحبكم فلا نراها لأنه قتل خليفتنا ، وآوى أهل ثأرنا . ونحن مع ذلك نجيبكم الى الطاعة والجماعة اذا دفع الينا قتلة عثمان . فقال شبث بن ربعي : أيسرّك يا معاوية أن

تقتل عماراً ؟ قال نعم بولاه ! قال شبث حتى تضيق والله الأرض الفضاء عليك . فقال معاوية لو كان ذلك لكانت عليك أضيق. وافترقوا عن معاوية ثم خلا بزياد بن حفصة وشكا اليه من عليّ وسأله النصر فيه بعشيرته وان يوليه أحد المصرين فأبى وقال : اني على بيّنة من ربّي فلن أكون ظهيراً للمجرمين . وقام عنه فقال معاوية لعمرو كأن قلوبهم قلب رجل واحد .

ثم بعث معاوية إلى عليّ حبيب بن مسلمة وشرحبيل بن السمط ومعن بن يزيد بن الأخنس فدخلوا عليه . فتكلم حبيب بعد الحمد لله والثناء فقال : ان عثمان كان خليفة مهديًا يعمل بكتاب الله وينيب الى أمره فاستثقلتم حياته واستبطأتم موته فقتلتموه، فادفع الينا قتلته ان كنت لم تقتله، ثم اعتزل أمر الناس فيولّوا من أجمعوا عليه . فقال عليّ : ما أنت وهذا الأمر فاسكت فلست باهل له ! فقال والله لتراني بحيث تكره فقال : وما انت لا ابقى الله عليك ان ابقيت اذهب فصوّب وصعد .

ثم تكلم بعد الحمد لله والثناء وهداية الناس لمحمد صلى الله عليه وسلم وخلافة الشيخين وحسن سيرتهما، وقد وجدنا عليهما أن تولّيا ونحن اقرب منهما الى رسول الله صلى الله عليه وسلم لكن سامحناهما بذلك . وولي عثمان فعاب الناس عليه وقتلوه، ثم بايعوني مخافة الفرقة فاجبتهم . ونكث عليّ رجلان وخالف صاحبكم الذي ليس له مثل سابقتي، والعجب من انقيادكم له دون بيت

نبيكم، ولا ينبغي لكم ذلك . وأنا أدعوكم الى الكتاب والسنّة ومعالم الدين وإماتة الباطل واحياء الحق فقالوا : نشهد ان عثمان قتل مظلوماً . فقال : لا أقول مظلوماً ولا ظالماً . قالوا : فمن لم يقل ذلك فنحن منه براء وانصرفوا . فقرأ عليّ : ﴿ إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ ﴾ الآية ثم قال لأصحابه: لا يكن هؤلاء في ضلالهم أحدّ منكم في حقّكم .

ثم نازع عدي بن حاتم في راية طيء عامر بن قيس الجرموزي وكان رهطه أكثر من رهط عدي، فقال عبدالله بن خليفة اليولاني: ليس فينا أفضل من عَدِيّ ولا من أبيه حاتم، ولم يكن في الاسلام أفضل من عدي ولا من أبيه حاتم، ولم يكن في الاسلام أفضل من عدي وهو الوافد الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ورأس طيء في النُخَيْلَةِ والقادِسِيَّة والمدائن وجلولاء ونهاوند وتستر . وسأل عليّ قومهم فوافقوه على ذلك فقضى بها لعديّ .

ولما انسلخ المحرّم نادى عليّ في الناس بالقتال وعبّى الكتائب وقال لا تقاتلوهم حتى يقاتلوكم، فاذا هزمتموهم فلا تقتلوا مدبراً ولا تجهزوا على جريح ولا تكشفوا عورة ولا تمثّلوا ولا تأخذوا مالّا ولا تهيّجوا امرأة وان شتمتكم، فانهنّ ضعاف الأنفس والقوى . ثم حرّضهم ودعا لهم وجعل الأشْتَرَ على خيل الكوفة، وسهل بن حَنيف على خيل البصرة، وقَيْس بن سعد على رَجّالَةِ البصرة، وعمّار بن ياسر على رجّالة الكوفة، وهاشم بن عُتْبَة معه

الراية، ومُسعِر بن فدكي على القراء . وعبّى معاوية كتائبه : فجعل على الميمنة ذا الكِلاع الحِمْيَري ، وعلى الميسرة حبيب بن مسلمة، وعلى المقدّمة أبا الأعور ، وعلى خيل دِمَشق عمرو بن العاص ، وعلى رَجّالتها مسلم بن عُقْبَة المُرّي . وعلى الناس كلهم الضَّحَّاك بن قيس . وتبايع رجال من أهل الشام على الموت فعقلوا انفسهم بالعمائم في خمسة صفوف، وخرجوا في اليوم الاول من صفر، خرج الاشتر من أهل الكوفة وحبيب من أهل الشام فاقتتلوا عامة يومهم، وفي اليوم الثاني[1] هاشم بن عُتْبَة وأبو الأَعْوَرِ السَلَمِيّ . وفي اليوم الثالث عمّار بن ياسر وعمرو بن العاص فاقتتلوا أشدّ قتال، وحمل عمّار فازال عمرًا عن موضعه .

وفي اليوم الرابع محمَّد بن الحَنَفِيّة وعُبَيْدِالله بن عمر بن الخطاب وتداعيا الى البراز، فردّ عليّ ابنه وتراجعوا . وفي اليوم الخامس عبدالله بن عبّاس والوليد بن عُقْبَة فاقتتلا كذلك . ثم عاد في اليوم السادس الأشتر وحبيب فاقتتلا قتالًا شديداً وانصرفا . وخطب عليٌّ الناس عَشِيَّةَ يومهم وأمرهم بمناهضة القوم بأجمعهم ،

---

(١) كذا في الأصل وفي الكامل ج ٣ ص ١٥٠ : ثم خرج في اليوم الثاني هاشم بن عتبة في خيل ورجال وخرج إليه من أهل الشام أبو الأعور السلمي فاقتتلوا يومهم ذلك ثم انصرفوا.

وأن يطيلوا ليلتهم القيام ويكثروا التلاوة، ويدعوا الله بالنصر والصبر ويرموا[1] غداً في لقائهم بالجدّ والحزم.

فبات الناس يصلحون ليلتهم سلاحهم، وعبّى عليّ الناس ليلته الى الصباح، وزحف وسأل عن القبائل من أهل الشام وعرف مواقفهم، وأمر كل قبيلة أن تكفيه أختها من أهل الشام. ومن ليس منهم أحد بالشام يصرفهم الى من ليس منهم أحد بالعراق، مثل بَجِيلَة صرفهم الى لَخْمٍ. وخرج معاوية من أهل الشام فاقتتلوا يوم الأربعاء قتالًا شديداً عامّة يومهم ثم انصرفوا، وغَلّس عليّ يوم الخميس بالزحف، وعلى ميمنته عبدالله بن بُدَيْل بن ورقاء وعلى ميسرته عبدالله بن عباس والقراء مع عمّار وقيس بن سعد وعبدالله ابن زيد، والناس على راياتهم ومراكزهم، وعليّ في القلب بين أهل الكوفة والبصرة ومعه أهل البصرة والكوفة، ومعه أهل المدينة من الأنصار وخُزاعَة وكِنَانَة.

ورفع معاوية قبّة عظيمة والقى عليها الثياب وبايعه اكثر أهل الشام على الموت، وأحاط بقبته خيل دمشق[2]، وزحف ابن بُدَيْل في الميمنة فقاتلهم الى الظهر وهو يحرّض أصحابه. ثم كشف خيلهم واضطرهم الى قبة معاوية. وجاء الذين تبايعوا على الموت

---

(١) في نسخة ب: ويدنو، وفي الكامل لابن الأثيرج ٣ ص ١٥١: والقوهم غداً بالجدّ والحزم.

(٢) في نسخة ب: وأحاط نفسه بخيل دمشق.

الى معاوية فبعثهم الى حبيب فحمل بهم على ميمنة أهل العراق، فانجفل الناس عن أهل بديل الا ثلاثمائة او مائتين من القراء، وانتهت الهزيمة الى عليّ. وأمدّه عليّ بسهل بن حنيف في أهل المدينة فاستقبلهم جموع عظيمة لأهل الشام فمنعتهم.

ثم انكشفت مُضَرُ من الميسرة وثبتت ربيعة، وجاء عليّ يمشي نحوهم، فاعترضه أحمر مولى أبي سفيان فحال دونه كيسان مولاه فقتله أحمر. فتناول عليّ أحمر من درعه فجذبه وضرب به الأرض وكسر منكبيه وعضديه، ثم دنا من ربيعة فصبّرهم وثبّت اقدامهم وتنادوا بينهم: ان اصيب بينكم أمير المؤمنين افتضحتم في العرب. وكان الأشتر مرّ به راكضاً نحو الميمنة، واستقبل الناس منهزمين فابلغهم مقالة عليّ: أين فراركم من الموت الذي لا تعجزوه[1] الى الحياة التي لا تبقى لكم. ثم نادى: انا الاشترا فرجع اليه بعضهم فنادى مَذحِجاً وحرّضهم فأجابوه، وقصد القوم واستقبله شباب من هَمْذان ثمانمائة او نحوها، وكان قد هلك منهم في ذلك اليوم أحد عشر رئيساً وأصيب منهم ثمانون ومائة، وزحف الأشتر نحو الميمنة.

وتراجع الناس واشتدّ القتال حتى كشف أهل الشام، والحقهم بمعاوية عند الاصفرار، وانتهى الى ابن بديل في مائتين او ثلاثمائة

---

(١) كذا بالأصل والصحيح لا تعجزونه.

من القرّاء قد لصقوا بالأرض . فانكشف عنهم أهل الشام وابصروا اخوانهم، وسألوا عن عليّ فقيل لهم هو بالميسرة يقاتل . فقال ابن بديل استقدموا بنا، ونهاه الأشتر فأبى ومضى نحو معاوية وحوله أمثال الجبال تقتل كل من دنا منه حتى وصل الى معاوية، فنهض اليه الناس من كل جانب وأحيط به فقتل، وقتل من اصحابه ناس ورجع آخرون مجروحون واهل الشام في اتباعهم . فبعث الاشتر من نفس عنهم حتى وصلوا اليه، وزحف الأشتر في هَمْدان وطوائف من الناس فأزال أهل الشام عن مواقفهم[١] حتى ألحقهم بالصفوف المُعَقَّلَةِ بالعمائم حول معاوية . ثم حمل أخرى فصرع منهم أربعة صفوف حتى دعا معاوية بفرسه فركب . وخرج عبدالله بن ابي الحُصَيْنِ الأزْدِيّ في القراء الذين مع عمّار فقاتلوا، وتقدّم عُقْبَةَ بن حبيب النميري مستميتاً ومعه اخوته فقاتلوا حتى قتلوا . وتقدّم شِمْرُ بن ذي الجُوشَنِ مُبارِزاً فضرب أدهم بن مُحْرِز الباهلي وجهه بالسيف وحمل على أدهم فقتله . وحمل قيس بن المكشوح[٢] ومعه راية بَجِيلة فقاتل حتى أخذها آخر كذلك .

ولما رأى عليّ أهل ميمنة اصحابه قد عادوا الى مواقفهم وكشفوا العدوّ قبالتهم أقبل اليهم وعذلهم بعض الشيء عن مفرّهم،

---

(١) في نسخة ب: عن مواضعهم.
(٢) المكشوح لقب واسمه هبيرة اهـ . كامل.

واثنى على رجوعهم . وقاتل الناس قتالًا شديداً، وتبارز الشجعان من كل جانب . وأقبلت قبائل طيء والنَخَع وخرجت حِمْيَرُ من ميمنة أهل الشام وتقدّم ذو الكلاع ومعهم عبيدالله بن عمر بن الخطاب، فقصد ربيعة في ميسرة أهل العراق وعليهم ابن عبّاس وحملوا عليهم حملة شديدة، فثبتت ربيعة وأهل الحفاظ منهم وانهزم الضعفاء والفشلة . ثم رجعوا ولحقت بهم عبد القيس وحملوا على حمير فقتل ذي الكلاع وعبدالله بن عمر، وأخذ سيف ذي الكلاع وكان لعمر . فلما ملك معاوية العراق أخذه من قاتله . ثم خرج عمّار بن ياسر وقال اللهم إني لا أعمل اليوم عملًا ارضى من جهاد هؤلاء الفاسقين . ثم نادى من سعى في رضوان ربّه فلا يرجع الى مال ولا وُلد فاتاه عصابة فقال : اقصدوا بنا هؤلاء الذين يطلبون بدم عثمان، يخادعون بذلك عمّا في نفوسهم من الباطل . ثم مضى فلا يمرّ بوادٍ من صفين الا اتبعه من هنالك من الصحابة . ثم جاء الى هاشم بن عتبة، وكان صاحب الراية فانهضه حتى دنا من عمرو ابن العاص فقال يا عمرو : بعت دينك بمصر؟ تبًّا لك ! فقال : إنما اطلب دم عثمان فقال : اشهد انك لا تطلب وجه الله في كلام كثير من أمثال ذلك، وان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في عمّار تقتله الفئة الباغية .

فلما قتل عمّار حمل عليّ وحمل معه ربيعة ومضر وهمدان حملة منكرة فلم يبق لأهل الشام صفّ الا انتقض حتى بلغوا معاوية،

فناداه عليّ على مَ يقتل الناس بيننا هلمّ نحاكمك الى الله فأيّنا قتل صاحبه استقام له الأمر . فقال له عمرو : انصفك ! فقال له معاوية : لكنك ما انصفت . واسر يومئذ جماعة من أصحاب عليّ فترك سبيلهم وكذلك فعل عليّ . ومرّ عليّ بكتيبة من الشام قد ثبتوا، فبعث اليهم محمد بن الحنفيّة فازالهم عن مواقفهم وصرع عبدالله ابن كعب المرادي، فمرّ به الأسود بن قيس فاوصاه بتقوى الله والقتال مع علي وقال ابلغه عني السلام . وقال له : قاتل على[1] المعركة حتى تجعلها خلف ظهرك، فانه من اصبح غداً والمعركة خلف ظهره فانه العالي . ثم اقتتل الناس تلك الليلة الى الصباح، وهي ليلة الجمعة وتسمى ليلة الهرير وعليّ يسير بين الصفوف، ويحرض كل كتيبة على التقدم حتى اصبح والمعركة كلها خلف ظهره، والاشتر في الميمنة وابن عباس في الميسرة والناس يقتتلون من كل جانب، وذلك يوم الجمعة . ثم ركب الاشتر ودعا الناس الى الحملة على أهل الشام، فحمل حتى انتهى الى عسكرهم وقتل صاحب رايتهم، وأمدّه عليّ بالرجال .

فلما رأى عمرو شدّة أهل العراق وخاف على اصحابه الهلاك قال لمعاوية : مر الناس يرفعون المصاحف على الرماح ويقولون

---

(١) في نسخة ب : عن المعركة .

كتاب الله بيننا وبينكم فان فعلوا ذلك ارتفع عنّا القتال، وان أبى بعضهم وجدنا في افتراقهم راحة ففعلوا ذلك فقال الناس : نجيب الى كتاب الله . فقال لهم عليّ يا عباد الله ! امضوا على حقكم وقتال عدوّكم، فان معاوية وابن ابي معيط وحبيباً وابن ابي سرح والضحاك ليسوا بأصحاب دين ولا قرآن انا أعرف بهم، صحبتهم اطفالاً ورجالاً فكانوا شرّ اطفال وشرّ رجال . ويحكم والله ما رفعوها الا مكيدة وخديعة فقالوا : لا يسعنا أن ندعى الى كتاب الله فلا نقبل . فقال : انما قاتلناهم ليدينوا بكتاب الله فانهم نبذوه .

فقال له مُسْعِرُ بن فَدَكَ التميميّ وزيد بن حُصَيْن الطائي في عصابة من القرّاء الذين صاروا خوارج بعد ذلك يا عليّ : أجب الى كتاب الله والا دفعنا برمتك الى القوم او فعلنا بك ما فعلنا بابن عفّان . فقال : ان تطيعُوني فقاتلوا وان تعصوني فافعلوا ما بدا لكم قالوا : فابعث الى الأشتر وكفّه عن القتال، فبعث اليه يزيد بن هاني بذلك فأبى وقال : قد رجوت ان يفتح الله لي !

فلما جاء يزيد بذلك ارتجّ الموقف باللغط وقالوا لعليّ : ما نراك إلّا أمرته بقتال فابعث اليه فليأتك وإلّا اعتزلناك فقال عليّ: ويحك يا يزيد قل له أقبل إليّ فان الفتنة قد وقعت فقال : ألرفع المصاحف ؟ فقال نعم ! قال لقد ظننت ان ذلك يوقع فرقة، كيف ندع هؤلاء وننصرف والفتح قد وقع فقال يزيد : تحب أن تظفر وأمير المؤمنين

يسلم الى عدوّه او يقتل؟ ثم أقبل اليهم الاشتر وأطال عتبهم وقال: امهلوني فواقا فقد احسست بالفتح فابوا فعذلهم وأطال في عذلهم فقالوا: دعنا يا اشتر قاتلناهم لله فقال: بل خدعتم فانخدعتم.

ثم كثرت الملاحاة بينهم وتشاتموا فصاح بهم عليّ فكفّوا. فقال له الأشعث بن قيس ان الناس قد رضوا بما دعوا اليه من حكم القرآن، فان شئت اتيت معاوية وسألته ما يريد قال أفعل فأتاه وسأله لأي شيء رفعتم المصاحف؟ قال لنرجع نحن وانتم الى ما امر الله به من كتابه. تبعثون رجلًا ترضونه ونحن آخر ونأخذ عليهما عهد الله ان يعملا بما في كتاب الله لا يعدوانه. ثم نتبع ما اتفقا عليه. فقال الأشعث: هذا الحق ورجع الى عليّ والناس وأخبرهم فقال الناس رضينا وقبلنا، ورضي أهل الشام عمراً وقال الأشعث: واولئك القراء الذين صاروا خوارج: رضينا بأبي موسى فقال عليّ لا أرضاه! فقال الأشعث ويزيد بن الحصين [1] ومسعر بن فدك لا نرضى الا به. قال: فانه ليس بثقة قد فارقني وخذل الناس عني وهرب مني حتى امنته بعد اشهر قالوا: لا نريد الا رجلًا هو منك ومن معاوية سواء قال فالاشتر؟ قالوا: وهل سعر الارض غير الاشتر؟ قال فاصنعوا ما

---

(١) في نسخة ب: وزيد بن الحصن.

بدا لكم ! فبعثوا الى ابي موسى وقد اعتزل القتال، فقيل ان الناس قد اصطلحوا فحمد الله . قيل وقد جعلوك حكماً فاسترجع .
وجاء ابو موسى الى العسكر وطلب الأحنف بن قيس من عليّ ان يجعله مع ابي موسى فأبى الناس من ذلك، وحضر عمرو بن العاص عند علي ليكتبوا القضيّة بحضوره فكتبوا بعد البسملة :

هذا ما تقاضى عليه أمير المؤمنين، فقال عمرو : ليس هو بأميرنا ! فقال له الأحنف : لا تمحها فاني اتطيّر بمحوها . فمكث مليًا ثم قال الاشعث : امحها فقال عليّ الله اكبر ! وذكر قصّة الحُدَيبيّةِ وفيها انك ستدعى الا مثلها فتجيب . فقال عمرو : سبحان الله نشبّه بالكفار ونحن مؤمنون فقال عليّ : يا ابن النابغة ومتى لم تكن للفاسقين وليًا وللمؤمنين عدوًّا ! فقال عمرو : والله لا يجمع بيني وبينك مجلس بعد اليوم . فقال عليّ : أرجو أن يطهِّر الله مجلسي منك ومن اشباهك، وكتب الكتاب . هذا ما تقاضى عليه عليّ بن أبي طالب ومعاوية بن ابي سفيان، قاضى عليّ على أهل الكوفة ومن معهم، ومعاوية على أهل الشام ومن معهم، انا ننزل عند حكم الله وكتابه، وان لا يجمع بيننا غيره، وان كتاب الله بيننا من فاتحته الى خاتمته نحيي ما أحيا ونميت ما أمات مما وجد الحكمان في كتاب الله . وهما أبو موسى عبدالله ابن قيس وعمرو بن العاص، وما لم يجدا في كتب الله فالسّنّة العادلة الجامعة غير المفرّقة .

وأخذ الحكمان من عليّ ومعاوية ومن الجندين العهود والمواثيق انهما آمنان على انفسهما واهليهما، والامة لهما انصار على الذي يتقاضيان عليه، وعلى عبدالله بن قيس وعمرو بن العاص عهد الله وميثاقه ان يحكما بين هذه الامة ولا يورداها في حرب ولا فرقة حتى يقضيا. وأحلا القضاء الى رمضان فان أحبا أن يؤخرا ذلك أخّراه، وان مكان قضيتهما مكان عدل بين أهل الكوفة وأهل الشام. وشهد رجال من أهل العراق ورجال من أهل الشام وضعوا خطوطهم في الصحيفة، وأبى الأشتر أن يكتب اسمه فيها، وحاوره الأشعث في ذلك فاساء الردّ عليه وتهدّده.

وكتب الكتاب لثلاث عشرة خلت من صفر سنة سبع وثلاثين، واتفقوا على ان يوافي علـيّ موضع الحكمين بِدَوْمَة الجَنْدَلِ وبأذرِح في شهر رمضان. ثم جاء بعض الناسِ الى عليّ يحضه على قتال القوم فقال: لا يصلح الرجوع بعد الرضى ولا التبديل بعد الاقرار. ثم رجـع الناس عن صفين ورجع عليّ وخالفت الحروريّة وأنكروا تحكيم الرجال ورجعوا على غير الطريق الذي جاءوا فيه حتى جازوا النُخَيْلَة ورأوا بيوت الكوفة. ومرّ عليّ بقبر خباب بن الأرت، توفي بعد خروجه، فوقف واسترحم له ثم دخل الكوفة، فسمع رجّة البكاء في الدور فقيل يبكين عـلى القتلى فترحّم لهم ولم يزل يذكر الله حتى دخل القصر، فلم تدخل الخوارج معه، وأتوا حروراً فنزلوا بها في اثنى عشر ألفاً، فقدّموا

شبث بن عمر التميمي أمير القتال، وعبيدالله بن الكوى اليشكري أمير الصلاة .

قالوا البيعة لله عزّ وجل والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والأمر شورى بعد الفتح فقالوا للناس : بايعتم عليًّا انكم أولياء من والى واعداء من عادى، وبايع أهل الشام معاوية على ما أحب وكرهوا فلستم جميعاً من الحق في شيء . فقال لهم زياد بن النضر : والله ما بايعناه إلّا على الكتاب والسُنَّة ولكن لما خالفتموه تعيَّنتم للضلال وتعيَّن للحق . ثم بعث عليّ عبدالله بن عبّاس إليهم وقال: لا تراجعهم حتى آتيك، فلم يصبر عن [1] مكالمتهم وقال: ما نقمتم من أمر الحكمين وقد أمر الله بهما بين الزوجين فكيف بالأمّة ؟ فقالوا لا يكون هذا بالرأي والقياس ! فان ذلك جعل الله حكمه للعباد وهذا امضاه كما امضى حكم الزاني والسارق. قال ابن عباس، قال الله تعالى : يحكم به ذوا عدل منكم، قالوا : والأخرى كذلك، وليس أمر الصيد والزوجين كدماء المسلمين . ثم قالوا له : قد كنّا بالأمس نقاتل عمرو بن العاص، فان كان عدلًا فعلى ما قاتلناه ؟ وان لم يكن عدلًا فكيف يسوغ تحكيمه ؟ وانتم قد حكمتم الرجال في أمر معاوية واصحابه، والله تعالى قد امضى حكمه فيهم ان يقتلوا او يرجعوا، وجعلتم بينكم الموادعة

(١) في نسخة ب: عند.

في الكتب وقد قطعها الله بين المسلمين وأهل الحرب منذ نزلت براءة . ثم جاء عليّ الى فسطاط يزيد بن قيس منهم بعد أن علم انهم يرجعون اليه في رأيهم، فصلى عنده ركعتين وولّاه على أصبهان والريّ .

ثم خرج اليهم وهم في مجلس ابن عباس فقال : من زعيمكم قالوا ابن الكوّى ! قال فما هذا الخروج ؟ قالوا لحكومتكم يوم صفين . قال أنشدكم الله أتعلمون انه لم يكن رأيي، وانما كان رأيكم مع أني اشترطت على الحكمين أن يحكما بحكم القرآن، فان فعلا فلا ضير وان خالفا فلا ضير ونحن براء من حكمهم . فقالوا فتحكيم الرجال في الدماء عدل ؟ قال انما حكمنا القرآن الا انه لا ينطق وإنما يتكلم به الرجال قالوا : فلم جعلتم الأجل بينكم ؟ قال لعلّ الله يأتي فيه بالهدنة بعد افتراق الأُمّة فرجعوا الى رأيه وقال : ادخلوا مصركم فلنمكث ستة اشهر حتى يجبى المال ويسمن الكراع ثم نخرج الى عدونا فدخلوا من عند آخرهم .

امر الحكمين

ولما انقضي الأجل وحان وقت الحكمين بعث عليّ أبا موسى الاشعري في اربعمائة رجل، عليهم شريح بن هاني الحارثي ومعهم عبدالله بن عبّاس يصلي بهم، واوصى شريحاً بموعظة عمرو . فلما سمعها قال متى كنت اقبل مشورة عليّ واعتدّ برأيه ؟ قال : وما

يمنعك أن تقبل من سيّد المسلمين وأساء الردّ عليه فسكت عنه .
وبعث معاوية عمرو بن العاص في اربعمائة من أهل الشام والتقوا بأذْرُح من دَوْمَةِ الْجَنْدَلِ[1]، فكان اصحاب عَمْرو أطوَع من اصحاب ابن عَبّاس لابن عبّاس حتى لم يكونوا يسألونه عن كتاب معاوية اذا جاءه . ويسأل أهل العراق ابن عبّاس ويتّهِمُونَه . وحضر مع الحَكَمَيْن عبدالله بن عمر وعبد الرحمن بن أبي بكر وعبدالله ابن الزبير وعبد الرحمن بن الحرث بن هشام وعبد الرحمن بن يغوث الزهري وابو جَهْم بن حُذَيْفَة العَدَوِيّ والمُغيرة بن شُعْبَة وسَعْد بن أبي وقّاص على خلاف فيه، وقيل ندم على حضوره فأحرم بعمرة من بيت المقدس .

ولمّا اجتمع الحكَمان قال عمرو لأبي موسى أما تعلم ان عثمان قتل مظلوماً وان معاوية وقومه اولياؤه ؟ قال بلى ! قال فما يمنعك منه وهو في قريش كما علمت ؟ وان قصّرت به السابقة

---

(١) كذا بالأصل وهكذا وردت في ابن الأثير ج ٣ ص ١٦٧ : «حتى توافوا من دومة الجندل بأذرح» وفي الطبري ج ٦ ص ٣٨ : «حتى توافوا بدومة الجندل بأذرح» وقد ورد في الطبري ج ٦ ص ٣٢ : «وأنهما يجتمعان بدومة الجندل فإن لم يجتمعا لذلك اجتمعا من العام المقبل بأذرح».
وإن بين دومة الجندل وأذرح تسع مراحل والمعروف أن اجتماع الحكمين كان بدومة الجندل وأن كلمة أذرح زائدة هنا وفي الطبري وابن الأثير.
وفي المسعودي ج ٢ ص ٤٠٦ : وفي سنة ثمان وثلاثين كان التقاء الحكمين بدومة الجندل، وقيل بغيرها على ما قدمنا من وصف التنازع في ذلك.

قدّمه حسن السياسة وانه صهر رسول الله صلى الله عليه وسلم وكاتبه وصاحبه والطالب بدم عثمان، وعرّض بالولاية . فقال له ابو موسى يا عمرو اتق الله واعلم ان هذا الأمر ليس بالشرف وإلّا لكان لآل أبْرَهَة بن الصبّاح، وانما هو بالدين والفضل، مع انه لو كان بشرف قريش لكان لعليّ بن ابي طالب، وما كنت لارى لمعَاوية طلبه دم عثمان وأوّليه وأدَع المهاجرين الأوّلين . وأما تعْريضك بالولاية، فلو خرج لي عثمان عن سلطانه ما وليته وما ارتشي في حكم الله .

ثم دعاه الى تولية عبدالله بن عمر . قال له عمرو : فما يمنعَك من ابني وهو من علمت ؟ فقال له رجل صدق ولكنك غمسته في الفتنة . فقال عمرو : ان هذا الأمر لا يصلح الا لرجل له ضرس يأكل ويطعم ــ وكانت في ابن عمر غفلة ــ . وكان ابن الزبير بازائه فنبّهه لما قال . فقال ابن عمر لا أرشو عليها أبداً! ثم قال أبو موسى يا ابن العَاص ان العَرب اسندت أمرها اليك بعد المقارعة بالسيوف، فلا تردّهم في فتنة . قال له فخبّرني ما رأيك؟ قال ارى ان نخلع الرجلين ونجعَل الأمر شورى فيختار المسلمون لانفسهم . فقال عمرو الرأي ما رأيت !

ثم اقبلوا على الناس وهم ينتظرونهم وكان عمرو قد عوّد أبا موسى أن يقدّمه في الكلام لما له من الصحبة والسن . فقال يا أبا موسى ! أعلمهم أن رأينا قد اتفق فقال : إنّا رأينا أمراً نرجو

الله أن يصلح به الأمّة فقال له ابن عبّاس ويحك أظنه خدعك، فاجعَل له الكلام قبلك، فأبى وقال: أيها الناس إنا نظرنا في أمر الأمّة فلم نَرَ أصلح لهم مما اتفقنا عليه، وهو ان نخلع علياً ومُعاوِيَة ويولّي الناس أمرهم من أَحَبُّوا، واني قد خلعتهما فولّوا من أردتم ورأيتموه أهلاً.

فقال عمرو ان هذا قد خلع صاحبه وقد خلعته كما خلعه، وأثْبَتُّ معاوية فهو وليُّ ابن عفّان واحق الناس بمقامه. ثم عَدا ابن عبّاس وسعد على أبي موسى باللائمة وقال: ما اصنع غدرني ورجع باللائمة على عمرو، وقال لا وفقك الله غدرت وفجرت. وحمل شريح على عمرو فضربه بالسيف[1] وضربه ابن عمر كذلك. وحجز الناس بينهم فلحق ابو موسى بمكّة وانصرف عمرو وأهل الشام الى معاوية فسلّموا عليه بالخلافة. ورجع ابن عباس وشريح الى عليّ بالخبر فكان يقنت اذا صلّى الغداة ويقول: اللهمّ العن معاوية وعمراً وحبيباً وعبد الرحمن بن مخلد والضحّاك بن قيس والوليد وأبا الأعور. وبلغ ذلك معاوية فكان اذا قنت يلعن علياً وابن عبّاس والحسن والحسين والأشتر[2].

---

(١) في نسخة ب: بالسوط.
(٢) قال ابن كثير في تاريخه: إن هذا لم يصحّ اهـ. ولعلّ الدعاء كان بغير اللعن. قاله نصر.

امر الخوارج وقتالهم

ولما اعتزم عليّ أن يبعث أبا موسى للحكومة، أتاه زُرْعَةُ بن البَرْج الطائيّ وحَرْقُوص بن زُهَيْر السعديّ من الخوارج وقالا له: تُبْ من خطيئتك وارجع عن قضيَّتِك واخرج بنا الى عدوِّنا نقاتلهم. وقال عليّ: قد كتبنا بيننا وبينهم كتاباً وعاهدناهم. فقال حرقوص: ذلك ذنب تنبغي التوبة منه. فقال عليّ ليس بذنب ولكنه عجز من الرأي. فقال زُرْعَة: لئن لم تدع تحكيم الرجال لأقاتِلَنَّكَ أطلُبُ وجه الله فقال عليٌّ: بؤساً لك كأني بك قتيلًا تُسفى عليك الرياح قال: وددت لو كان ذلك، وخرجا من عنده يناديان لاحكم إلّا لله.

وخطب عليٌّ يوماً فتنادوا من جوانب المسجد بهذه الكلمة فقال عليّ: الله اكبر كلمة حق أريد بها باطل. وخطب ثانياً فقالوا كذلك فقال: أما آن لكم عندنا ثلاثاً ما صحبتمونا لا نمنعكم مساجد الله ان تذكروا فيها اسمه ولا الفيء ما دمتم معنا، ولا نقاتلكم حتى تبدأونا وننتظر فيكم أمر الله. ثم اجتمع الخوارج في منزل عبدالله بن وهب الراسبي [1] فوعظهم وحرّضهم على الخروج الى بعض النواحي لانكار هذه البدع، وتبعه حرقوص ابن زهير في المقال. فقال حمزة بن سِنان الأَزْدِيّ: الرأي ما

(١) في نسخة ب: ابن وهيب الراسبي.

رأيتم لكن لا بدّ لكم من أمير وراية، فعرضوها على زيد بن حُصَيْن الطائي ثم حرقوص ثم زهير ثم حمزة بن سنان ثم شريح ابن ابي أوفى العنسي فأبوا كلهم ثم عرضوها على عبدالله بن وهب فأجاب فبايعوه لعشر خلون من شوّال. وكان يقال له ذو الثفنات.

ثم اجتمعوا في منزل شريح وتشاوروا وكتب بن وهب الى أهل البصرة منهم يستحث بهم على اللحاق بهم. ولمّا اعترفوا على المسير تعبّدوا ليلة الجمعة ويومها وساروا، فخرج معهم طَرَفَةُ بن عَدِيّ ابن حاتم الطائيّ، واتبعه أبوه الى المدائن فلم يقدروا عليه فرجع ولقيه عبدالله بن وهب في عشرين فارساً وأراد قتله فمنعه من كان معه من طيء. وارسل عليٌّ الى عامل المدائن سَعْدِ بن مسعود يخبرهم فاستخلف ابن أخيه المختار بن أبي عبيد وسار في طلبهم في خمسمائة فارس، فتركوا طريقهم وساروا على بغداد، ولحقهم سعد بالكرخ مساء وجاءه عبدالله في ثلاثين فارساً وقاتلهم وامتنعوا. وأشار اصحابه بتركهم [1] الى أن يأتي فيهم أمر عليّ فأبى، ولمّا جنّ عليهم الليل عبر عبدالله اليهم دجلة وسار الى أصحابه بالنهروان، واجتمعت خوارج البصرة في خمسمائة رجل عليهم مُسْعِرُ بن فَدَكِي التميميّ واتبعهم أبو الأَسْوَدِ الدُؤَليّ بأمر ابن عبّاس، ولحقهم فاقتتلوا حتى حجز بينهم الليل. فأدلج مسعر باصحابه فلحق بعبدالله بن

(١) في نسخة ب: وأمر أصحابه فتركهم.

وهب بالنهروان، ولما خرجت الخوارج بايع علياً اصحابه على قتالهم. ثم انكر[1] شأن الحكمين فخطب الناس وقال: بعد الحمد لله والموعظة إلّا ان هذين الحكمين نبذا حكم القرآن، واتبع كل واحد هواه، واختلفا في الحكم وكلاهما لم يرشد، فاستعدوا للسير الى الشام.

وكتب الى الخوارج بالنهروان بذلك، واستحثهم للمسير الى العدوّ وقال: نحن على الأمر الأوّل الذي كنا عليه. فكتبوا اليه انك غضبت لنفسك ولم تغضب لربّك، فان شهدت على نفسك بالكفر وتبت نظرنا بيننا وبينك، وإلّا فقد نابذناك على سواء، فيئس عليّ منهم ورأى أن يمضي الى الشام ويدعهم. وقام في الناس يحرّضهم لذلك. وكتب الى ابن عبّاس من معسكره بالنُخَيْلَةِ يأمره بالشخوص في العَساكر والمقام الى أن يأتي أمره. فاشخص ابن عبّاس الأحنف بن قيس في الف وخمسمائة. ثم خطب ثانية وندب الناس وقال: كيف ينفر هذا العَدد القليل وانتم ستونَ ألف مقاتل. ثم تهدّدهم وأمرهم بالنفير مع جارية ابن قدامة السعدي، فخرج معه الف وستمائة[2] ووافوا علياً في ثلاثة آلاف أو يزيدون.

---

(١) في نسخة ب: ثم بلغه شأن الحكمين.
(٢) في نسخة ب: ألف وسبعمائة.

ثم خطب أهل الكوفة ولاطفهم بالقول وحرّضهم وأخبرهم بما فعل أهل البصرة مع كثرتهم وقال: ليكتب اليّ كل رئيس منكم ما في عشيرته من المقاتلة من ابنائهم ومواليهم، فاجابه سعيد ابن قيس الهَمَدَانِيّ، ومَعْقَلُ بن قيسٍ وعَدِيٌّ بن حاتمٍ وزياد بن خَصَفَةَ وحُجْرُ بن عَدِيّ وأشراف الناس بالسمع والطاعة، وأمروا ذويهم ألّا يتخلّف منهم أحد، فكانوا أربعين ألف مقاتل وسبعة عشر الفاً ممن بلغ الحلم. وانتهت عساكره الى ثمانية وستين ألفاً. وبلغه ان الناس يرون تقديم الخوارج فقال لهم: ان قتال أهل الشام أهمّ[1] علينا لانهم يقاتلونكم ليكونوا ملوكاً جبّارين، وليتخذوا عباد الله خَوَلا فرجعوا الى رأيه وقالوا: سر بنا الى حيث شئت وبينما هو على اعتزام السير الى أهل الشام بلغه ان خوارج أهل البصرة لقوا عبدالله بن خَبّاب من صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم قريباً من النَهْرَوان، فعرّفهم بنفسه فسألوه عن أبي بكر وعمر فاثنى خيرًا، ثم عن عثمان في أول خلافته وآخرها، فقال كان محقًّا في الاول والآخر، فسألوه عن عليّ قبل التحكيم وبعده فقال هو أعلم بالله وأشدّ توقياً على دينه. فقالوا إنك توالي الرجال على اسمائها ثم ذبحوه، وبقروا بطن امرأته، ثم قتلوا ثلاث نسوة من طيء. فآسفَ علياً قتلُهم عبدَالله بن

---

(١) في نسخة ب: أحب علينا.

ضباب واعتراضهم الناس . فبعث الحرث بن مُرّة العَبْدِيّ لينظر فيما بلغه عنهم فقتلوه، فقال له اصحابه: كيف ندع هؤلاء ونأمن غائلتهم في اموالنا وعيالنا، انما نقدم امرهم على الشام . وقام الاشعث بن قيس بمثل ذلك . فوافقهم عليّ وسار اليهم وبعث من يقول لهم ادفعوا الينا قتلة اخواننا منكم فنكفّ عنكم حتى نرجع من قتال العرب [١] لعل الله يردّكم الى خير . فقالوا : كلنا قتلهم وكلنا مستحل دماءكم ودماءهم .

ثم جاءهم قيس بن سعد ووعظهم، وابو أيوب الانصاري كذلك . ثم جاءهم عليّ فتهددهم وسفه رأيهم، وبيّن لهم شأن الحكمين، وأنهما لمّا خالفا حكم الكتاب والسنَّة نبذنا أمرهما ونحن على الأمر الأوّل فقالوا : إنّا كفرنا بالتحكيم وقد تبنا، فان تبت أنت فنحن معك وان أبيت فقد نابذناك . فقال : كيف احكم على نفسي بالكفر بعد ايماني وهجرتي وجهادي؟ ثم انصرف عنهم .

وقيل ان عليًّا خطبهم وأغلظ عليهم فيما فعلوه من الاستعراض والقتل، فتنادوا لا تكلموهم وتأهّبوا للقاء الله . ثم قصدوا جسر الخوارج ولحقهم عليّ دونه، وقد عبّى أصحابه وعلى ميمنته حُجْر ابن عَدِيّ وعلى ميسرته شِبْثُ بن رَبْعِيّ او مَعْقِل بن قيس، وعلى

(١) يعني أهل الشام : كذا في بداية ابن كثير.

الخيل أبو أيّوب وعلى الرّجالة ابو قَتادَة، وعلى أهل المدينة، سبعمائة او ثمانمائة، قيس بن سعد .

وعبأت نحوه الخوارج على ميمنتهم زيد بن حصين الطائي، وعلى الميسرة شُرَيْح بن اوفى العَنَسِيّ [١] وعلى الخيل حمزة بن سنان الأَسَدِيّ، وعلى الرّجالَة حرقوص بن زُهَيْر . ودفع عليّ الى ابي أيوب راية أمان لهم لمن جاءها ممن لم يقتل ولم يستعرض فناداهم اليها وقال : من انصرف الى الكوفة والمدائن فهو آمن . فاعتزل عنهم فَرْوَةُ بن نَوْفَل الأَشْجَعِيّ في خمسمائة وقال أعتزل حتى يتضح لي امر في قتال عليّ، فنزل الدسكرة . وخرج آخرون الى الكوفة، ورجع آخرون الى عليّ وكانوا اربعة آلاف . وبقي منهم ألف وثمانمائة فحمل عليهم عليّ والناس حتى فرّقهم [٢] على الميمنة والميسرة .

ثم استقبلتهم الرماة وعطفت عليهم الخيل من المجنبتين، ونهض اليهم الرجال بالسلاح فهلكوا كلّهم في ساعة واحدة كأنما قيل لهم موتوا، وقتل عبدالله بن وَهْبٍ وزَيْدُ بن حِصْنٍ وحَرْقوص بن زُهَيْرٍ وعبدالله بن شَجَرَة وشُرَيْح بن أوفى . وامر علي ان يلتمس المخدج في قتلاهم وهو الذي ذكره رسول الله صلى الله عليه وسلم

(١) في نسخة ب : العبسي .
(٢) في نسخة ب : فحملوا على الناس حتى فرّقوهم .

في علاماتهم، فوجد في القتلى. فاعتبر[1] علي وكبّر واستبصر الناس وأخذ ما في عسكرهم من السلاح والدواب فقسمه بين المسلمين وردّ عليهم المتاع والاماء والعبيد.

ودفن عديّ بن حاتم ابنه طَرَفة[2] ورجالًا من المسلمين فنهى عليّ عن ذلك وارتحل ولم يفقد من اصحابه إلّا سبعة او نحوهم. وشكى اليه الناس الكلال ونفود السهام والرماح وطلبوا الرجوع الى الكوفة ليستعدوا فانه أقوى على القتال[3]. وكان الذي تولى كلامه الأشعث بن قيس فلم يجبه واقبل فنزل النخيلة ومنعهم من دخول منازلهم حتى يسيروا الى عدوّهم، فتسللوا أيام المقامة الى البيوت وتركوا المعسكر خالياً. فلما رأى علي ذلك دخل في ندبهم ثانياً فلم ينفروا فأقام اياماً ثم كلم رؤساءهم عن رأيهم والذي يبطئ بهم فلم ينشط لذلك إلّا القليل. فخطبهم وأغلظ في عتابهم وأعلمهم بما له عليهم من الطاعة في الحقّ والنصح فتثاقلوا وسكتوا.

ولاية عمرو بن العاص مصر

قد تقدّم لنا ما كان من اجتماع العُثمانيّة بنواحي مصر مع معاوية بن حُدَيج السكوني، وان محمد بن أبي بكر بعث اليهم

(١) كذا في الأصل، ومقتضى السياق. فاستعبر.
(٢) في نسخة ب: ودفن عدي بن حاتم ابنه طرفة.
(٣) في نسخة ب: أقوى على العدو.

العساكر من الفسطاط مع ابن مضاهم [١] فهزموه وقتلوه، واضطرمت الفتنة بمصر على محمد بن أبي بكر وبلغ ذلك علياً، فبعث الى الاشتر من مكان عمله بالجزيرة وهو نصيبين فبعثه على مصر وقال: ليس لها غيرك. وبلغ الخبر الى معاوية وكان قدطمع في مصر فعلم انها ستمتنع بالأشتر. وجاء الاشتر فنزل على صاحب الخراج بالقُلْزُم فمات هنالك، وقيل إنّ معاوية بعث إلى صاحب القلزم فسمّه على ان يسقط عنه الخراج وهذا بعيد.

وبلغ خبر موته علياً فاسترجع واسترحم، وكان محمد بن أبي بكر لما بلغته ولاية الأشتر شقّ عليه فكتب عليّ يعتذر إليه، وانه لم يولّه لسوء رأيه في محمّد وانما هو لما كان يظنّ فيه من الشدّة. فقد صار الى الله ونحن عنه راضون فرضي الله عنه وضاعف له الثواب، فاصبر لعدوّك وشمّر للحرب، وادع الى سبيل ربّك بالحكمة والموعظة الحسنة واكثر من ذكر الله والاستعانة به والخوف منه يكفيك ما أهمّك ويعينك على ما ولّاك فأجابه محمد بالرضا برأيه والطاعة لأمره. وانّه مزمع على حرابة من خالفه.

ثم لما كان من أمر الحكمين ما كان، واختلف أهل العراق على عليّ وبايع أهل الشام معاوية بالخلافة. فاراد [٢] معاوية صرف عمله [٣] الى مصر لما كان يرجو من الاستعانة على حروبه بخراجها.

---

(١) هو ابن مضاهم الكلبي كما في الكامل لابن الأثيرج ٣ ص ١٧٧.

(٢) في نسخة ب: فازداد.

(٣) في نسخة ب: وصرف همه.

ودعا بِطَانَتَهُ أبا الأعور السَلِمِيّ وحَبيب بن مَسْلَمَة وبسر بن أرطاة والضحّاك بن قيس وعبد الرحمن بن خالد بن الوليد وشرحبيل بن السمط وشاورهم في شأنها، فاشار عليه عمرو بافتتاحها . وأشار ببعث الجيش مع حازم صارم يوثّق ويجتمع إليه من كان على رأيه من العثمانية .

فقال معاوية : بل الرأي ان نكاتب العثمانيّة بالوعد ونكاتب العدوّ بالصلح والتخويف، ونأتي الحرب بعد ذلك. ثم قال معاوية : انك يا ابن العاص بورك لك في العجلة وأنا في التؤدة فقال : افعل ما تراه وأظن الأمر لا يصير إلّا للحرب . فكتب معاوية الى معاوية بن حُدَيج ومسلمة بن مُخلِد يشكرهما على الخلاف ويحثهما على الحرب والقيام في دم عثمان، وفرحا بجوابها[1] فطلب المدد فجمع اصحابه وأشاروا بذلك .

فأمر عمرو بن العاص ان يتجهّز الى مصر في ستة آلاف رجل ووصّاه بالتؤدة وترك العجلة فنزل ادنى ارض مصر، واجتمعت اليه العثمانيّة . وبعث كتابه وكتاب معاوية الى محمّد بن ابي بكر بالتهديد، وان الناس اجتمعوا عليك وهم مسلموك فاخرج فبعث بالكتابين الى عليّ فوعده بانفاذ[2] الجيوش وأمره بقتال العدوّ

(١) في نسخة ب : وجاء جوابها.
(٢) في نسخة ب : بانقياد.

والصبر . فقدّم محمد بن أبي بكر كنانة بن بشر في الفين، فبعث معاوية عمرو بن حديج(١) وسرّحه في أهل الشام، فاحاطوا بكنانة فترجّل عن فرسه وقاتل حتى استشهد . وجاء الخبر الى محمد بن ابي بكر فافترق عنه أصحابه وفروا وآوى في مفرّه الى خربة واستتر في تلك الخربة فقبض عليه، فأخذه ابن حديج وجاء به الى الفسطاط وطلب أخوه عبد الرحمن من عمرو أن يبعث الى ابن حديج في البقاء عليه فأبى . وطلب محمد الماء فمنعه ابن حديج جزاء بما فعل بعثمان . ثم احرقه في جوف حمار بعد ان لعنه ودعا عليه وعلى معاوية وعمرو .

وكانت عائشة تقنت في الصلاة بالدعاء على قتلته(٢) ويقال إنه لما انهزم اختفى عند جبلة بن مسروق حتى أحاط به معاوية بن حديج(٣) وأصحابه فخرج اليهم فقاتل حتي قتل . ولما بلغ الخبر عليًّا خطب الناس وندبهم الى اعدائهم وقال : اخرجوا بنا الى الجزعة بين الحيرة والكوفة . وخرج من الغد الى منتصف النهار يمشي اليها حتى نزلها، فلم يلحق به احد، فرجع من العشيّ وجمع اشراف الناس ووبّخهم فاجاب مالك بن كعب الأرحبيّ في الفين . فقال سر وما اراك تدركهم، فسار خمساً . ولحق حجّاج بن

---

(١) في نسخة ب : فبعث عمرو معاوية بن حديج .

(٢) أي من الشاميين والمصريين الذين قتلوا محمد بن أبي بكر اهـ . بداية .

(٣) في نسخة ب : خديج .

عرفة الانصاري قادماً من مصر فأخبر بقتل محمد. وجاء الى عليّ عبد الرحمن بن شِبْثٍ الفَزاريّ وكان عيناً له بالشام. فاخبره بقتل محمد واستيلاء عمرو على مصر فحزن بذلك وبعث الى مالك بن كعب[1] أن يرجع بالجيش. وخطب الناس فاخبرهم بالخبر وعذلهم على ما كان منهم من التثاقل حتى فات هذا الامر ووبّخهم طويلاً ثم نزل.

دعاء ابن الحضرمي بالبصرة لمعاوية ومقتله

ولمّا افتتح مُعاوِيَةُ مِصْرَ بعث عبدَاللهِ بن الحَضْرَمِيّ الى البصرة داعياً لهم، وقد آنس منهم الطاعة بما كان من قتل عليّ إيّاهم يوم الجمل، وانهم على رأيه في دَمِ عُثْمَانَ وأوصاه بالنزول في مصر وان يتودّد الى الأزد وحذّره من ربيعة وقال: إنهم ترائبه! يعني شيعة لعليّ. فسار ابن الحَضْرَمِيِّ حتى قَدِمَ البصرة.

وكان ابن عبّاس قد خرج الى عليّ واستخلف عليها زياداً، ونزل في بني تميم واجتمع اليه العثمانية فحضّهم على الطلب بدم عثمان من عليّ. فقال الضحّاكُ بن قَيْسٍ الهِلاَلِيّ: قبّح الله ما جئت به وما تدعو اليه، تحمِلُنا على الفرقة بعد الاجتماع وعلى الموت ليكون معاوية أميراً؟ فقال له عبدالله بن حازم السَلَمِيّ اسكت! فلست لها بأهل. ثم قال لابن الحَضْرَمِيّ نحن أنصارك

---

(١) في نسخة ب: كعب بن مالك.

ويدك والقول قولك، فقرأ كتاب معاوية يدعوهم الى رأيه من الطلب بدم عثمان على أن يعمل فيهم بالسُنَّةِ ويضاعف لهم الأَعْطِيَةَ. فلما فرغ من قراءته قام الأَحْنَف بن قيس معتزلًا وحضّ عمر ابن مرحوم على لزوم البيعة والجماعة.

وقام العباس بن حجر في مناصرة ابن الحضرميّ فقال له المثنّى ابن مخرمة: لا يغرنّك ابن صحّار وارجع من حيث جئت. فقال ابن الحضرمي لصَبْرَةَ بن شيمان الأزدي ألا تنصرني؟ قال لو نزلت عندي فعلت! ودعا زياد أمير البصرة حُصَيْن بن المنذر ومالك بن مسمع ورؤوس بكر بن وائل الى المنعة من ابن الحضرمي إلى أن يأتي أمر علي، فاجاب حُصَين وتثاقل مالك وكان هواه في بني أميّة. فارسل زياد الى صَبْرَةَ بن شيمان يدعوه الى الجدار بما معه من بيت المال[1] فقال: ان حملته الى داري أجرتك فتحوّل اليه ببيت المال والمنبر، وكان يصلّي الجمعة في مسجد قومه واراد زياد اختبارهم فبعث اليهم من ينذرهم بمسيره إليهم، وأخذ زياد جنداً منهم بعد صبره لذلك وقال: ان جاءوا جئناهم. وكتب زياد الى عليّ بالخبر فأرسل أعين بن ضبيعة[2] لنفرق تميماً عن

(١) كذا في الأصل في الكامل لابن الأثير ج ٣ ص ١٨٢: فأرسل إلى صبرة بن شيمان الحداني الأزدي يطلب أن يجيره وبيت مال المسلمين.
(٢) في نسخة ب: ابن صعصعة.

ابن الحضرمي، ويقاتل من عصاه بمن أطاعه . فجاء لذلك وقاتلهم يوماً او بعض يوم . ثم اغتاله قوم فقتلوه يقال من الخوارج .

ولاية زياد على فارس

ولما قتل ابن الحضرمي بالبصرة والناس مختلفون على علي طمع أهل النواحي من بلاد العجم في كسر الخراج وأخرج أهل فارس عاملهم سَهْل بن حنيف فاستشار عليّ الناس فأشار عليه جارية [1] بن قدامة [2] بزياد فأمر ابن عبّاس أن يولّيه عليها فبعثه اليها في جيش كثيف فطوى بهم أهل فارس، وضرب ببعضهم بعضاً وهرب قوم وأقام آخرون، وصفت له فارس بغير حرب . ثم تقدّم الى كرمان فدوّخها مثل ذلك فاستقامت وسكن الناس ونزل اصطخر وسكن قلعة بها تسمّى قلعة زيّار .

فراق ابن عباس لعلي (رض)

وفي سنة أربعين فارق عبدالله بن عبّاس علياً [3] ولحق بمكة وذلك أنه مرّ يوماً بأبي الاسود [4] ووبّخه على أمر فكتب أبو الأسود الى علي بأنّ ابن عبّاس استتر بأموال الله، فاجابه عليّ يشكره على ذلك. وكتب لابن عبّاس ولم يخبره بالكاتب، فكتب

---

(١) في نسخة ب: حارثة.

(٢) جارية بن قدامة بالجيم والتحتية، صرّح به في شرح مسلم وليس حارثة بالمهملة والمثلثة ـ قاله نصر.

(٣) في نسخة ب: البصرة.

(٤) في نسخة ب: بأبي الحسن.

اليه بكذب ما بلغه من ذلك وانه [١] ضابط للمال حافظ له .
فكتب اليه عليّ : أعلمني ما أخذت ومن أين اخذت وفيما
وضعت ؟ فكتب اليه ابن عبّاس فهمت استعظامك لما رفع اليك
إني رزأته من هذا المال فابعث الى عملك من احببت فاني ظاعن
عنه ، واستدعى أخواله من بني هلال فجاءته قيس كلها ، فحمل
المال وقال : هذه ارزاقنا واتبعه أهل البصرة ووقفت دونه قيس ،
فرجع صَبْرَةُ بن شيمان الهَمَدَانيّ بالأَزد وقال قَيس : إخواننا وهم
خير من المال فأطيعوني .

وانصرف معهم بكر وعبد القيس ، ثم انصرف الأَحنف
بقومه من بني تميم وحجز بقية بني تميم عنه ولحق ابن عبّاس
بمكة .

مقتل عليّ (رض)

قتل عليّ (رض) سنة اربعين لسبع عشرة من رمضان ،
وقيل لاحدى عشرة ، وقيل في ربيع الآخر والأَوّل أصح . وكان
سبب قتله ان عبد الرحمن بن مُلجِمَ المُرَادِيّ والبُرَك بن عبدالله
التميمِيّ الصُرَيْمِيّ واسمه الحَجّاج ، وعمرو بن بكر التميمي السَعْدِيّ :
ثلاثتهم من الخوارج لحقوا من فلّهم بالحجاز واجتمعوا فتذاكروا

(١) في نسخة ب : وأنه برىء ضابط للمال.

ما فيه الناس وعابوا الولاة وترحّموا على قتلى النهروان وقالوا: ما نصنع بالبقاء بعدهم فلو شَرَيْنَا أنفسنا وقتلنا أئمة الضلال وأرحنا منهم النَّاسُ.

فقال ابن ملجم: ـ وكان من مصر ـ أنا اكفيكم عَلِيًّا وقال البرك[1] أنا اكفيكم معاوية، وقال عمرو بن بكر التميمي: أنا اكفيكم عمرو بن العاص وتعاهدوا أن لا يرجع أحد عن صاحبه حتى يقتله او يموت. واتّعدوا لسبع عشرة من رمضان وانطلقوا. ولقي ابن ملجم اصحابه بالكوفة فطوى خبره عنهم. ثم جاء الى شبيب بن شَجَرَة من أشجع ودعاه الى الموافقة[2] في شأنه. فقال شبيب: ثَكِلَتْكَ أُمُّك فكيف تقدر على قتله؟ قال أكمن له في المسجد في صلاة الغداة، فان قتلناه وإلّا فهي الشهادة. قال ويحك لا أجدني أنْشَرِحُ لقتله مع سابقته وفضله، قال ألم يقتل العباد الصالحين أهل النهروان؟ قال بلى! قال فنقتله بمن قتله منهم فاجابه.

ثم لقي امرأةً من تَيْمِ الرباب فائقة الجمال قتل أبوها وأخوها يوم النهروان فأخذت قلبه فخطبها فشرطت عليه عبداً وقينة وقتل عَلِيّ. فقال كيف يمكن ما انت تريدين؟ قالت التمس غرته

(١) البرك بوزن صرد كذا ضبطه الحافظ اهـ. تاج العروس.
(٢) في نسخة ب: المرافقة.

فأن قتلته شفيت النفوس وإلّا فهي الشهادة قال: والله ما جئت إلّا لذلك ولك ما سألت قالت: سأبعث معك من يشدّ ظهرك ويساعدك، فبعثت معه رجلاً من قومها اسمه وَرْدَان فلما كانت الليلة التي واعد ابن ملجم اصحابه على قتل عليّ، وكانت ليلة الجمعة جاء الى المسجد ومعه شبيب ووردان، وجلسوا مقابل السدّة التي يخرج منها عليّ للصلاة. فلما خرج ونادى للصلاة علاه شبيب بالسيف فوقع بعضادة الباب، وضربه ابن ملجم على مقدّم رأسه وقال: الحكم لله لا لك يا علي ولا لاصحابك، وهرب وردان الى منزله واخبر بعض اصحابه بالأمر فقتله وهرب شبيب مُغْلِساً. وصاح الناس به فلحقه رجل من حضرموت، فأخذه وجلس عليه والسيف في يد شبيب والناس قد اقبلوا في طلبه. وخشي الحضرمي على نفسه لاختلاط الغَلَس فتركه وذهب في غمار الناس.

وشدّ الناس على ابن ملجم، واستخلف علي على الصلاة جُعْدَةَ ابن هُبَيْرَة وهو ابن اخته أم هانيء فصلّى الغداة بالناس، وأدخل ابن ملجم مكتوفاً على عليّ فقال: ايه عدوّ الله ما حملك على هذا؟ قال شحذته أربعين صباحاً وسألت الله ان يقتل به شر خلقه. فقال اراك مقتولاً به! ثم قال إن هلكت فاقتلوه كما قتلني، وإن بقيت رأيت فيه رأيي. يا بني عبد المطلب لا تُخرِّضوا على دماء المسلمين وتقولوا قتل أمير المؤمنين، لا تقتلوا إلّا قاتلي.

يا حسن! أنا إن متّ من ضربتي هذه فاضربه بسيفه ولا

تمثلنّ بالرجل فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إياكم والمثلة . وقالت أم كلثوم لابن ملجم وهو مكتوف وهي تبكي : اي عدوّ الله لا بأس على أبي والله مخزيك، قال فعلام تبكين؟ والله لقد شريته بألف وصقلته أربعين، ولو كانت هذه الضربة بأهل بلد ما بقي منهم أحد .

وقال جُنْدُبُ بن عبدالله لعليّ أنبايع الحسن ان فقدناك ؟ قال ما آمركم به ولا أنهاكم انتم أبصر . ثم دعا الحسن والحسين ووصّاهما قال : أوصيكما بتقوى الله، ولا تبغيا الدنيا وان بغتكما، ولا تأسفا على شيء زوى منها عنكما[1] وقولا الحق وارحما اليتيم واعينا الضائع[2] وكونا للظالم خصماً وللمظلوم ناصراً، واعملا بما في كتاب الله ولا تأخذكما في الله لومة لائم . ثم قال لمحمّد بن الحنفيّة إني اوصيك بمثل ذلك وبتوقير أخويك لعظيم حقهما عليك، ولا تقطع أمراً دونهما . ثم وصّاهما بابن الحنفيّة، ثم أعاد على الحسن وصيّته . ولما حضرته الوفاة كتب وصيته العامة ولم ينطق إلّا بلا إله إلا الله حتى قبض .

واحضر الحسن ابن ملجم فقال له هل لك البقاء عليّ ! وإني قد عاهدت الله ان اقتل علياً ومعاوية، واني عاهدت الله على

(١) في نسخة ب : ولا تبكيا منها على شيء رزى عنكما .
(٢) في نسخة ب : واصنعا لله، ثم بياض . وفي الكامل ج ٣ ص ١٩٦ : واعينا الضائع واصنعا للآخرة .

الوفاء بالعهد فخل بيني وبين ذلك ، فان قتلته وبقيت فلك عهد الله ان آتيك فقال : لا والله حتى تعاين النار ، ثم قدّمه فقتله . واما البُرَك فانه قصد لمعاوية تلك الليلة ، فلما خرج للصلاة ضربه بالسيف في إليته وأخذ فقال : عندي بشرى [1] اتنفعني ان اخبرتك بها ؟ قال نعم ! قال إن أخاً لي قتل علياً هذه الليلة . قال فلعلّه لم يقدر عليه ؟ قال بلى إنّ علياً ليس معه حرس . فأمر به معاوية فقتل واحضر الطبيب فقال : ليس إلا الكي او شربة تقطع منك الوُلد فقال : في يزيد وعبدالله ما تقرّ به عيني ، والنار لا صبر لي عليها .

وقد قيل إنه أمر بقطع البُرَك فقطِع وأقام الى أيام زياد فقتله بالبصرة . وعند ذلك اتخذ معاوية المقصورة ، وحرس الليل ، وقيام الشرط على رأسه إذا سجد . ويقال ان اول من اتخذ المقصورة مروان بن الحكم سنة اربع واربعين حين طعنه اليمانيُّ . واما عمرو ابن بكر فانّه جلس إلى عمرو بن العاص تلك الليلة فلم يخرج وكان اشتكى فأمر صاحب شرطته خارِجَة بن أبي حُبَيْبَة بن عامر ابن لُوَيّ يصلي بالناس فشدّ عليه فضربه فقتله ، وهو يرى أنه عمرو بن العاص . فلما أخذوه وأدخلوه على عمرو قال : فمن قتلت اذاً ؟ قالوا خارِجة فقال لعمرو بن العاص والله ما ظننته غيرك !

---

(١) في نسخة ب : مسرّة .

فقال عمرو : أردت عمراً وأراد الله خارجة . وأمر بقتله وتوفي عليّ رضي الله عنه، وعلى البصرة عبدالله بن عبّاس، وعلى قضائها ابو الأسود الدؤلي، وعلى فارس زياد بن سميّة، وعلى اليمن عبيد الله ابن العبّاس، حتى وقع أمر بسر بن أبي ارطاة، وعلى مكة والطائف قثم بن عباس، وعلى المدينة أبو أيوب الأنصاري وقيل سهل[1] ابن حنيف .

بيعة الحسن وتسليمه الأمر لمعاوية

ولما قتل عليّ رضي الله عنه اجتمع اصحابه فبايعوا ابنه الحسن، واول من بايعه قيس بن سعد وقال : ابسط يدك على كتاب الله وسنّة رسوله وقتال الملحدين، فقال الحسن : على كتاب الله وسنّة رسوله . ويأتيان على كل شرط ثم بايعه الناس، فكان يشترط عليهم انكم سامعون مطيعون تسالمون من سالمت وتحاربون من حاربت . فارتابوا وقالوا : ما هذا لكم بصاحب وما يريد القتال . وبلغ الخبر بمقتل عليّ الى معاوية فبويع بالخلافة ودعي بأمير المؤمنين، وكان قد بويع بها بعد اجتماع الحكمين . ولاربعين ليلة بعد مقتل عليّ مات الأشعث بن قيس الكنديّ من أصحابه . ثم مات من اصحاب معاوية شرحبيل بن السمط الكندي وكان عليّ قبل قتله

---

(١) في نسخة ب: سهيل.

قد تجهّز بالمسلمين الى الشام، وبايعه أربعون ألفاً من عسكره على الموت .

فلما بويع الحسين زحف معاوية في أهل الشام الى الكوفة فسار الحسن في ذلك الجيش للقائه، وعلى مقدّمته قيس بن سعد في اثني عشر ألفاً وقيل بل كان عبدالله بن عبّاس على المقدمة، وقيس في طلائعه . فلما نزل الحسن في المدائن شاع في العسكر ان قيس بن سعد قتل، واهتاج الناس وماج بعضهم في بعض، وجاءوا إلى سرادق الحسن ونهبوا ما حوله حتى نزعوه بساطه الذي كان عليه، واستلبوه رداءه، وطعنه بعضهم في فخذه . وقامت ربيعة وهمدان دونه واحتملوه على سرير الى المدائن . ودخل الى القصر وكاد أمره ان ينحلّ، فكتب الى معاوية يذكر له النزول عن الأمر على أن يعطيه ما في بيت المال بالكوفة ومبلغه خمسة آلاف ألف، ويعطيه خراج دارابجرد من فارس وأن لا يشتم علياً وهو يسمع .

وأخبر بذلك أخاه الحسين وعبدالله بن جعفر، وعذلاه فلم يرجع اليهما . وبلغت صحيفته الى معاوية فامسكها، وكان قد بعث عبدالله بن عامر وعبدالله بن سُمرة الى الحسن ومعهما صحيفة بيضاء ختم في اسفلها وكتب اليه أن اشترط في هذه الصحيفة ما شئت فهو لك، فاشترط فيها أضعاف ما كان في الصحيفة . فلما سلّم له وطالبه في الشروط أعطاه ما في الصحيفة الأولى وقال :

هو الذي طلبت[1] ثم نزعه أهل البصرة خراج دارا بجرد وقالوا : هو فيئنا لا نعطيه .

وخطب الحسن أهل العراق وقال سخي نفسي عنكم ثلاث : قتل ابي وطعني وانتهاب بيتي ، ثم قال ألا وقد اصبحتم بين قبيلتين ، قبيل بصفين يبكون له ، وقبيل بالنهروان يطلبون بثأره . وأما الباقي فخاذل وأما الباكي فثائر . وان معاوية دعانا الى أمر ليس فيه عز ولا نصفة ، فان اردتم الموت رددناه عليه وحاكمناه الى الله بظبى السيوف ، وان اردتم الحياة قبلناه وأخذنا لكم الرضى . فناداه الناس من كل جانب البقية البقية فامضى الصلح . ثم بايع لمعاوية لستة اشهر من بيعته ، ودخل معاوية الكوفة وبايعه الناس . وكتب الحسن الى قيس بن سعد يأمره بطاعة معاوية فقام قيس في اصحابه فقال : نحن بين القتال مع غير امام او طاعة امام ضلالة فقال له الناس : طاعة الامام أولى .

وانصرفوا الى معاوية فبايعوه وامتنع قيس وانصرف . فلما دخل معاوية الكوفة أشار عليه عمرو بن العاص أن يقيم الحسن للناس خطيباً ليبدو للناس عيّه ، فلما قدم حمد الله وقال : ايها الناس ان الله هدا كم باوّلنا وحقن دماءكم بآخرنا وان لهذا الأمر مدّة ، وإن الدنيا دول والله عزّ وجلّ يقول لنبيّه : وان ادري

---

(١) في نسخة ب : اشترطت .

لعلّه فتنة لكم ومتاع الى حين . فقال له معاوية : اجلس! وعرف أنه خدع في رأيه .

ثم ارتحل الحسن في أهل بيته وحشمهم الى المدينة ، وخرج أهل الكوفة لوداعه باكين فلم يزل مقيماً بالمدينة الى أن هلك سنة تسع واربعين . وقال ابو الفرج الأصبهاني سنة احدى وخمسين ، على فراشه بالمدينة . وما ينقل من أن معاوية دسّ اليه السم مع زوجته جعدة بنت الأشعث فهو من أحاديث الشيعة ، وحاشا لمعاوية من ذلك .

وأقام قيس بن سعد على امتناعه من البيعة ، وكان معاوية قد بعث عبدالله بن عامر في جيش الى عبيدالله بن عبّاس لما كتب اليه في الأمان بنفسه فلقيه ليلاً وأمّنه وسار معه الى معاوية فقام بأمر العسكر بعده قيس بن سعد ، وتعاقدوا على قتال معاوية حتى يشترط لشيعة عليّ على دمائهم وأموالهم وما كانوا أصابوا في الفتنة . وبلغ الخبر الى معاوية وأشار عليه عمرو في قتاله ، فقال معاوية : يقتل في ذلك أمثالهم من أهل الشام ولا خير فيه ، ثم بعث اليه بصحيفة ختم في اسفلها وقال : اكتب في هذا ما شئت فهو لك : فكتب قيس له ولشيعته الأمان على ما أصابوا من الدماء والأموال ولم يسأل مالاً ، فاعطاه معاوية ذلك وبايعه قيس والشيعة الذين معه . ثم جاء سعد بن أبي وقّاص فبايعه واستقرّ الأمر لمعاوية

واتفق الجماعة على بيعته وذلك في منتصف سنة إحدى واربعين، وسمّى ذلك العام عام الجماعة من أجل ذلك .

ثم خرج عليه الخوارج من كل جهة من بقيّة أهل النهروان وغيرهم، فقاتلهم واستلحمهم كما يأتي في أخبارهم على ما اشترطناه في تأليفنا من افراد الأخبار عن الدول وأهل النِحَل دولةً دولة وطائفةً طائفة. وهذا آخر الكلام في الخلافة الاسلاميّة وما كان فيها من الردّة والفتوحات والحروب ثم الاتفاق والجماعة، اوردتها ملخصة عيونها ومجامعها من كتاب محمد بن جرير الطبري وهو تاريخه الكبير فانه أوثق ما رأيناه في ذلك وأبعد من المطاعن عن الشبَه في كبار الأمّة وخيارهم وعدولهم من الصحابة رضي الله عنهم والتابعين. فكثيراً ما يوجد في كلام المؤرّخين أخبار فيها مطاعن وشبه في حقهم اكثرها من أهل الاهواء، فلا ينبغي أن تسوّد بها العيون . واتبعتها بمفردات من غير كتاب الطبريّ بعد أن تحرّيت الصحيح جهد الطاقة، وإذا ذكرت شيئاً في الأغلب نسبته الى قائله .

وقد كان ينبغي ان تلحق دولة معاوية وأخباره بدول الخلفاء وأخبارهم فهو تاليهم في الفضل والعدالة والصحبة، ولا ينظر في ذلك الى حديث : الخلافة بعدي ثلاثون، فانّه لم يصحّ . والحق ان معاوية في عداد الخلفاء وإنّما أخّره المؤرخون في التأليف عنهم لأمرين :

الاول ــ ان الخلافة لعهده كانت مغالبة لأجل ما قدّمناه من العصبيّة التي حدثت لعصره، وأما قبل ذلك فكانت اختياراً واجتماعاً، فميّزوا بين الحالتين . فكان معاوية اوّل خلفاء المغالبة والعصبيّة الذين يعبّر عنهم أهل الأهواء بالملوك، ويشبّهون بعضهم ببعض، وحاشى الله أن يشبّه معاوية بأحد ممّن بعده . فهو من الخلفاء الراشدين ومن كان تلوه في الدين والفضل من الخلفاء المروانيّة ممّن تلاه في المرتبة كذلك و كذلك من بعدهم من خلفاء بني العباس . ولا يقال : ان الملك أدون رتبة من الخلافة، فكيف يكون خليفه ملكاً .

واعلم ان الملك الذي يخالف بل ينافي الخلافة هي الجبروتيّة والمعبّر عنها بالكسرويّة التي أنكرها عمر على معاوية حين رأى ظواهرها . وأما المُلك الذي هو الغَلَبَةُ والقهر بالعَصَبِيَّة والشوكة فلا ينافي الخلافة ولا النبوّة ، فقد كان سليمان بن داود وأبوه صلوات الله عليهما نبيّين ومَلِكَيْن وكانا على غاية الاستقامة في دنياهما وعلى طاعة ربّهما عزّ وجلّ . ومعاوية لم يطلب الملك ولا أبّهته للاستكثار من الدنيا ، وإنما ساقه امر العصبيّة بطبعها لمّا استولى المسلمون على الدول كلّها، وكان هو خليفتهم فدعاهم بما يدعو الملوك اليه قومهم عندما تستعمل العصبيّة وتدعو لطبيعة الملك .

و كذلك شأن الخلفاء اهل الدين من بعده اذا دعتهم ضرورة

الملك الى استعمال احكامه ودواعيه. والقانون في ذلك عرض افعالهم على الصحيح من الاخبار، لا بالواهي. فمن جرت افعاله عليها فهو خليفة النبيّ صلى الله عليه وسلم في المسلمين، ومن خرجت افعاله من ذلك فهو من ملوك الدنيا. وإن سمّي خليفة في المجاز.

الأمر الثاني — في ذكر معاوية مع خلفاء بني أميّة دون الخلفاء الأربعة انهم كانوا أهل نسب واحد، عظيمهم معاوية فجعل مع أهل نسبه والخلفاء الأوّلون مختلفو الأنساب، فجعلوا في نمط واحد، وألحق بهم عثمان وان كان من أهل هذا النسب للحوقه بهم قريباً في الفضل، والله يحشرنا في زمرتهم ويرحمنا بالاقتداء بهم.

ما ورد في نسخة باريس زيادة عن نسخة طبع بولاق

كمل بحمد الله وحسن عونه وتوفيقه على يد كاتبه العبد الفقير، المقر بالعجز والتقصير، الراجي عفو ربّه العليم الخبير، المسرف على نفسه بالتقصير، عبدالله بن محمد بن الصايم التِّلِمْسَانِي. اسكنه الله بفضله دار الأماني ويغفر له ولوالديه ولمشايخه ولمن كان السبب في نسخه، ولمن دعا لهم بالمغفرة، ولجميع المسلمين والمسلمات، والمؤمنين والمؤمنات، الأحياء منهم والاموات. والصلاة الدائمة على سيدنا ومولانا محمد خاتم النبيين وإمام المرسلين والرضا عن آله وصحبه أجمعين، ولا حول ولا قوّة إلا بالله العلي العظيم، وآخر

دعوانا أن الحمد لله رب العالمين . وكان الفراغ منه عشيّة يوم الأحد لعشرين مضت من ربيع الآخر سنة ١١٩٢ هـ - اثنين وتسعين ومائة والف من الهجرة النبوية على صاحبها افضل الصلاة وأزكى التسليم انتهى .



فهارس

المجلد الثاني

من تاريخ العلامة ابن خلدون



فهارس "تاريخ" ابن خلدون
المجلد الثاني

وضعها وقدّم لها بكلمة عامة

الاستاذ يوسف اسعد داغر

امين دار الكتب اللبنانية سابقاً

الاختصاصي بفن تنظيم المكتبات وعلم البيبليوغرافيا



كلمة عامة

ننهج في الفهارس العلمية نزود بها « تاريخ » ابن خلدون النهج ذاته الذي اتبعناه في « المقدمة » ونقسمها الاقسام ذاتها لولا انا اسقطنا ما تعلق منها بـ « النجوم والنبات، والحيوان، والمعادن » الوارد ذكرها بين فهارس المقدمة واستعضنا عنها بفهرس خاص بلغة ابن خلدون، وهو فهرس طالما تمنى وضع مثله العلماء الذين انصرفوا لدرس هذا الكاتب والمؤرخ الشهير الذي امدنا بأثر هو في طليعة التراث العربي الفكري الخالد .

والمعروف عن ابن خلدون ان له لغة خاصة انمازت بما جاء على لسانه ونز به شق قلمه من مصطلحات ومفردات وتراكيب هي وقف عليه وحده دون سواه . وهذه اللغة هي من غنى المفردات، وتنوع المصطلحات، وتباين الاوضاع والتراكيب العلمية، بحيث تضفي على اسلوب ابن خلدون البياني ونهجه الانشائي، طابعاً خاصاً به يميزه ويفرّده . وقد رأينا من الفائدة العلمية عامة ومن الخدمة للباحثين المدققين في وجوه ورود اوضاع اللغة واستعمالها على السنة كبار كتابها خاصةً، ان نمد تاريخ ابن خلدون بفهرس لغوي من هذا النوع ينتظم ثروته اللغوية فيسهل بالتالي، على المعجميين والمعنيين منهم بتطوير اوضاع اللغة ووجوه استعمالها على مر الاجيال، الاستشهاد بما يرغبون فيه من شاهد ماثل امامهم على ايسر سبيل .

وقد اوردنا هذه المفردات كما وردت في متن النص الاصيل من تاريخ ابن خلدون بالحرف الواحد، فسقناها مفهرسة كما جاءت تماماً على لسانه دون ردها الى مصدرها الاول، خلافاً لما جرت عليه المعجمية العربية من قبل ولا تزال تأخذ به من نهج الى يومنا هذا .

اما الاقسام التي تكسرت إليها فهارس تاريخ ابن خلدون، فهي :

١ – فهرس الموضوعات

١ - فِهرِس المَوْضُوعَات

مرتبة على الهجاء

ف

ق

ك — ل

م

٢- فِهرس أعلام الرّجال والنّساء

اش

ث

ج

خ

ز

ع

عت

عم

عن

عو

ك

مت

مع



٣- فهرس الشعوب والقبائل والدول والأسر

ت

ك



٤- فِهرِسُ البُلدانِ والأمكِنةِ الجُغرافِيَّة

خ

ص

ك

ل

م



٥ - فهرس الكتب الوارد ذكرها في تضاعيف الكتاب

٦- فهرس لغة ابن خلدون



٧- فهرس آي القرآن الكريم والأحاديث النبوية

٨- فهرس مواد المجلد الثاني

صفحة

صفحة

صفحة

صفحة